

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٦/١٣/٩



كتاب الاطلام

بالاعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٥٧٧٥ / ١٣٧٢ م)

الجزء السادس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

مطبوع في دار المطبوعات العثمانية بدار الكتب الهندية

١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

132308

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد

All copyrights reserved.

محتويات (الجزء السادس)

الموضوع	الصفحة
عود إلى ذكر دخول السلطان الأشرف شعبان ثغر الإسكندرية	١
خبر المئذنة و اليهودى	١٢
صفة أبنية الهند و غير ذلك	١٤
عود إلى خبر الملك الأشرف بالإسكندرية	١٧
ذكر أخبار الملوك و ما يصلح لهم	٢١
قصة الوزير نظام الملك	٤٢
عود لما قيل فى العدل و الجور	٤٨
ما قيل فى الكبر و مقته	٦١
ذكر ملوك الكفار	٧٧
ذكر صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البرابى التى صنعها الأوائل و غير ذلك	٨٤
ذكر الوزراء و أخبارهم	١٠٢
ذكر القضاة و لمع من أخبارهم	١١٥
ما قيل فى صفة الدجال	١٣١

١٢٣	عود لأخبار القضاة
١٢٧	في العود و الطيب و غيره
١٤٩	عن آدم و إبليس
١٦٠	في الفقر و الزهد و القناعة و غير ذلك
٢٠٦	ما قيل في رجال الهند الكافرين
٢١١	كسرى و المزاودة
٠	ما قيل في العسر و اليسر و غير ذلك
٢١٩	ذكر النساء و أخبارهن
٢٣٠	ذكر الفرزدق مع النوار
٢٣٦	قصة الكسعى
٢٣٨	في الغيرة و أخبار النساء
٢٤٦	خبر البنت الإسرائيلية و حكايات أخرى
٢٥٦	خبر السفاح و أم سلمة زوجته
٢٥٩	خبر لواء الملك بن سيف التيجان و زواجه بالدعجاء
٢٨٠	في شهوات الرجال مع النساء
٢٨٤	ما قال أهل الفراسة في النساء
٢٩٠	عود إلى شهوات الرجال و النساء
٣٠٢	في الشبية و الشيب
٣١٣	قصة أهل الرس
٣١٥	قصة سليمان الحكيم و أهل مدينة المغرب

الصفحة	الموضوع
٣١٨	في مدينة الطلاس
٣٢٩	خبر الخنساء الشاعرة
٣٣١	ما قيل في البدويات الفاتنات
•	قصة الحارث بن عمرو الكندي و بنت عوف الشيبانية
٣٢٩	قصة مجنون ليلى
٣٥٧	خبر كثير عزة و اجتماعه بالمجنون
٣٧٣	ولاية صلاح الدين بن عرام الإسكندرية
٤٠٧	حكاية الشيخ علي البكاء
٤١١	خبر بعثة السلطان لصاحب قبرس
٤١٣	عزل ابن عرام ثم توليته
٤١٦	أحوال الفقراء الصالحين
٤٢٢	عود إلى ولاية ابن عرام و غيره الإسكندرية
٤٢٣	عن الموت الأسود
٤٢٥	في الزهد
٤٢٢	خاتمة الطبع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[عود إلى ذكر دخول السلطان الأشرف]

شعبان ثغر الإسكندرية - [١]

نعود إلى ذكر صفة دخول السلطان الملك الأشرف شعبان ثغر الإسكندرية ، و ذلك أنه دخل من باب رشيد ، فسار بالمحجة العظمى ، و قد اجتمعت الرجال و النساء و العبيد و الإماء لرؤيته ، فصاروا يدعون له ، و النساء صرن يزرغن^٢ فرحاً به لشبابه و حسنه و جماله ، و هو راكب فرسا أشهب^٣ ، تدوس سنا بكة شقق الحرير المفروشة على الأرض ، و أمراؤه يمشون بين يديه ، و الشاوشية تزعق ، و المغنون^٤ بدفوفهم^٥

(١) العنوان مشتق من النص ، و ليس بالهامش . انظر ما قبل و ما بعد في هذا و راجع الفهارس .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : يزغزن ، زغزغ بالرجل : هزئ به و سخر منه .

(٣) في الأصل : أشهباً .

(٤) في الأصل : و المغنين .

(٥) في الأصل : بدفوفها .

يضربون^١، والشعراء على ضرب الرباب يشعرون^٢، والشباب تشبب^٣ لها صوت مطرب. فطربت الأسماع على حسن الإيقاع، وتمايلت الأبدان كتمايل الأغصان والأفنان، لحسن سماع تلك الألحان، وقرت العيون بمشاهدة جمال السلطان، وصارت الشباب تشبب بغير جارحة لسان، بل كلما نفخ فيها الإنسان،

هـ أزيلت الأحزان . كما قال بعضهم / في شبابة كالعنابة حيث قال :

ومقطوعة موصولة شقها النوى :
تخبر أخبارا بغير تكلم

تراها إذا هاج الهوى في فؤادها
تذيع من الأسرار كل مكم

وكان الجفناوان يحجبان^٤ السلطان، وهما مملوكان بيض الألوان، راكبان^٥ فرسين أشقرين^٦، عليها أقبية الحرير الأصفر بطراز الذهب،^٧ وعلى رؤسها كوفية^٨ الذهب المزركشة، متساويان في سيرهما، لا يتعدى الواحد الآخر ببعض خطوة، والغاشية المتوجة بالطائر الذهب المشبه بالحمامة يبدى رجل ماش يديرها بأعلى رأسه يمينا ويسارا، يقدمه غاشية ثانية مرصعة بالذهب بيد رجل آخر. وعلى عنق فرس السلطان رقبة

(١) في الأصل : تضرب .

(٢) في الأصل : تشعرون .

(٣) في الأصل : تشبب .

(٤) نقلت الكلمة من الشطر الثاني الأول .

(٥ - ٥) في الأصل : وكانت الجفناوات تحجب .

(٦ - ٦) في الأصل : فرسان أشقران .

(٧) جمع كوفية توضع فوق الكتفين .

من ذهب مرصعة بأنواع^١ الجواهر ، و السلطان عليه قباء أخضر بفرو
 قاقون أبيض ، و الجنائب ذوات الرقاب و الكنايش الذهب المزر كشة
 المكحلة بأحجار الجواهر تساق خلف مركوبه نحو خمسين جنيا .
 و كان السلطان إذ ذاك سنه دون الستة عشر ، و وجهه من حسنه
 كالقمر ، فلم يزل سائرا بالمحجة إلى مسجد أبي الأشهب . فعطف عطفته ه
 و مر على دار ابن الجباب إلى جفار القصارين إلى الصادر إلى أن خرج
 من باب البحر الذي يلي البلد ، فنثر عليه مقابل دار العدل و دار الطراز
 دنائير كثيرة التقطتها الناس . ثم سار و خرج من باب البحر الثاني
 ثم الثالث ، فشاهد البحر الملح و المينة ، بها مراكب الفرنج . و في ذلك اليوم
 لم يبق بالإسكندرية^٢ إفرنجى تاجر^٣ و لا^٤ عالج غلام^٥ إلا و تحصن ١٠
 بالمراكب خوفا من السلطان .

ثم إن السلطان شاهد قلاع السور و أبراجه التي تلي البحر مزينة
 بالعدد من الأسلحة و الأتراس و الشطفات الحرير الملونة ، و الأعلام التي
 تخفق بالرياح ، تبتهج لرؤيتها الأبصار و ترتاح الأرواح . ثم إن السلطان
 شاهد المكان الذي صعدت منه / العلوج السور و الخندق الجديد الذي أنشأه ١٥ ١٤٢ /
 الأمير صلاح الدين بن عرام مكان صعودهم ، و لم يكن قبل في ذلك
 المكان خندق^٦ ، بل كان الإنسان يأتي ماشيا إلى أن يلتصق بالسور .

(١) زيد هنا : الذهب . و لا محل للكلمة في السياق و هي مشطوبة في النص .
 (٢-٢) في الأصل : إفرنجيا تاجرا .
 (٣-٣) في الأصل : عالجا غلاما .
 (٤) في الأصل : خندقا .

ثم شاهد السلطان أيضا الخندق الغربي المتجدد خلف الباب الأخضر المعروف بالمطرق . ثم إنه دخل الإسكندرية من الباب الأخضر، و سار إلى أن اجتاز بضريح الشيخ الصالح الفقيه العالم العلامة أبي بكر الطرطوشي . ثم منه إلى رحبة الجامع الغربي إلى دار السلطان المجاورة له، و قد امتلأت الطرقات بالناس، يدعون له كبيرهم و صغيرهم، ذكرهم و أنثاهم .

فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب و فتح له الباب الأول و الثاني مما يلي البلد، و سار به وزيره سيف الدين الأكرز المتقدم ذكر ولايته بالإسكندرية بين السورين إلى أن أتى به دار الطراز، فترجل و دخلها صاعدا ستمها إلى أن أتى مواضع أنوالها و استعمالاتها، فرأى كل صانع ١٠ ينسج على منواله من أصناف الأقمشة المنمقة، و البدلات المطبقة، المتخذة لحريم السلطان، المختلفة الألوان .

قال بعضهم: حدثني أحد ممالك السلطان الخاصكية، و كان يبنى و يبنه معرفة من القلعة بالقاهرة، أن السلطان لما طلع دار الطراز، قلع قلوبته و أقيته، و تخفف حتى صار في ملوطة و قبـع نوفرة، و جعل ١٥ يطوف على الأنوال يبصرها، و يدخل رأسه تحتها، لينظر أسفلها، و يتفرج على الصناعات كيف ينسجون، و إلى مكائهم كيف يرمونها و لها يرجعون، و يرفع رأسه يشاهد في أعلى الأنوال الشبالين من الصبيان كيف يشيلون خيطان المسادي و لها يحطون، و كيف تصنع الطيور المنسوجة و الدالات و الشاذرونات و غيرها بتلك الخيطان الطالعة و الهابطة

و الهابطة إلى أن يكمل كل طائر و غيره ، فلم يزل طائفاً يتفرج على نوع
 حتى اجتاز بشيخ كبير السن / ينسج بمنواله ، يمج تارة عن يمينه ، و تارة
 عن شماله ، برمي له مكوكه في باطن مسديته ، فيظهر بذلك نسج بديع ،
 كزهر الربيع . فقال السلطان له : العافية يا أبي ! فلم يرفع الشيخ رأسه
 إليه ، و لا نظر له بعينه ، و لا دعا له بالرد عليه . بل صار مقبلاً على نسجه
 ناظراً إلى سير مكوكه و رجعه . فتعجب السلطان من مكابדתه على شيخوخته ،
 و بديع تفرسه في صنعته مع سادته . و كان ينبغي للشيخ حين كلمه
 السلطان أن يدعو له ، و يسأله بعروفه ليرتفق به . فما كان يخيب سؤاله ،
 لأنه لولا رق له لكبرسنه و جهده في العمل ما كلمه ، و لا كلمه إلا الخير
 يصله منه إليه . لشفقته عليه . فان كان سكوت الشيخ خوفاً منه و هيبه ،
 لم يحصل له إلا الخيبة ، كما قيل في منشور الحكم : من هاب خاب ، و من
 جسر أيسر . و كان ينبغي للشيخ أن يقول : بقيت بقاء الدهر ! أمرك
 نافذ ! و سعيك مشكور ! و حكمك منصف ! و مكنت في حفظ البسيطة
 مثل ما تحكم في أمصار فرعون يوسف ! فإله المسئول في حراستك بعينه ،
 و إمدادك بتوفيقه و عونته ! و ذاتك و أدواتك اللطيفة ، و أذواتك الشريفة ،
 مستودعة لمن لا تضيع عنده الودائع ، و لا تخيب عنده الصنائع ! فحضرتك
 السامية مخصوصة بآتم سلام ، و تحية و إكرام ! أنصف الله بك المظلوم !
 و أغاث بك الملهوف ! و أيدك بالثبوت و وفقك للصواب ! سددك الله
 بالتوفيق و أنطقك بالصواب ! و جعلك عصمة للدين ، و حصناً للمسلمين !
 (١) في الأصل : طائف .

أعانك الله على ما قلدك ! و حفظ لك ما استعملك ، بما يرضى من فعله
 سدك الله و أرشدك ! و أدام لك أفضل ما عودك ! زادك الله شرفا
 في المنزلة ، و قدرا في قلوب الأمة ، و زلفى عند سلطانك ! نصر الله
 بعداك المظلوم ! و كشف بك كربة الملهوف ! و أعانك على اتباع الحق !
 • متع الله أبصارنا برؤيتك ، و قلوبنا بدوام نعمتك ! من الله علينا بطول
 مدتك ! و هنأنا / بالنعمة بسلامتك !

الف / ١

فكان السلطان حينئذ يتهيج بهذا الكلام ، و يمدد بالإكرام
 و الإنعام ، و ذلك لمقالته ، و كبره و شيخوخته . قالت العرب لا فرق
 بين الإنسان و بين البهيمة إلا تخالف الصورة ، و لذلك قيل الصمت
 ١٠ منام العقل ، و النطق يقظته ، و المرء مخبوء تحت لسانه ، و إذا ترك الإنسان
 القول ماتت خواطره ، انتهى .

نعود و إن كان سكوت الشيخ عن جواب السلطان زهدا فيما في
 يدي السلطان ، و رغبة فيما عند الله تعالى ، فهو كما قال بعضهم
 هذه الآيات :

١٥ لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك في الدين
 و استرزق الله بما في خزائنه فانما الرزق بين الكاف و النون
 و اعلم بأنك لا تزداد خردلة إلا باذن الذي سواك من طين
 و إن كان سكوت الشيخ راحة له من كلام ، فهو كما قال بعضهم
 حيث قال :

٢٠ لقد فاز باللذات من هو أخرس و خصص بالراحات من لا يسمع

و إن

و إن كان سكوت الشيخ أنفة عن ذل السؤال ، فهو كما قال بعضهم
حيث قال :

يا لهف نفسى على شيئين لو جمعا عندى لكنت إذا من أسعد البشر
كفاف عيش كفانى ذل مسألة و طاعة الله حتى ينقضى عمري
و إن كان سكوت الشيخ خوفا من المنة و عار السؤال ، فهو كما قال ه
بعضهم حيث قال :

لنقل الصخر من قلال الجبال أحب إلى من مئتين الرجال
يقول الناس كسبك فيه عار و كل أعار في ذل السؤال
قال الأصمعي : رأيت أعرابيا في طريق مكة يسأل الناس
و لا يعطونه شيئا و معه صبي صغير ، فلما أعياه الأمر قال : يا بني ! ما أراى
إلا محروما . فقال الصبي : يا أبت ! المحروم من أمليته فبخل ، ليس من
سأله فلم يعط . فعجب الناس من فصاحته على صغر سنه . و تدافع الناس
عليه بالهبات و الكساء . فاستغنى في ساعة واحدة بكلمة واحدة - انتهى .
/ و إن كان سكوت الشيخ طلبا للقناعة و عدم الالتفات إلى مخلوق ،
فهو كما قال بعضهم حيث قال :

عزير النفس من طلب القناعة ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتني القناعة كل عز و هل شيء أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال و صير بعدها التقوى بضاعه
كان بعض العلماء يشتى بتميص واحد مع شدة البرد في بلاده
فقبل له : لو تدفأت بشيء يقيك من البرد ! فيقول : بي علة تمنعني من

(١) في الأصل : تدفأت .

لبس المحشو، يعنى بها علة الفقر، ولا يكشف حاله لأحد، فأقبلت عليه الدنيا عند كبره إلى أن صار له مال كثيرًا في وقت خمود شهوته، وضعف معدته، فكان يقول: قبح الله النعمة أتت حيث لا نأب ولا نصاب - انتهى .

٥ نعود - وإن كان سكوت الشيخ رضى منه بالفقر و غنى النفس ، فهو كما قال بعضهم:

إن الغنى هو الغنى بنفسه وليس الغنى بملكه و بماله
و كذا الفقير هو الفقير بنفسه ليس الفقير بذلقه و مقالته
و لبعضهم أيضا:

١٠ اطلب الدنيا إذا سهلت و اترك الدنيا إذا امتعت
تطلب النفس الغنى عبثا و أغنى للنفس إن قنعت
و إن كان سكوت الشيخ أنفة و غير مبالاة بمخلوق في الدنيا ، فهو كما قال بعضهم:

١٥ إن القناعة عز مذ ظفرت بها جعلت موطوء رجل جبهة الأسد
و إن كان سكوت الشيخ و صمته عن الجواب خوفا من زلة تقع منه بين
يدى السلطان تجرى على لسانه من غير قصد منه لها ، فهو كما قال بعضهم
في الصمت سبعة آلاف خير ، و قد اجتمع ذلك في سبع كلمات ، كل
كلمة منها بألف ، أولها : الصمت عبادة ، و الثانية : الصمت زينة من غير

(١) في الأصل : مالا كثيرا .

حلى ، و الثالثة : الصمت هية من غير سلطان ، و الرابعة : الصمت حصن
من غير حافظ ، و الخامسة : الاستغناء عن الاعتذارات ألا يعتذر إلى
أحد ، / و السادسة : الصمت راحة الكرام الكاتبين ، و السابعة : الصمت
سترًا لعيوبه .

و لما طلب السلطان الملك الناصر حسن^٢ بن السلطان الملك الناصر ه
محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون^٣ تاج الدين موسى بن الخازن ناظر
الإسكندرية ، فلما حضر بين يديه داخل قصره ، قبل الأرض و وقف
صامتًا ، فآله السلطان عن الإسكندرية و ما اجتمع له بها من الأموال
في تلك السنة ، فكان جوابه أن قال : المملوك رجل من العوام ، لا يحسن
مخاطبة الملوك ، و يخشى المملوك أن يتكلم بكلام يقع منه من غير معرفة
لما لا يوافق مخاطبة مولانا الملك ، فيكون هلاك المملوك فيه . فقال
السلطان : حينئذ تكلم بما تعرفه ، فنحن لا نؤاخذك بخطأ يقع منك حسب
اعتذارك بما اعتذرت به . فتكلم الناظر المذكور حينئذ بما اقتضته مصلحة
السلطان ، فخلع عليه ، و أبقاه على وظيفته كما كان - انتهى .

فلنرجع إلى ما كنا فيه آنفا من أمر السلطان الملك الأشرف شعبان - ١٥
ثم إن السلطان المذكور شاهد ما في دار الطراز بالإسكندرية من عمل

(١) في الأصل : سترًا .

(٢) الناصر حسن من المماليك البحرية سلطنته الأولى ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ -

١٣٥١ م و الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦١ م .

(٣) في الأصل : قلاوون .

زراکش و رقوم و ثياب حرير مذهبة مفروغ منها، فاختر منها ثيابا يستصحبها معه، و ترك الباقي إلى حين تكملة نسجه. ثم إن السلطان رأى زير ماء عليه قادوس فخار أحمر يشرب به صناع دار الطراز من الزير المذكور، ملأ بيده و شرب منه.

حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغدادي معلم دار الطراز لما سأله و قلت: بلغني أن السلطان ملأ بنفسه بقادوس فخار على زير بدار الطراز [تشرب به منه صناع القزازة - ١] و شرب منه. فقال: نعم. عاينته يشرب من الزير المذكور، و أن الصناع احتفلوا بذلك القادوس و سموه / قادوس السلطان، و صاروا يقولون^٢: اسقونا بقادوس السلطان، و صار له بينهم مزية و رفعة قدر و عظم شأن. فقلت في ذلك القادوس بيتين مقصورين و هما هذان^٣:

صار للقادوس ذكر عندما شرب السلطان منه و ارتوى
فخوى فخرا [جميلا - ٢] دائما بجميل^٤ الذكر ما بين الوري
ثم إن السلطان خرج من دار الطراز، و أتى دار الصناعة، فرأى

(١) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل ووردت في هامشه بقلم المراجع.

(٢) في الأصل: يقواوا.

(٣) في الأصل: هذين.

(٤) زيدت الكلمة من السياق لاستقامة الوزن.

(٥) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني.

ما فيها من الشواني الفروانية، و المجانيق الشيطانية، فرموا بها قدامه، فاستحسن رميها، و رجع من بين السورين إلى أن دخل الإسكندرية من الباب الأخضر، و سار إلى قصر السلاح، و دخله و شاهد ما فيه من الأسلحة الكثر المدخرة من عهد الملوك السالفة بقاعات القصر المذكور، فرسم بأن يعمل له به أيضا قاعة سلاح تسمى به كما سميت قاعات الملوك بهم، فبنيت و جعلت له فيها من السلاح الحديد شيء كثير، فكان عمله لذلك حسنة كاملة، و نعمة شاملة. و قد قيل في هذا:

لست أرى للزمان سيئه و هذه من فعاله الحسنه
بل وجهه أبيض بضئ سنا و هذه فوق خده حسنه

و هذا القصر المذكور الحاوي للسلاح المذكور حرسه الله تعالى من ١٠ الفرنج حين ظفرهم بالإسكندرية، بعد أن أتوا إلى بابه مشاة و خيالة، ألهمهم الله تعالى بمنه و كرمه أنه جامع للمسلمين يصلون به، و يتعبدون فيه، فكفروا عن كسر بابه و دخولهم إياه، و لو فهموا، أحرقوه بعد أن كانوا يحملون^٢ منه العدد الكثر و الأسلحة المتينة. و لكن الله تعالى بفضله و إحسانه أعمى أبصارهم و بصائرهم عنه بزعمهم أنه^٣ مسجد جامع^{١٥} لصلاة المسلمين. / و منعهم الله أيضا لأنهم لم يتعرضوا لخراب شيء من جوامع إسكندرية و مساجدها و صوامعها خشية إخراج المسلمين لكتائبهم

(١) في الأصل : جامعا .

(٢) في الأصل : يحملوا .

(٣-٢) في الأصل : مسجدا جامعا .

التي هي بالديار المصرية و الشامية ، لأن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون كان رسم في أيام دولته بهدم كنائس النصارى ، فهدم منها بمصر و الإسكندرية و الصعيد و البحيرة و الشام كثيرا ، و لذلك لما ظفروا بالإسكندرية ، امتنعوا من خراب مساجدها ، خوفا مما تقدم من خراب ٥ جل كنائس النصارى ، فامتنعوا من ذلك خوفا من خراب بقيتها - انتهى .

[خبر المئذنة واليهودي - ١]

فلندكر الآن خبر مئذنة قصد هدمها اليهود بالمكر و الحيل ، فغرموا المال الجزيل ، و بقيت المئذنة على حالها لم تهدم ، فحصل لهم الخزي و النكال بعدم هدمها ، و غرامة المال . و ذلك أن مسجدا بسرنديب^١ من أرض الهند بناء رجل يسمى خالد بن أحمد أصله من الأبله^٢ ، و كان في وقته وجه للسلين مالا يبني به للمسجد مئذنة عالية ، و إلى جانب المسجد كنيسة لليهود كبيرة مليحة ، فاذا صعد المؤذن إلى المئذنة يؤذن ، أشرف على الكنيسة و من فيها ، و كذلك كل من صعد عليها غير المؤذن يشرف عليها ، أو يشاهد ما يعمل فيها ، فأعجب اليهود أمر المئذنة ، و كان أحد اليهود موسرا ، فأراد إعمال الحيلة في ١٥ هدمها ، فقال للملك : إن تحت هذه المئذنة كنزا نجده في كتبنا ، فظن الملك و عز على بانيتها أن تخرب . فوقع بينه و بين اليهودي خطاب طويل إلى أن قال

(١) عنوان القصة غير وارد بالهامش .

(٢) سرنديب أوردها ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ بقوله :

« هي جزيرة عظيمة في بحر هر كند بأقصى بلاد الهند ، و المقصود جزيرة سيلان .

(٣) الأبله مدينة على الضفة اليمنى من نهر الدجلة قريبة من البصرة .

بانيها خالد بن أحمد: أنا أهدمها، فإن كان تحتها كنز، فللملك من
 مالى مائة ألف قلنز، وإن لم يكن تحتها شيء، بناها اليهودى و عليه
 للملك مائتا ألف قلنز. فلما سمع اليهودى / ذلك توقف و جرى بينهما
 خطب طويل إلى أن وزن اليهودى مائة ألف قلنز، و لم تهدم المئذنة،
 فكانت حيلة اليهودى سبب ذلك المال. و صار المسلمون يصعدون^٥
 على المئذنة فى كل وقت، و يلعنون اليهود و ينادون عليهم: يا نسل
 الخنازير و القروود! و يكشفون أحوالهم فى كنيستهم، و يشتمونهم حين
 زمزمتهم، فصار اليهود من خوفهم منهم^٥ مقهورين خرسا^٥ لا ينطقون.
 قال الأصمى: كان أعرابي على البحرين و لاه ابن هبيرة، فانكسر
 عليه بعض خراجه، فأمر بجمع اليهود، و كانوا كثيرا بها، فجمعوا^{١٠}
 له. فقال لهم: ما علمكم و ما قولكم فى عيسى ابن مريم؟ قالوا: قتلناه
 و صلبناه. قال: و الله لا تفارقوني حتى تؤدوا إلى ديتي. فأخذ منهم
 الدية و زادها فى خراجه.

- (١) قلنز - كذا فى الأصل، و لم نعثر على الكلمة فى المراجع المعروفة فى العربية.
 و واضح أنه يعنى بها وزنة أو عملة.
 (٢) فى الأصل: صارت.
 (٣) فى الأصل: تصعد.
 (٤) فى الأصل: تلعن.
 (٥-٥) فى الأصل: مقهورون خرس.

و كان أبو العاج على حوالى البصرة، فأتى برجل من النصارى، فقال: ما اسمك؟ قال: عمور. قال: اسم ثلاثة و جالية واحدة! لا والله العظيم! فأخذ منه ثلاث جوالى و قال: عمور - اشتق منه ثلاثة أسماء: عمر و عمرو و عامر.

[صفة أبنية الهند و غير ذلك - ١]

و إذ قد ذكرنا المئذنة بأرض الهند، فسأذكر ما قيل فى صفة أبنية الهند إن شاء الله تعالى - ذكروا أن الأمطار كثيرة بأرض الهند، فلذلك أبنية الهند بالساج و القنا و غيرهما من الخشب، و فيهم من يبنى بالآجر و اللبن، فيبنى الواحد حائطا مثل السور^٢، و يبنى داخله الأبنية^١ بالخشب و يسقفه، و يجعل على السقف^٣ لبنا كبارا^٤ بالطين. ثم يلمسه بالنورة و المغرة، و يدلك ذلكا ناعما، و تلك النورة تريب و تخمر خمسة أشهر و ستة بالماء، و ربما نقع الهليلج و البليج و الأملج، و جعل فيه المشاق، و منهم من يطبخ جلود الجواميس حتى تنهرا، ثم يصب ذلك فى النورة أيضا، فيكون مثل الغراء. و تصقل صقلا ناعما حتى^٥ تطرد المطر.

و العرب تعمل حول بيوتها حاجزا^٦ من الرمل يحاط بها ليمنع

(١) العنوان مشتق من النص و غير وارد بالهامش .

(٢) فى الأصل : النسور - كذا .

(٣-٣) فى الأصل : لبن كبار .

(٤) فى الأصل : حاجز .

ماء المطر . و إذا كانت بيوت العرب من وبر أو صوف فهو خباء ،
 و إن كانت من شجر فهو خيمة ، و إن كانت من شعر فهي مظلة ، و إن
 كانت من آدم فهو طراف رقة . و العرصة : / كل موضع متسع لا بناء
 فيه . و عقر الدار : أصلها . و العقار : الأرض و الضياع . و قاعة الدار :
 ساحتها . و بجوحتها : وسطها . و الجناب : فناء الدار : و الوصيد : الباب ، ه
 يقال : أوصدت الباب - إذا أغلقت . و البهو : الفضاء المتسع بين يدي
 البيت . و الصرح : البناء المرتفع . و الفدن : القصر . و المحاريب : الغرف ،
 واحدها محراب . و البناء المشيد : هو المطلق بالمشيد ، و الشيد : الجص ،
 فأما المشيد - بالشديد ، فهو البناء المرتفع المطول ، يقال : شيدت
 [البناء] - إذا علّيته .

١٠

و القرية : كل مكان اتصلت فيه الأبنية و اتخذ قرارا ، و جمعها
 قرى ، و يقع ذلك على المدن و غيرها . و الأمصار : المدن الكبار ،
 واحدها مصر . و المدررة : القرية و المدينة ، يقال : فلان سيد مدرته .
 و الكفور : الخارج عن المصر ، واحدها كفر - بفتح الفاء ، يقال
 رجل قروي ، إذا كان من أهل القرى ، و بدوي ، إذا كان من أهل
 البادية - انتهى .

و بأرض الهند الحيوان المعروف بالكركدن ، له في مقدم جبهته
 قرن واحد ، و هو دون الفيل في الخلق ، و أكبر من الجاموس ، يميل

(١) ف الأصل : كان .

إلى السواد، وهو 'يحتتر' كما 'تحتتر' البقر، و الفيلة تهرب منه، وليس في أنواع الحيوان أشد منه، وذلك لأن أكثر عظامه صم، لا مفصل في قوائمه، لا يبرك ولا ينام، وإنما يكون الشجر و الآجام يستند إليها عند نومه، و الهنود تأكل من لحمه لأنه نوع من البقر و الجواميس، و قرنه أبيض، في وسطه صورة سوداء في ذلك البياض، إما صورة إنسان أو صورة طاوس بتخطيطه و شكله، أو صورة سمكة، أو صورته في نفسه، أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد في تلك الديار، فينشر هذا القرن، و يتخذ منه المناطق بالسيوف على صورة الحلية من الذهب و الفضة، فتلبسها^٢ ملوك الصين، و خواصها تتنافس في لبسها^٣، و تتبالغ في إتمامها، فتبلغ المنطقة ١٠ ألفي دينار إلى أربعة آلاف دينار، فيها / معاليق الذهب . و ذلك في نهاية الحسن و الإتقان . و ربما يجمع بأنواع من الجواهر بقضبان الذهب، و وجوه^٤ تلك الصورة مكتبة بسواد . و قد زعم الجاحظ أن الكركدن يحمل به في بطن أمه سبع سنين، فيرعى ثم يدخل رأسه إلى بطنها^٥، و هذا عجيب - و الله أعلم .

١٥ و بالهند نهر يجرى من عيون بحال الهند و السند، وهو نهر حاد

(١-١) في الأصل : يشتر كما يشتر .

(٢) في الأصل : فتلبسه .

(٣) في الأصل : لبسه .

(٤) في الأصل : وجود .

(٥) كذا في الأصل، و في حياة الحيوان الكبرى : و قد أنكر الجاحظ هذا .

الانصباب و الجريان ، عليه يعذب أكثر أهل الهند أنفسهم^١ بالحديد و تغرقها زهدا في الدنيا و رغبة في التنقل عنها . و ذلك أنهم يقصدون^٢ موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالكَنك^٣ ، و هنالك جبال عالية ، و أشجارها عارية^٤ ، و رجال جلوس ، و حدائد و سيوف منصوبة على تلك الشجر و قطع من الخشب ، فتأتيهم الهنود من الممالك النائية ، و البلدان القاصية ، فيسمعون كلام رجال قد رتبوا على هذا النهر ، و ما يقولون من ترهيبهم في هذا العالم ، و الترغيب فيما سواه ، فيطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية ، على تلك الأشجار العارية^٥ ، و السيوف المنصوبة ، فيتقطعون قطعاً ، و يصيرون إلى هذا النهر أجزاء متفرقة - انتهى .

١٠ [عود إلى خبر الملك الأشرف بالإسكندرية - ٦]

نعود إلى بقية خبر السلطان الملك الأشرف شعبان ، دخوله الإسكندرية - و ذلك أنه صلى العصر من يوم الجمعة بمسجد القصر المتقدم ذكره ، و ركب و خرج من باب السدرة ، و قصد و طاقه المضروب

(١) في الأصل : انفسها .

(٢) في الأصل : يقصدوا .

(٣) نهر الكنك أى الجنج (Ganges) .

(٤) في الأصل : عادية .

(٥-٥) الجملة مكررة في النص .

(٦) العنوان مشتق من النص .

بالموضع المعروف بالسرية^١ شرق ظاهر الإسكندرية ، بات به وأصبح يوم السبت مقبلاً نهاره . فكانت الرجال والنساء والعبيد والإماء يتفرجون بوطاقه و بايوانه الخيام المنصوب . و الإيوان المذكور من أحسن ما يكون من الخيام الناصع البياض . وهو شاهق في الهواء . مزخرف بأنواع التقاصيص^٢ الملونة ، وأرضه مفروشة^٣ بالبسط . و السلطان حينئذ في خيمة منتبذة عنه ، كبيرة تسمى بالمدورة . / وكانت العوام بالقاهرة انتصروا^٤ للسلطان الملك الأشرف شعبان في حركة المماليك الأجلاب المتقدم ذكرهم في هذا الكتاب ، لما قصدوا أذى السلطان مع الأمير أسندمر الخاصكى المتقدم ذكره ، فاستجاشت العوام ١٠ و قتلوا الأجلاب ، و جعلوهم^٥ مطرحين على التراب ، و هم غلف بغير ختان ، فعلم بذلك أنهم نصارى بعيديون^٦ عن الإيمان . فصارت العوام عند السلطان في أعز مكانة ، يحبهم لنصرتهم له ، و قيامهم معه ، فصاروا له جيشاً ملتزمين الطاعات من غير جوامك و لا إقطاعات . بل أخلصوا له القلوب - زيد منهم و عمرو ، لينالوا رضى الله تعالى بطاعة ولى الأمر .

(١) كذا في الأصل ، و جائز أن تكون « السرية » .

(٢) في الأصل : التقاصيص - كذا .

(٣) في الأصل : مفروش .

(٤) في الأصل : انتصرت .

(٥) في الأصل : حملوهم .

(٦) في الأصل : بعيدين .

فلما نصحت العوام للسلطان ، ألقى الله في قلبه محبته لهم في جميع البلدان ، حتى أهل الإسكندرية نالوا من إحسانه أن نثر عليهم الذهب فالتقطوه وكل منهم بما حصل له منه أخذه و ذهب ، نال به السبب ، وتركهم يتفرجون بأبوان ملكه ، و يشاهدون جمال حسنه ، من غير طرد ولا منع ، فما منهم إلا من افتتن برؤية وجهه الحسن ، و لسان حال كل منهم يقول :
حيث يقول :

أورد لثامه على وجنته لم يفتن العالم في خلقته
لكن قصد النفوس تنقاد له طوعا و نجيبه إلى طاعته

ثم لما رحل السلطان عنهم ، صار لسان حالهم يقول :

١٠ نأى فأعرفاه^٢ القلوب صباة و عارية العشاق ليس لها رد

و كان رحيله من السرية بظاهر الإسكندرية ليلة الأحد المسفر صباحها عن السادس من جمادى الأولى^٣ سنة سبعين و سبعمائة^٤ . و أقامت الإسكندرية بعد رحيله يومين مزينة ، فآله تعالى ينصره على الدوام ! و أن يجعل جزيرة قبرس في أيامه في قبضة الإسلام ! و قد قلت آياتا في دخول السلطان الإسكندرية ، و هي هذه الآيات :

١٥

(١) في الأصل : لم تفتن ، و كانت بالشرط الأول فنقلناها للثاني .

(٢) في الأصل : فأعرفاه .

(٣) في الأصل : الأول .

(٤) يقابل هذا التاريخ ١٦ يناير سنة ١٣٦٩ م .

دخل الأشرف للثغر ضحى
 ملك سلطانه فاق على
 دخل الأشرف للثغر فقد
 وجميع الجيش يمشى تحته
 وهو كالبدر المنير ينجلي
 راكب أشهب في سرج له
 والجواهر التي قد رصعت
 ورقاب خيله من ذهب
 والغواشي للسروج تنجلي
 فتن العالم لما أن رأوا
 قد غدت أعينهم باهته
 ملئت قلوبهم حباله
 ثم صاروا [هم-٢] كشبه نسوة
 فالملك الأشرف الزاكي الذي
 دخل الثغر حقيقا وبه
 ورأى السعد بثغر باسم
 فجنود^٢ الثغر كالأسد التي
 جمعة فابتهج الثغر به
 جمع ملوك شرقه وغربه
 ضاء بالنور الذي صار به
 والرجال والنساء بقربه
 في القبا الأخضر محفوف به
 ذهب^١ كنبوشه من ضربه
 في خلال سرجه وركبه
 ما لها في دهرها من شبه
 بطيور ذهب تسموبه
 طلعة السلطان [قد-٢] هاموا به
 لجمال ما له من مشبه
 فعدوا سكرى بخمر حبه
 بالجمال اليوسفي همن به
 عدله بشرقه وغربه
 قام صلى جمعة لربه
 ريقه من شنب كعذبه
 كشرت أنيابها كفضبه

٥

١٤/ب

١٠

١٥

(١) وردت الكلمة بالشطر الأول و نقلناها للشطر الثاني .

(٢) زيدت لاستقامة الوزن .

(٣) في الأصل : فجاود .

- يبتغي حربا للكلب قد غدا كافر الطلعة ممكور به
 فهو إن جا كرة ثانية داخلته خيفة بقلبه
 من جيوش الثغر بما قد يرى لأسود زحفوا لحربه
 رسم السلطان أن يبني له قاعة في القصر من عزم به
 ليصير ذكره كذكر من ملكوا من قبل واهتموا به
 بنيت قاعته وامتلات من سلاح كامل سُمّت به
 ثم بعد العصر من ثغر غدا لوطاق فائق بات به
 وأقام السبت في سرية في أمان مع لطف ربه
 رحل الأشرف منها قاصدا نحو مصر في جنود حزبه
 اسمه شعبان قد بورك في اسمه كالشهر مسعود به
 ربنا احفظه بعز دائم ما حدا الحادي لعيس ركب
 أخرج اللهم في دولته قبرسا بتركة وعربه

فلنذكر ما قيل في هذا الاسم المبارك إن شاء الله تعالى - وهو أن
 السلطان الملك الأشرف اسمه شعبان لبركة شهر شعبان ، فان شعبان
 خمسة أحرف : ش ع ب ا ن . أما الشين فشرف في الدنيا وشرف
 في الآخرة ، والعين علو في الدنيا و علو في الآخرة ، والباء بركة في الدنيا
 وبر في الآخرة ، والألف أمانة في الدنيا و ألفة في الآخرة ، والنون
 نماء في الدنيا ونور في الآخرة . عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول في النص .

صلى الله عليه وسلم : أتدرون لآى شىء سمي شعبان؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : إنه يتشعب فيه خير كثيرا لرمضان .

و فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وسبعائة^٢ ولد للسلطان الملك الأشرف شعبان ولد سماه رمضان لبركة شهر رمضان وتلوه لشعبان ، فصار اسما على مسمى ، فحصل بـرمضان بن شعبان الملك المذكور الخير و السرور ، وزينت له سائر بلاد مصر و الشام . فليلة نصف شعبان ليلة مباركة ، وكذلك ليلة القدر و ليلة عرفة .

فلنذكر ما قيل فى تلك الليالى الثلاث إن شاء الله تعالى - قال بعض العلماء : اعتبرت هذه الليالى الفاضلات ، ليلة نصف شعبان ، و ليلة سبع و عشرين من رمضان - و هى ليلة القدر ، و ليلة عرفة ، فجملتها^٣ لا تزال متواخية ، إن كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة ، وكذلك غير الجمعة من الأيام . و هى ثلاث ليال متواخية ، فان ليلة شعبان فيها قسمة الأرزاق ، و ليلة القدر فيها نزول الملائكة و الروح بكل أمر ، و ليلة عرفة و هى الليلة التى ما رأى الشيطان نفسه أصغر و لا أحقر^٤ و لا أغيظ منه فيها من تنزل الملائكة .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رجب شهر الله تعالى ، و شعبان شهرى ، و رمضان شهر أمتى . قيل : يا رسول الله !

(١ - ١) فى الأصل : خيرا كثيرا .

(٢) يقابل هذا التاريخ مارس - أبريل سنة ١٣٧٠ م .

(٣) مصححة بالهامش ، و فى النص : فجملتها .

(٤) فى الأصل : ثلاثة .

ما معنى قواك : شهر الله ؟ قال : لأنه مخصوص بالمغفرة ، وفيه تحقن
 الدماء ، وفيه تاب الله على أنبيائه ، وفيه 'أنقذ أوليائه' من يد أعدائه
 [و - ٢] لمحبه له و مواظبته^٢ على صومه ، ولما ورد أن آية الصلاة نزلت عليه
 فيه . و أما قوله عليه السلام : رمضان شهر أمتي . فلعنوم البركة ، و شمول
 الرحمة و المغفرة لأمة فيه ، و شهر شعبان شهري ، لأن الأرزاق تتشعب
 فيه ، و إنما سمي رجب ، لأن الملائكة ترج فيه بالتسبيح و التحميد
 و التمجيد ، و إنما سمي رمضان ، لأن الذنوب ترمض فيه . و قال ابن عباس
 في رجب : سمي أصم ، لأن الملائكة تصم آذانها لشدة استماع أصواتها
 بالتسبيح و التقديس ، و سمي الأصب أيضا ، لانصباب الرحمة فيه -
 و الله أعلم .

١٠

و قيل : مثل رجب كمثل الريح ، و مثل شعبان كمثل الغيم ، و مثل
 رمضان كمثل المطر ، و الحسنه في سائر الشهور الواحدة بعشر ، و في رجب
 بتسع و تسعين ، و في شعبان بمائة ، و في رمضان بألف . و يقال : خص
 رجب بالمغفرة ، و شعبان بالبركة ، و رمضان بالتضعيف ، و ليلة القدر
 بانزال الرحمة ، و يوم العيد بالقبول من الله تعالى ، و يوم عرفة بالرضى ١٥
 و الكمال ، و يوم عاشوراء بالنجاة و الفضيلة ، و يوم الجمعة بالدعاء و الإجابة .
 و قيل : رجب شهر الاستغفار ، فان آدم عليه السلام ألهم فيه الاستغفار

(١-١) في النص : انقذوا أوليائه .

(٢) زيدت الواو على الأصل لاستقامة العبارة .

(٣) في النص : و مواظبته - بالضاد بدل الظاء .

حتى تيب عليه فيه ، و شعبان شهر الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ،
لأن آية الصلاة نزلت فيه .

و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الله عز وجل يطلع
إلى عباده ليلة النصف من شعبان ، فيعتق رقابا ، و يحط عقابا ، و يعطى
٥ رغابا ، و يغفر الذنوب إلا الشرك و الإصرار و الحسد و البغى . و في
حديث آخر : و يكتب الموت من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل
يتزوج و تحبل له امرأته و يولد له ، و أنه من الموتى .

و عن عكرمة في قوله تعالى " فيها يفرق كل امر حكيم " قال :
في ليلة النصف من شعبان يدبر الله أمر السنة ، و يفسخ الأحياء من
١٠ الأموات ، و يكتب حاج بيت الله ، فلا يزيد فيهم أحد و لا ينقص
منهم أحد .

و روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا كان ليلة النصف من
شعبان ، فقوموا ليلتها ، / و صوموا نهارها ، فإن الله عز وجل ينزل فيها
١٤٩/الف لغروب الشمس إلى السماء فيقول : ألامستغفر أغفر له ! ألامسترزق أرزقه !
١٥ حتى يطلع الفجر . و يقال : إن زمزم تحلوا تلك الليلة ، و تصل بها
عين سلوان التي بالقدس الشريف . و كان الناس في قديم الزمان يبذلون
المال على تحصيل شيء من مائها في تلك الليلة لما يكون فيها من الرحمة
و غلبة الأقوياء للضعفاء ، و أصحاب الجاه على غيرهم .

(١) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ٤ .

(٢) في الأصل : تحلوا - كذا بانحاء المعجمة .

وروى عن النبي الله صلى عليه وسلم أنه قال « من اغتسل ليلة النصف من شعبان لم يزل طاهراً سنته كلها » . وقال عليه السلام « ان لله تعالى في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب » . وعن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فان لم يكن رطبات فتمرات ، فان لم يكن تمرات حسا حسوات ماء » . وعن سالم بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من لم يجد التمر فليفطر على الماء » - حديث صحيح . وعن معاذ قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطرا قال : اللهم ! إني [لك - ٢] صمت و على رزقك أفطرت ٢ ، . وأفضل المياه ماء زمزم ، فاذا أفطرت عليه الصائم ، قال : اللهم اجعله علماً نافعا ، و رزقا واسعا ، و شفاء من كل داء و سقم ، و اغسل به قلبي و املأه من خشيتك ، و ارزقني الإخلاص و اليقين و المعافاة في الدنيا و الآخرة . ثم ليقل بعد شرب ماء زمزم أو غيره من المياه : ذهب الظمأ و ابتلت العروق و ثبت الأجر إن شاء الله تعالى - رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تسحروا / فان في السحور بركة » - متفق على صحته . وفي

١٤٩ / ب

(١) في الأصل : فطر .

(٢) زيد من مراجع الحديث .

(٣) في الأصل : فطرت .

(٤-٤) تكرر ما بين الرقنين في الأصل .

طريق : فانه مبارك . و عن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فصل ما بين صيامنا و صيام أهل الكتاب أكلة السحر . - أخرجه مسلم . و روى : ان الله و ملائكته يصلون على المتسحرين ، . و دخل بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و هو يتسحر فقال : هلم الغداء

٥ المبارك ا

و يستحب أن يتسحر بالتمر لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم سحور المؤمن التمر ، . و لقوله عليه السلام : تسحروا و لو بتمر و لو بجبات زبيب ، . و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : تسحروا و لو بالماء ، . و يستحب تأخير السحور لما روى أنس عن زيد بن ثابت قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قمنا إلى الصلاة ، و عوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء فيقولون : به على عبادتهم . و قال النبي صلى الله عليه وسلم : قولوا كل ليلة من رمضان : اللهم ا سلم لنا رمضان و سلم رمضان منا حتى ينقضى عنا و قد غفرت لنا و رحمتنا و رضيت عنا ، . و قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثلاث ليال من فاته فقد فاته خير كثير : ليلة النصف من

(١) من مرجع الحديث ، و في الأصل : فضل .

(٢) من مرجع الحديث ، و في الأصل : الصيام .

(٣) في الأصل : المتسحرين .

(٤) في الأصل : بن ، و الصواب ما أثبتناه من طريق الحديث .

(٥) في الأصل : فيقولوا .

شعبان، و ليلة سبع و عشرين من رمضان، و تسعاً و عشرين منه . فانها الليلي المعظمة عند الله تعالى، فاغتنم العشر الأخير من رمضان، فان فيه تمام الفضائل و كمال المفاخر، و انتبه لأمرك قبل أن ترتهن بعملك في قبرك، و تزود من العمل الصالح لطول سفرتك، فكأنك في حفرتك، و اغتنم هذا العشر، ففيه ليلة القدر، فقد ذهب في أكثره العمر . و قيل في ذلك :

أعيناى لم لا تبكيان على عمرى تنأثر عمرى فى يدى و لا أدرى
إذا كنت لم تزرع و أبصرت جاهدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

لقد فاز العاملون، و خسر الغافلون، فوا أسفا / يخرج رمضان عنا
و ما غنمنا ! فكأننا بالموت و قد هجم علينا و ندمنا .

١٠

قد تولى الشهر عنا ليت شعرى هل قبلنا

هل ترى يقبلنا ال له على ما كان منا

معشر الصوام فابكوا أى شىء راح منا

شهر نور و ضياء فيه صلينا و صمنا

كل شهر فيه نعطي كل ما شئنا و رمنا

١٥

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : يوم عيد الفطر يوم الجوائز ، إذا خرجوا [إلى - ٢] المصلى أعطوا جوائزهم . قال ابن الأثير : معنى يوم العيد اليوم الذى يعود فيه الفرح ، و أصله العود ، لأنه من

(١) فى الأصل : تسعة .

(٢) زيد و لا يد منه .

عاد يعود ، و يوم الزينة يوم العيد ، لتزين الناس فيه بلبوسهم وكسوتهم .
 و قال عياض : سمي العيد عيداً لأنه يعود و يتكرر في أوقاته ، و قيل :
 يعود بالفرح و السرور على الناس . و قيل : تفاؤلاً . و يستحب أن
 يرجع الناس من العيد في طريق غير الطريق الذي أتوا منها اقتداءً
 بالنبي عليه السلام . و اختلف لآي شيء مر عليه السلام على غير
 الطريق ، قيل : ليسأل عن أمر الدين ، و قيل : لينال بركته هؤلاء كما
 نالها الأولون ، و قيل : ليكثر خطاه ، و قيل : ليكثر في أعين الكفار
 لأنه حينما مال مال معه الناس ، و يتفقد المساكين ، و قيل : لتنال
 الأرض التي رجع عليها ما نالت الأولى ، و قيل : إن اليهود لعنهم الله
 ١٠ كمنوا لهم كميناً . و كتب بعض الشعراء للصاحب بن عباد في يوم

عيد يقول حيث يقول^٢ :

أيا من عطاياها تعطى^٣ الغنى إلى راحتي من نأى أودنا

كسوت المقيمين في عيدهم كسى^٤ لم يجد مثلها مكننا

و حاشية الدار يمشون في ثياب من الخنز إلا أنا

١٥ فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له :

احملى أيها الأمير فأمر له بناقة و فرس و بغل و حمار و جارية ، ثم قال له :

(١) في الأصل : كمنت .

(٢) في الأصل : قالوا .

(٣) في الأصل : يعطى .

(٤) نقلت الكلمة من الشطر الأول للثاني .

لو علمت أن الله تعالى خلق مركوبا غير ذلك لملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخبز بجة و دراعة^١ و قميص و سراويل و عمامة و مندبل و مطرف / و كساء و رداء و كيس، و لو علمنا لباسا غير هذا لأعطيناك .
ثم أمر بادخاله إلى الخزانة، فقبض جميع ما ذكره الصاحب رحمه الله تعالى - انتهى .

٥

نعود؛ فلنذكر الآن خبر دخول ملكين الإسكندرية و ما عملا فيها إن شاء الله تعالى - فانظر يا هذا إلى السلطان الملك الأشرف شعبان ملك الديار المصرية و الشامية، كيف دخل الإسكندرية و شاهدها ظاهرا و باطنا من غير أن يدخلها الملوك السالفة غير الظاهر . قيل : إنه من عهد الملك الظاهر بيبرس^٢ لم يدخلها ملك من ملوك الإسلام .
غيره، فالله تعالى يمدده بنصره و يؤيده في نهيه و أمره، و يحفه بتأييده و إسعاده، فقد أنعم عليه بكرمه و ورثه ملك آباءه و أجداده، و أنطق لسان حاله بما قيل في أمثاله، حيث قيل :

بنت آباؤنا شرفا قديما فنحن لما بنوه مشرفونا
أخذنا مجدنا عنهم و كانوا عن الآباء قدما يأخذونا
و أدبهم أوائلهم و كانوا لنا عند الأمور مؤدبينا

(١) في الأصل : ذراعة .

(٢) الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري من المماليك البحرية، و حكمه ٦٥٨ -

فمهما كان من خير فانا ورثنا^١ عن أوائل أولينا

وإنا مورثون كما ورثنا^٢ عن الآباء إن متنا بنينا

ثم انظر يا هذا إلى ملكين دخلا الإسكندرية بجيوشهما مسلم و كافر،

فالكافر أخرب و دمر، و المسلم بنى و عمر. و لم يعلم أن ملكا كافرا

دخلها من حين فتحها عمرو بن العاص^٣ إلى آخر سنة سبع و ستين و سبعمائة^٤

إلا ربير بطرس^٥ صاحب قبرس لعنه الله. و لم يعلم أن ملكا مسلما

دخلها بعد دخول الظاهر بيبرس إلا الملك الأشرف شعبان بن حسين بن

الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. فكان دخول الكافر

فيها يوم الجمعة ثانی عشری المحرم الحرام سنة سبع و ستين و سبعمائة^٦.

١٠ و دخول المسلم فيها يوم الجمعة رابع جمادى الأولى سنة سبعين و سبعمائة^٧.

فالكافر قتل بعض أهلها، و أسر منهم، و شتت شمل باقيهم. و المسلم

آراهم و حفظهم و نثر الدنانير عليهم. فالكافر كسرهم كسرة شنيعة، و المسلم

جبرهم و جعل قلوبهم / على الألفة^٨ مجموعة. فالكافر فرأى من بين يديه،

١٥/ الف

(١) في الأصل: ورثناه. و لا يستقيم ميزان الشعر إلا بمحذف الهاء مخذفاها.

و الضمير يصبح مستترا.

(٢) إمارته ١٣ - ٣٣ / ٥ - ٦٣٤ - ٦٤٤ م.

(٣) يقابلها ١٣٦٦ م.

(٤) بطرس الأول لوسنيان، و حكمه ١٣٥٩ - ١٣٦٩ م - انظر الفهارس.

(٥) يقابل هذا التاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٣٦٥ م.

(٦) يقابله ١٥ ديسمبر سنة ١٣٦٨ م.

(٧) في الأصل: الألف.

و المسلم

٣.

والمسلم قربوا منه ، يدعون له وينظرون إليه ، ويشاهدون ملبوسه الأخضر الذي عليه . قال بعضهم في شاب حسن عليه ثياب خضراء حيث قال :
وغصن بان مزهر خده بالورد^١ والأجفان من نرجس
يرشقنا من لحظة أسهما يرسلها من حاجب كالقسي
أشبه غصن البان قدًا كما أشبهه في خضرة الملبس ٥

[ذكر أخبار الملوك وما يصلح لهم - ٢]

ذكر أخبار الملوك وما يصلح لهم من العدل و العلم و ما يتجنبونه^٢
من الجور و الظلم ، نسأل الله التوفيق ! قال الله تعالى : ” و لو دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض “ يعنى لو لا أن الله تعالى أقام
السلطان فى الأرض ، يدفع القوى عن الضعيف ، و ينصف المظلوم من ١٠
الظالم ، لأهلك القوى الضعيف ، و توائب الخلق بعضهم على بعض ،
فلا ينتظم حال ، و لا يستقر لهم قرار ، فتفسد الأرض و من عليها ،
ثم امن الله على الخلق بإقامة السلطان ، فقال الله تعالى : ” و لكن الله
ذو فضل على العالمين “ - يعنى فى إقامة السلطان ، فىأمن الناس به ، فىكون
فضله على الظالم كفى يده ، و على المظلوم أمانه و كفى يد الظالم عنه . ١٥
و روى كثير بن مرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « السلطان

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٢) العنوان وارد بأول النص .

(٣) فى الأصل : يتجنبوه .

(٤) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٥١ .

ظل الله في أرضه ، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر . قال الشيخ أبو العباس المرسى في قول النبي صلى الله عليه وسلم : السلطان ظل الله في الأرض ، : يعنى إذا كان عادلا ، فأما إذا كان

جائرا ، فهو ظل النفس والهوى - انتهى .

نعود - وينبغى للسلطان أن يكون عالما شجاعا عادلا ، فانه إذا كان عالما ، ثبتت الحكمة في أيامه ، وإذا كان شجاعا ، كثر جهاده ، وطالت مدته ، وإذا كان عادلا ، حسنت الأعمال على يديه .

وينبغى للسلطان أن لا يرغب في جمع المال من وجه ظلم ، فان استعمل الظلم والاستكثار والشره ، زال ملكه سرعة . وإذا أقام

السلطان بالعدل والحق ، ملك سائر رعيته ، وظهر بأعدائه ، وإن ظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته ، وبكونه في حروبه على حسب

١٥١/ب

جوده على عساكره . قال بعض الملوك لرجل من الصالحين : عظمى ! فقال : انصح الله في عباده ، ولا تخنه في أمانته ، واعبد الله باليقين ، تكن

١٥ إماما من أئمة الدين ، فان من تعدى حدا من حدود الله فهو ظالم ، و الظالم لا يكون إماما . قال الله تعالى : " انى جاعلك للناس إماما قال ومن ذرىبتى قال لا ينال عهدى الظالمين " . قال أبو الحسن الشاذلى : شيطان

قل ما ينفع معها كثرة الحسنات : السخط لقضاء الله ، والصفح عن عباد الله . واعلم أن صلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود ، وتاج الملك

٢٠ عفافه ، وحسنه إنصافه . وصلاحه كفافه ، وماله رعيته .

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٢٤ .

وفي حكم الهند: صحبة السلطان على ما فيها من العز والأثرة لعظيمة الخطر،
 وإنها شبيهة بالجبل الوعر، فيه الثمار الطيبة، والثعابين المهلكة،
 فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد. واعلم أنه إنما يستطيع صحبة
 السلطان أحد رجلين: إما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره، ويسلم
 بمصانعه، وإما مغفل مهين لا يحسده أحد. وقالت حكاء الهند: ه
 لا ظفر مع بغى، ولا صحبة مع نهم، [ولا ثناء مع كبر ولا شرف
 مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص،
 ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا سودد مع انتقام، ولا ثبات ملك
 مع تهاون و جهالة و ازدراء. قوله: لا صحبة مع نهم - ٢]، فالإقلال
 من ٣ الطعام، ينشط الهبوب من المنام، وتدوم معه سلامة الأجسام. ١٠
 ومن أحسن تدبير الملك أن تأمن أهل السلامة عقوبته، ويجازى
 أهل الدعارة بنزول نعمته. والأمور التي تشرف بها الملوك ثلاثة:
 إقامة سنة الله بالعدل، والشفقة على الرعية، وعمارة البلدان المعطلة.
 لما ولي بهرام بن بهرام مملكة فارس، أقبل على القصف واللغو
 واللذات والنزه والصيد، لا يفكر في نفسه ولا في رعيته، حتى ١٥
 خربت البلاد في أيامه، وقلّت العمارة، وخلت بيوت الأموال. فلما
 أن كان في بعض الأيام، ركب إلى بعض متنزهااته وصيده، فجذبه
 الليل وهو يسير نحو المدائن. وكانت ليلة قمرًا فدعا بالموبدان وهو
 كالقسيس عند النصاري لأمر خطر يباليه، فجعل / يحادثه، فتوسطوا في مسيرهم
 بين خرابات كانت من أمهات الضياع، قد خربت في ملكه، لا أنيس ٢٠

(١) في الأصل: شبيهه.

(٢) الجملة المحجوزة ساقطة من النص ووردت في الهامش بخط المراجع.

(٣) في الأصل: مع.

فيها إلا اليوم . و إذا بوم يصيح و آخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات .
 فقال الملك : أتري أحدا من الناس أعطى فهم هذا الطائر المصوت في هذا
 الليل ؟ فقال الموبدان : أنا أيها الملك ممن خصه الله بذلك ! قال له :
 فما الذي يقول هذا الطائر ؟ وما الذي يقول الآخر ؟ فقال الموبدان :
 ه هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى و يقول لها : أمتعيني بنفسك حتى يخرج
 بيننا أولاد يسبحون الله تعالى ، و يبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون
 الترحم علينا . فأجابته البومة : إن الذي دعوتني إليه هو الحظ الأوفى ،
 و النصيب الأكبر في العاجل و الآجل ، إلا أني أشرت عليك خصالا إن
 أعطيتنيها ، أجبتك إلى ذلك . فقال لها الذكر : و ما الذي تطلبينه مني ؟
 ١٠ قالت : أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية بما خربت في
 أيام هذا الملك السعيد . [فقال له الملك : فما الذي قال لها الذكر ؟ قال
 الموبدان : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد - ١] أقطعتك
 منها ألف قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : إن في اجتماعنا ظهور النسل
 و كثرة الأولاد ، فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات .
 ١٥ فقال لها الذكر : هذا أسهل أمر مما سألتني ، و أنا ملئ بذلك ما حيي
 الملك . فلما سمع بهرام الكلام من الموبدان . عمل في نفسه ، و استيقظ
 من نومه ، و أفكر فيما خوطب به ، فنزل من ساعته ، و نزل الناس
 بنزوله ، و خلا بالموبدان فقال : أيها القيم بأمر الدين ، و الناصح للملك ،
 و المنبه على ما أغفله من أمور ملكه ، و أوضاعه من شؤون بلاده

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت في الهامش بقلم المراجع .

و رعيته

ورعيتہ ! ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به ؟ فقد حركت منى ما كان ساكنا . [فقال الموبدان - ١] صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد و البلاد ، فجعلت الكلام على لسان الطائر عند سؤال الملك إياى عما سأل . فقال له الملك : اكشف لى عن هذا الغرض ، ما المراد منه ؟ فقال : أيها الملك ! إن الملك لا يتم إلا بالشرعية ، / والقيام لله ٥ / ١٥٢ ب بطاعته ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل . والعدل هو الميزان المنصوب بين الخليفة ، نصبه الرب و جعل له قیما و هو الملك . قال بهرام : أما ما وصفت لى فحق ، فأبن لى عما إليه تقصد . و أضح لى فى البيان . قال : نعم أيها الملك ! ١٠ عمدت إلى الضياع فأقطعتها الخدم و أهل البطالة ، فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها ، و استعجلوا المنفعة ، و تركوا العمارة و النظر إلى العواقب و ما يصلح الضياع ، و سومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ، و وقع الحيف على الرعية و عمار الضياع ، فانجلوا عن ضياعهم و تغربوا عنها ، فقلّت الأموال ، و هلكت الجنود و الرعية ، و طمع فى ملك فارس ١٥ من أطاف بها من الملوك و الأمم ، لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع ذلك من الموبدان ، أقام فى موضعه ثلاثة أيام ، و أحضر الوزراء و الكتاب و أرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من

(١) العبارة ساقطة من النص ، و لزومها واضح لاستقامة السياق و تسلسل العبارة .

أيدى الخاصة و الحاشية ، و ردت إلى أربابها ، و حملوا على رسومهم السالفة ،
 و أخذوا بالعمارة ، و قوى من ضئف منهم ، فعمرت البلاد و أخصبت ،
 و كثرت الأموال عند الجباة ، و قويت الجنود ، و انقطعت مواد
 الأعداء ، و أقبل الملك يباشر الأمور بنفسه ، فحسنت حاله ، و انتظم
 ملكه ، حتى كانت تدعى بالأعياد مما عم الإنسان من الخصب . فانظر إلى
 العدل كيف يعمر البلاد ، و يطمئن العباد ! و انظر إلى عدوه كيف
 أخرج القرى ، و حل العرى ، حتى صارت منبوذة بالعرا !

قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو يعلم
 الناس ما للزارعين عند الله لكان الناس كلهم زراعين . قالوا : يا رسول الله !
 ١٠ و لم ذلك ؟ قال : إن الله يغفر لهم الذنوب جميعا إلا الشرك بالله . قالوا :
 و لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم يعملون في معاش بني آدم ،
 إن الله إذا أراد أن يخرج الزرع ، جعل فيه البركة و الرحمة .

١٥٢ / الف

و ينبغي للسلطان أن يحرص كل الحرص على عمارة الأرض من
 جباية الأموال بالرفق و مجازة الجور ، فان العلقه تنال من الدم بغير
 ١٥ أذى و لا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعها و هول صوتها .

و لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، استعمل عليها ابن
 أبي سرح ، فحمل من المال أكثر مما كان يحمل عمرو . فقال عثمان :
 يا عمرو ! أشعرت أن اللقاح درت بعدك ؟ فقال عمرو : ' فانكم أجمعتم'
 أولادها ، و من جاز في الحلب حلب الدم ، و إذا استقصى العجل مص
 ٢٠ أمه ، رفته .

(١-١) في الأصل : بأنكن أجمعتم .

و قال (٩)

و قال جعفر البرمكي : الخراج عمود الملوك ، و ما لا يستغزر بمثل العدل ، و لا استزر بمثل الظلم ، و أسرع الأمور في خراب البلاد تعطيل الأرضين ، و هلاك الرعية ، و إفسار الخراج ، و الضاميل بالجور ، فأمثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه و يأكله ، فهو إن شبع من ناحية بضعف من ناحية ، و ما أدخل على نفسه من الجوع و الضعف أعظم مما وقع في نفسه من ألم الجوع ، و اعلم أن بيت رجال خير من بيت مال .

قال بعض الملوك لولده : يا بني ! لا تجمع الأموال لتقوى بها على الأعداء ، فإن في جمعها تقوية الأعداء - يعني إذا جمعت المال ، أضعفت الرجال ، فيطمع فيك الصديق ، و يثب عليك العدو ، و إنما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان غني غين ماء معينة ، فإن هو قام على البستان ، فأحسن تديرها و هندس أرضها ، و غرس أشجارها ، أينعت ثمارها ، و زكت بركاتها ، فكانوا جميعاً في أمان ، لا يخافون فقراً و لا شتاتاً ، و إن هو رغب في غلتها ، و جبا ثمرتها ، و لم يتفق فيها ما يكفيها ، و لا ساق لها [من - ١] الماء ما يرويها ، رغبة في الغلة ، و مضنة بالمال ، ضعفت / عمارتها ، و رقت^٢ أشجارها ، و قلت ثمارها ، و ذهبت غلتها ، و محق الدهر ما جنى من غلتها ، و افتقر القوم و تشتتوا و هلكوا . و مثل الملك في جمع المال ليقوى به على أعدوه مثل طائر ينتف ريشه

(١) زيد لاستقامة العبارة .

(٢) في الأصل : رق .

و يمص أصولها ، و يأكل ما نعم منها و لذ له طيبها و أعجبه خصب جسمه
على ذلك و قوته على عدوه ، فلم يزل على ذلك حتى خف ريشه و سقط
إلى الأرض فأكلته الهوام و الحشرات .
و في أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال ،
ه و اقتناء الكنوز ، و قال : إن الرجال و إن تفرقوا عنك اليوم ، فمتى
احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهاقتوا عليك . فقال له الملك : هل
لهذا من شاهد ؟ قال : نعم ، هل بحضرتنا الساعة ذباب ؟ قال : لا ، قال :
فأمر بإحضار جفنة فيها عسل ، فحضرت قدساقط عليها الذباب لوقتها .
و استشار السلطان بعض أصحابه ، فنهاه عن ذلك و قال : لا تغتر بالرجال ،
١٠ فليس في كل وقت أردتهم حضروا . قال : هل لذلك من دليل ؟ قال :
نعم ، إذا أمسينا أخبرتك . فلما أظلم الليل قال للملك : هات الجفنة . فلما
حضرت الجفنة لم تحضر و لا ذبابة واحدة .
و كان بعض السلاطين بمصر يقال له بلدكور ، كان يجمع الأموال ،
و لا يحفل بالرجال . فقال له بعض أصحابه : إن ملك الشام يتواعدك ،
١٥ و كأنك به و قد قدم عليك ، فاستعد بالرجال ، و أنفق فيهم الأموال ،
فأوما إلى صناديق موضوعة عنده و قال : الرجال في الصناديق - يعنى
الأموال ، فغزاه ذلك الملك في مصر و قتله و تسلم الصناديق و الملك .
فكان رأى الملك بلدكور المقتول رأيا فاسدا ، لأن الرجال لا يقدر
يقيمهم في الوقت إذا دهمه العدو و لا يجمعهم عند حاجته ، إنما يكونون

(١) في الأصل : يكون .

أحيانا / مجتمعين ، و شرذمة مفلقين ، ليس فيهم دفاع ولا ممارسة
للحروب .

و من السير المروية في هذا الباب أنه لما فتحت العراق ، جرى
بالأموال إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال خازن بيت المال :
أدخله بيت المال . قال عمر : لا ورب الكعبة ! لا ترونى تحت [سقف - ١] ٥
بيت حتى أقسمه ، فغطى في المسجد بالإنطاع . و حرسه رجال من المهاجرين
و الأنصار ، فلما أصبح نظر إلى الذهب و الفضة و الياقوت و الزبرجد
و الدر يتلألأ فبكى ، فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف :
يا أمير المؤمنين ! و الله ما هذا يوم بكاء ، و لكنه يوم شكر و سرور !
إذ قد حصل للمسلمين أموال الأكارسة ملوك الفرس . فقال : إني و الله ١٠
ما ذهبت حين ذهبت . و لكنه و الله ما أكثر هذا في قوم إلا وقع
بأسهم بينهم ! ثم أقبل على القبلة و رفع يديه و قال : اللهم ! إني أعوذ بك
أن أكون مستدرجا ، فإني أسمعك تقول " سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون " ٢ . ثم قال : أين سراقه بن جعشم - أعرابي ٣ من بني مدبج ؟
فأني به أشعر الذراعين دقيقهما ، فأعطاه سوارى كسرى . فقال : البسهما . ١٥
ف فعل ، فقال : قل : الله أكبر ! فقال : الله أكبر . فقال : قل : الحمد لله الذى
سلبها كسرى و البسهما سراقه بن جعشم أعرابيا من بني مدبج . وإنما

(١) الكلمة ساقطة من النص و أضيفت بالهامش .

(٢) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٨٢ .

(٣) في الأصل : أعرابيا .

ألبسها سراقة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسراقة - ونظر إلى ذراعيه :

كأنى قد لبست بهما سوارى كسرى . ولم يجعل له السوارين •

قال الحسن بن علي الأسدي : أخبرني أبي قال : وجدت في كتاب اللغة

القبطية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال

مصر بمحق الخراج مما يؤخذ بوجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل / والإنصاف

والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة بعد وضع ما يجب

وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من الذهب العين .

أربعة^١ وعشرين ألف ألف و مائة ألف دينار ، من ذلك ما ينصرف

في عمارة البلاد ، وحفر الخلاج ، والإنفاق على الجسور ، وسد الترع ،

١٠ وإصلاح المستنجات^٢ ، وتقويه ما يحتاج إلى تقويته من غير رجوع عليه .

لإقامة العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الآلات وأجر ما

يستعان به لحمل البدار ، وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانية آلاف ألف

دينار . ولما ينصرف في أرزاق الأولياء والمرسومين ولمن في جملتهم

من الشاكرية والغلمان وأشباههم وعدة جمعهم مع ألف كاتب موسومين

١٥ للدواوين ، سوى أتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم مائة ألف ألف

وأحد عشر ألف ألف وثمانية آلاف ألف دينار . ولما ينصرف للأرامل

والأيتام من بيت المال ، وإن كانوا محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم من

(١) لفظة « أربعة » مكررة في النص .

(٢) في الأصل : المستنجات ، والمستنات : ما يسنى في وجه السيل ، ج مستنات

ومستنيات .

بر فرعون أربعمئة ألف دينار . ولما ينصرف في كهنة^١ برايبهم^٢ و سائر مواضع صلواتهم مائة ألف دينار . ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا ، و ينادى : برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة إلا حضر ، فيحضر لذلك من حضر ، و لا يرد أحد ، و الأمانة جلوس ، و إذا أراد إنسان لم يجر رسمه بأن يأخذ أفرد بعد قبضه ما يقبضه حتى إذا فرق المال^٥ و دعوا له بطول البقاء ، و دوام العز و النعماء ، و أنهوا إليه بحال تلك الطائفة ، فيأمر بتغيير^٣ شعثها بالاستحمام و اللباس . ثم يمد السماط فيأكلون بين يديه و يشربون ، و يستعلم^٤ من كل واحد سبب فاقته ، فان كان ذلك من آفة الزمان ، / رد عليه مثل ما كان ، و إن كان عن سوء رأى و تدبير^٥ غير مستقيم ضم إليه من يشرف عليه ، و يأخذ بالأدب و المعركة إلى أن يصلح له ، و ذلك مائتا ألف دينار . فتكون جملة النفقات على ما تبين من تفصيلها تسعة آلاف و ثمانمئة ألف دينار ، و يحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف عليه السلام ، و يجعله لفرعون في بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف و ستمئة ألف دينار .

و قال أبو زهير : كانت أرض مصر أرضا^٦ مدبرة حتى أن الماء^٥ ليجرى تحت منازلها و أفنيتها فيستجرونه كيف شاءوا ، و ذلك قول

(١) في الأصل : كهنة . (٢) جمع بر به و هي المعبد .

(٣) في الأصل : بتغيير . (٤) في ظ : يستعمل .

(٥) في الأصل : نذير .

(٦) في الأصل : أرض .

فرعون^١ " ليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلا تبصرون^٢ ". وكان ملك مصر ملكا عظيما، ولم يكن ملكا أعظم من ملك مصر . وكان الجنان بحافتي نيلها متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، والزرع من أسوان إلى رشيد . وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروه من جسورها وحافاتها، والزرع ما بين الجبلين من أولها إلى آخرها . وذلك قوله تعالى^٣ : " كم تركوا من جنات وغيون وزرور ومقام كريم^٤ ونعمة كانوا فيها فكهين^٥ ".
والمقام الكريم: المنابر كان بها ألف منبر .

[قصة الوزير نظام الملك - ٦]

فلنذكر الآن هنا منقبة في مثلها يتنافس العقلاء، ويرغب فيها الملوك والوزراء . وهي أن الوزير نظام الملك المعروف بخواجه بريك قد وزر بالعراق لأبي الفتح ملك الترك، ابن ألب أرسلان^٦، وكان وزير لآبيه من قبله، فقام بدولتها أحسن قيام، فشد أركانها، وشيد بنيانها، واستمال الأعداء، ووالى الأولياء، واستعمل الكفاة، وعم إحسانه

(١) قرآن كريم سورة ٣٤ آية ٥١ .

(٢) في الأصل: ملكا .

(٣) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ٢٥ - ٢٧ .

(٤) العنوان مشتق مما يلي في النص وليس بها مشه .

(٥) في الأصل: البارسلان .

(٦) في الأصل: شد .

العدو و الصديق ، و المبغض و الحبيب ، و البعيد و القريب ، حتى ألف الملك بجرانه^١ / ، و ذل الخلق لشأنه^٢ . و كان الذى مهد له ذلك باذن الله تعالى و توفيقه أنه أقبل بكلية على مراعاة حملة الدين ، فبنى دور العلم للفقهاء ، و ابنى المدارس للعلماء ، و أسس الرباطات للعباد و الزهاد و أهل الصلاح و الفقراء . ثم أجرى لهم الجرايات و الكسوى و النفقات ، و أجرى الدراهم و الخبز لمن كان من أهل طلبة العلم ، مضافا إلى أرزاقهم ، و عمم بذلك سائر أقطار مملكته . فلم يكن من أوائل الشام ، و هى بيت المقدس إلى سائر الشام الأعلى - و هى ديار بكر - و العراقين و خراسان و أقطارها إلى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم طالب علم أو متعبد فى زاوية إلا و كرامته شاملة سابعة عليه . و كان الذى يخرج من بيوت الأموال فى هذه الأبواب ستمائة ألف دينار فى كل سنة . قال : فوشى به الوشاة إلى أبى الفتح الملك ، و أوغروا صدره عليه و قالوا : إن هذا المال المخرج من بيوت الأموال تقيم به جيشا يركز فى سور القسطنطينية ، فخامر ذلك قلب الملك أبى الفتح . فلما دخل عليه قال له : يا أبت ! بلغنى أنك تخرج من بيوت الأموال فى كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ولا يغنى عنا . فبكى الوزير نظام الملك و قال : يا بنى ! أنا شيخ كبير أعجمى ، لو نودى على فىمن يزيد فما أبلغ خمسة دنانير ، و أنت

(١-١) فى الأصل : الفى الملك بجرانه . (٢) فى الأصل : السانه .
(٣) فى الأصل : و أوغروا . (٤) نقلناه من « بعد مائة يوم » إلى هنا لاستقامة العبارة .

شاب حسن ، لو نودى عليك فيمن يزيد ، فما تبلغ خمسين ديناراً ، و أنت
 مشتغل في لذاتك ، منهمك في شهواتك ، و أكثر ما يصعد إلى الله تعالى
 معاصيك دون طاعاتك ، و جيوشك الذين تعدم للنواب إذا حشدوا
 كالفوا عنك بسيف واحد طوله ذراعان ، و قوس لا ينتهى مرماه
 ثلاثمائة ذراع ، و هم مع ذلك مستغرقون في المعاصى و الخمر و المزمار
 و الطنبور ، و أنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل / على أقدامهم ، صفوا
 بين يدي ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، و أطلقوا بالدعاء ألسنتهم ، و مدوا إلى
 الله أكفهم بالدعاء لك و لجيوشك ، فأنت و جيوشك في خفارتهم تعيشون ،
 و بدعاتهم تثبتون ، و ببركاتهم تمطرون و تزرعون و ترزقون ، تخرق
 سهامهم إلى السماء السابعة بالتضرع كما قال الشاعر الملسان في هذا
 حيث قال :

١٥٦ / الف

سهام الليل صائبة الوقوع إذا رميت بأقواس الخضوع
 تصيب بها المقاتل حيث كانت و تنفذ في الجواشن و الدروع
 فلما سمع الملك كلامه بكى و قال : شاباش يا أبت شاباش ! أكثر لى من
 ١٥ هذا الجيش . فقال : بارك الله فيك يا ولدى ! إذ قبلت النصيحة ، فان الملك
 يزول ، و يبقى الواحد الذى لا يزول ملكه . و بما قيل فى [هذا - ٢] المعنى :
 أما و رب السكون و الحرك إن المنايا كثيرة الشرك
 ما اختلف الليل و النهار و لا دارت نجوم السماء فى الفلك

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) - انقطة من الأصل .

إلا لنقل السلطان من ملك إذا انقضى عمره إلى ملك
 و ملك ذى العرش دائم أبداً ليس بقاض ولا مشترك
 و سأذكر بعض مناقب هذا الوزير المذكور - كان الوزير
 نظام الملك من خيار الوزراء ، اشتغل بعلم القرآن و التفقه على مذهب
 الشافعي ، و سماع الحديث و اللغة و النحو ، و كان على الهمة ، فحصل
 من ذلك طرفاً . ثم ترقى في المراتب حتى و زر للسلطان ألب أرسلان ،
 ثم بعده لولده . و بنى المدارس النظاميات ببغداد و نيسابور و غيرها ،
 و كان مجلسه عامراً بالفقهاء و العلماء بحيث يقضى معهم عامة أوقاته .
 فقيل له : إن هؤلاء يشغلونك عن كثير من المصالح . فقال : هؤلاء جمال
 الدنيا و الآخرة ، و لو أجلستهم على رأسي ما استكثرت ذلك ، و كان
 إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري و أبو المعالي الجويني ، قام لهما
 و جلسهما في المسجد ، و إذا دخل عليه أبو علي الفاريسي ، قام
 و جلسه مكانه ، و جلس بين يديه ، فعوتب في ذلك فقال : إن القشيري
 و الجويني إذا دخلا علي قالوا : أنت و أنت ! فأردادتهما ، و أما الفاريسي
 فإنه يذكرني عيون فأنكسر ، أرجع عن كثير من الذي أنا فيه . و كان
 نظام الملك محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان شغل
 عنها ، و يواظب على صيام الاثنين و الخميس ، و له الأوقات البارحة
 و الصدقات الذارة . و كان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً ، فعوتب في

١٥٦ / ب

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الثاني في الأسفل إلى الشطر الأول بحكم الوزن .
 (٢) من مدن فارس القديمة الشهيرة ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان (ج ٤
 ص ٨٥٧ - ٨٦٠) و هي من ولاية همدان من دولة الفرس .

ذلك . فقال : إني كنت أخدم بعض الأمراء ، فجاءني فقير يوماً فقال :
 • اخدم من تنفعك خدمته ، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً .
 فلم أفهم ما يقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة . وخرج في
 أثناء الليل و هو ثمل ، و كانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه
 • و مزقته ، فأصبح و قد أكلته الكلاب . قال : فأنا أطلب مثل ذلك الفقير .
 و قال أيضاً : رأيت ليلة في المنام إبليس ، فقلت : ويحك ! خلقتك الله
 و أمرك بالسجود له مشافهة فلم تسجد ، و أنا أسجد في كل يوم مرات ،
 فأنشأ يقول :

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب

١٠ ثم إن الوزير نظام الملك مات قتيلاً . و ذلك أنه خرج مع السلطان
 من أصفهان قاصداً بغداد ، فاجتاز في بعض الطريق بقرية بقرب من
 نهاوند^١ فقال : قد قتل ههنا خلق من الصحابة ، فطوبى لمن دفن عندهم !
 ثم إنه لما أظفر ، جاءه صبي في هيئة متظلم ، و هو يستغيث و معه قصة .
 فلما انتهى إليه ضربه بسكين في فؤاده و هرب ، فعدت بطنب الخيمة ،
 ١٥ فأخذ فقتل^٢ . و مكث الوزير ساعة و جاءه السلطان يعوده ، فمات

(١) من مدن فارس الشهيرة بحدوث وقعة العرب و الفرس سنة ٤١٩/٣٦٤٠م
 التي فيها انهارت الدولة الساسانية .

(٢) المعروف أن نظام الملك اغتيل في ١٠ رمضان سنة ٤٨٥/١٤ أكتوبر سنة
 ١٠٩٢م ما بين أصفهان و بغداد بمكان يقال له محنة خارج همدان ببلاد فارس .
 و هو

و هو عنده ، و دفن عند قبور الصحابة رضى الله تعالى عنهم . و لما بلغ موته أهل بغداد ، جلست الرؤساء للعزاء ثلاثة أيام ، و رثاه الشعراء ، منهم مقاتل بن عطية ، فقال / هذه الآيات :

١٥٧ / الف

كان الوزير نظام الملك أولوة يتيمة صاغها الرحمن من شرف عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف ه ثم قتل أيضا ولده نخر الدولة ، و كان صائما . و ذلك أنه كان يوم قتل رأى تلك الليلة فى منامه الحسين بن على بن أنى طالب و هو يقول : عجل إلينا و أفرط عندنا الليلة . فأصبح متعجبا . و كان نوى الصوم بعد الرويا ، فأصبح صائما ، و أشار إليه بعض أصحابه لما ذكر لهم الرويا ألا يخرج ذلك اليوم من منزله . فما خرج إلا فى آخر النهار ، فرأى شابا يتظلم و فى يده قصة ، فقال له : ما شأنك ؟ فناوله القصة ، فبينما هو يقرأها إذ ضربه بخنجر قتله ، و أخذ إلى السلطان سنجر فقرره فأقر على جماعة ، فقتل و قتلوا أيضا .

و لما قتل الوزير عبد الله بن عباس بن مرداس بتعصب حاشية الملك عليه ، قال بعض الشعراء يعنف قاتليه بهذه الآيات :

١٥

و الله و الله لا أفلحتم أبدا بعد الوزير ابن عباس بن مرداس
إن جاء منكم جليل^١ فاقطعوا رجلي^٢ أوجاء منكم رئيس^٣ فاقطعوا رأسي

(١) فى الأصل : جليلا .

(٢) فى الأصل : أجلى .

(٣) فى الأصل : رئيسا .

[عود لما قيل في العدل و الجور - ١]

نعود إلى ما قيل في العدل و الجور إن شاء الله تعالى - كان الخليفة
الظاهر^٢ بالله عاقلاً و فهوراً أديباً عالماً محسناً عادلاً ، رد ، ظالم كثيرة ،
و أسقط مكوساً كان أحدثها أبوه من قبله ، و سار في الناس سيرا
ه حسناً ، حتى أنه قيل : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعدل منه ، و رضع
عن أهل بلد سبعين ألف دينار ، كان أبوه الناصر لدين الله^٣ من قبله
زادها عليهم في الخراج ، و كانت صنجة^٤ بيت المال تزيد على صنجة البلد
نصف دينار في كل مائة دينار ، إذا قبضوا ، و إذا صرفوا^٥ لم يصرفوا
إلا بصنجة البلد ، فكتب الخليفة الظاهر إلى الديوان " زيل للطفين " .
١٠ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون^٥ / و إذا كالوهم أو وزنوهم
يخسرون^٥ الا يظن أولئك انهم مبعوثون^٥ أي يوم عظيم^٥ يوم يقوم^٦ الناس

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢) هو الخليفة العباسي ، خلافته ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م ، و أبوه

الناصر - انظر الحاشية التالية .

(٣) و خلافته ١١٨٠ - ١١٨٠ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٥ م .

(٤) الصنجة : الميزان الذي توزن به الأشياء بما في ذلك دتير الخراج توقفاً

من نصها .

(٥) في الأصل : اصرفوا

(٦) و يد بعه كلمة " فيه " ولم تكن في القرآن فحذفناها .

لرب العالمين^١ . فكتب إليه بعض الكتاب : يا أمير المؤمنين ! إن تفاوت هذا كان في العام الماضي خمسة و ثلاثين ألف دينار . [فأرسل ينكر عليه وقال : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمائة ألف دينار و خمسين ألف دينار -^٢] فقطعت تلك الزيادة كلها ، و رجع القبض و الصرف بصنجة البلد ، و كسرت الصنج الزائدة . فانظر إلى ظلم الوالد ، و انظر إلى عدل الولد ، كل منهما يحازي بما فعل في الآخرة ، من عمل صالحا فلنفسه سعى ، و من أساء فعلى نفسه جنى .

قال أرسطاطاليس : إن الملك الذي يعمر بيوت أمواله بخراب بلدانه مثل « المطين^٣ » ، سطح بيته من أساس حيطانه ، فاذا نزل المطر على الأساس ، وقع الأصل و الرأس . فالذي يظلم و يحكم بهواه و لا يدركه الشفقة على من سواه ، فهو الظالم لنفسه ، المتردد في لبسه ، قد خاب من الكرامة ، و حظى بالندامة ، و ماله عذر عند الله تعالى يوم القيامة ، قال الشاعر :

يا من يجور على العباد و يظلم الله ينظر ما فعلت و يعلم
تبدو بأثواب حسان للورى بيض و قلبك بالجهالة مظلم
كم جاءك الملهوف يشكو كربة و أتى لبابك صاغرا يتذمم
فتركته يذرى دموع جفونه حزنا و أنت بماله تتنعم

(١) قرآن كريم سورة ٨٣ آية ١ - ٦ .

(٢) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل ، ووردت في هامشه بخط المراجع .

(٣) من الطين .

و كان في بني اسرائيل رجل من العباد المجتهدين في العبادة،
الموصوفين بالزهادة، و كان إذا دعا ربه أعطاه و أثابه، و كان سياحا
في الجبال، قواما لليال . و كان الله تبارك و تعالى قد سخر له سحابة تسير
معه حيث يسير، تسكب له عليه ماء نмира فيتوضأ و يشرب إلى أن اعتراه
فتور في بعض الأوقات، فأزال سحابه، و حجب إجابته، و كثر لذلك
حزنه و نحيبه، و طال كمده و وجيبه . و ما زال يشتاقي إلى ما كان من
الكرامة الممنون بها عليه، فيبكي و يتأسف، و يتحسر و يتلهف، فنام ليلة
من الليالي، فقيل له: إن شئت أن ترد عليك سحابتك، فصل إلى الملك
الفلاني / في مدينة كذا و كذا، و اسأله أن يدعو لك، فان الله عز و جل
يرد سحابتك عليك، و يسوقها إليك . قال: فسار الرجل يقطع الأرض
حتى وصل لتلك المدينة التي ذكرت له في المنام . فدخلها و سأل عن
الملك، فأقبل إلى قصره، فاذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسي
عظيم و عليه كسوة هائلة، فوقف الرجل إليه و سلم عليه، فقال الغلام:
ما حاجتك؟ قال: أنا رجل مظلوم، جئت لأرفع للملك نازلي . قال:
١٥ إنه لا سبيل إليه لأنه قد جعل لأهل المسألة يوما يدخلون عليه فيه،
و هو يوم كذا و كذا، فسر راجعا حتى يأتي ذلك اليوم . قال:
فأنكر الرجل على الملك حجبه عن الناس و قال: كيف يكون هذا
وليا من أولياء الله تعالى و هو على مثل هذه الحالة! فلما كان اليوم
الذي ذكره الغلام الواب، أتى إليه فوجد عند الباب أناسا ينتظرون
٢٠ الإذن لهم بالدخول . قال: فوقف إلى أن خرج وزير عليه ثياب عظيمة

(١) في الأصل: ناسا .

و بين يديه رجال ا فقال : يدخل أرباب المسائل ا قال : فدخلوا ، و دخل العابد في جملتهم ، فوجد الملك جالسا على سريره و بين يديه أرباب مملكته على مقاديرهم . فوقف الوزير و جعل يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة إلى العابد . فلما قدمه الوزير و نظر إليه الملك ، قال له الملك : مرحبا بصاحب السجادة ا اقعد حتى أفرغ لك . قال : فتحير ه الرجل من قوله ، و اعترف بمزيتة و فضله . فقضى الملك بين الناس و فرغ منهم ، ثم قام فقام الوزراء و أرباب المملكة ، و أخذ الملك بيد العابد و أدخله إلى قصره . فوجد على باب قصره أسود عليه ثياب و فوق رأسه أسلحة و عن يمينه و شماله دروع^١ و أتراس معلقة ، فقام إلى الملك و فتح باب القصر ، فدخل الملك و العابد معه و سارا^٢ . فاذا بين يديه باب قصير خلق بال ، ١٠ ففتحه الملك و دخل إلى دار خربة ، و بناء مائل ، / ثم دخل إلى بيت ليس فيه إلا سجادة و قدح للوضوء و حوض فيه ماء ، فجرد الملك ثيابه ، و لبس جبة خشنة من الصوف الأبيض ، و جعل يلبس رأسه قلنسوة لبد . ثم قعد و أقعد العابد ، و نادى : يا فلانة ! فقالت : لبيك ! قال : أتدرين من ضيفنا في هذا اليوم ؟ قالت : نعم ، هو صاحب السجادة . ١٥ فقال : اخرجي ، لا عليك^٣ ! فخرجت ، فاذا امرأة كأنها الخيال ، و كأن وجهها الهلال ، عليها جبة صوف و قناع صوف . فقال : يا أخى ! إنه كان لى في هذا [البيت] آباء كرام ، يتداولون المملكة و يتوارثونها

(١) في الأصل : زروع .

(٢) في الأصل : و سار .

(٣) أى لا عليك حرج .

كأبراً عن كابر إلى أن ماتوا ووصل الأمر إلى ، و بغض الله لي الدنيا ، فأردت أن أسبح في الأرض ، وأترك الناس ينظرون لأنفسهم ، تخفت عليهم من دخول الفتنة ، و تضييع الشرائع ، و تشتيت شمل الدين ، فبايعوني مكرها ، و تركت أمورهم على ما كانت عليه ، و جعلت لكل رأس منهم و عائل جرائته بالمعروف ، و لبست ثياب الملك ، و أقعدت العبيد على الأبواب إرهاباً لأهل الشرور ، و رداً عن أهل الخير ، و إقامة الحدود ، فاذا فرغت من ذلك كله ، دخلت منزلي ، فأزلت ثياب الملك و لبست ما أسأل عنه ، و هذه ابنة عمي وافقتني في الزهادة ، و ساعدتني على العبادة ، و نحن نعمل من هذا الخوص بالنهار ما نفطر عليه بالليل ١٠ منذ أربعين سنة . فاقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا ، و نفطر معنا ، و تبيت عندنا ، ثم تنصرف بحاجتك إن شاء الله تعالى . فلما كان عشية النهار إذا بغيلام خماسي قد دخل فأخذ ما عملاه من الخوص ، و صار به إلى السوق فباعه و اشترى منه خبزاً و إداماً و أتى به . قال : فأفطرت معهما ، و بت عندهما . فقاما من نصف الليل يصليان و يبكيان . فلما كان ١٥ الف / ١٥٤ عند السحر قال : اللهم ! إن هذا الرجل أتانا / يطلب ردّ صحابته عليه ، و أنت على ذلك قدير ، اللهم ! أره إجابته و اردد عليه صحابته . قال : و أمنت زوجته على دعائه ، فاذا السحابة قد نشأت في السماء ، فقالاتي : البشارة ! قال : فودعتها و انصرفت ، فانصرفت السحابة تتبعني كما كانت . فأنا بعد ذلك لا أسأل الله شيئاً بحرمتها الا أجابني و أعطاني . و قد قيل في ذلك : ٢٠ و إن لربي صفوة من عباده قلوبهم في روض حكيمته تجري و أبدانهم (١٣) ٥٢

و أبدانهم قد أسكنت حركاتها
 تراهم صفوفا خاشعين لربهم
 صفوا فدنوا ثم استقرت قلوبهم
 فهم حجب المولى على الخلق كلهم
 يضيء ظلام الليل حسن وجوههم
 لما في صدور القوم من خالص اليسر
 و أنفسهم مجموعة الهم و الفكر
 بحيث يرون الغيب بالغيب كالجهر
 لدعوتهم سكب السحاب بالقطر
 فربو على الأقمار والأنجم الزهر ٥

نعود - ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، أو ثقه الجور أو أطلقه العدل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولي ولاية أحسن فيها أو أساء ، أتى يوم القيامة وقد غلت يمينه إلى عنقه ، فإن كان عدل في حكمه ، أطلق من أغلاله ، وجعل في ظل عرش الرحمن ، وإن كان لم يعدل في حكمه ، غلت شماله إلى يمينه ، فيسبح في عرقه حتى يغرق في جهنم .

عن أنى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المقسطين ١٥ عند الله يوم القيامة على منابر من نور الرحمن . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين يعدلون في حكمهم وأهملهم وما أولّوا . وقال طاووس / البيهقي : خير الناس منزلة عند الله إمام مقسط ، وشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل الجور في عدله .

قال بعض الصالحين : إذا دخل الرجل المؤمن الجنة يفتح الله تعالى ٢٠

(١) في الأصل : كالتقطر .

عليه من العلم ما يراد أعظم من نعيم الجنة ، و الإيمان هو الإذعان للحق على سبيل التصديق له باليقين . و الإحسان يحزى الحسنى فى الإيمان و الإسلام . و التقوى جعل النفس فى وقاية من سخط الله تعالى ، و ذلك بقمع الهوى و السعة فى علم الحق و فعل الخير . [و البر - ١] مشتق^٢ من البرأى السعة من الأرض ، و هو المعبر عنه بانسراح الصدر و اطمئنان القلب . و الإخلاص أن يقصد الإنسان بما يفعله و جهه الله متعرياً من الالتفات إلى غيره . و لما كان الإيمان و الإسلام و التقوى متلازمة ، قال فى الجنة : " أعدت للتقين " ، و فى موضع آخر : " أعدت للذين آمنوا " ، و فى موضع آخر^٣ : " و من يسلم وجهه لله و هو محسن " - الآية .

١٠ و ينبغى للسلطان أن لا يشارك رعيته فى متاجرهم ، بل يدعهم يتجرون و يعيشون فى أيامه بالريح ، فان عمل تاجراً أوقف حالهم ، فانهم لا يقدرون يزايدون و كلاءه فى السلع خوفاً و جزعا ، فيصير الربح له دونهم ، فيحصل لهم الضرر لعدم شرائهم لما يتبلغون به ، و يحصل للبايعين؛ لتلك السلع الضرر لبخس الثمن ، التى لو تركت لتزايد الناس فيها لرغبتهم فى شرائها ، ١٥ و أيضاً فى ذلك سقوط قدر الملك و إزراء بحسن اسمه ، فيقال : صار الملك كأحد الباعة .

قال بعض الحكماء : إذا شارك السلطان الرعية فى متاجرهم ملكوا ،

(١) زيد ما بين الحاجزين للسياق .

(٢) فى الأصل مشتقا .

(٣) قرآن كريم سورة ٣١ آية ٢٢ .

(٤) فى الأصل : للتابعين .

وإن شاركوه في حمل السلاح، هلك. دخل محمد بن السهك الواعظ السوق فقال: يا أهل السوق اسوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، و جاركم حاسد، / و ماواكم النار. و قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إذا لم يكن التاجر فقيها، ارتطم في الربا - يعني غرق في الربا - ثم ارتطم، ثم ارتطم. و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لم يتفقه في الدين، فلا يتجر في سوقنا. ٥

قيل: كان للملك كسرى هرمز بن سابور^١ وزير، فكتب إليه كتابا يذكر فيه أنه وصل من جانب البحر تجار معهم اللؤلؤ و الجواهر النفيس القيمة، و أنني ابتعت منهم برسم الخزينة السلطانية بمبلغ مائة ألف دينار، و الآن فقد حضر فلان التاجر و دو يطلب الجواهر بربح كثير، فان رغب الملك فليرسم بما يراه، فكتب كسرى هرمز جوابه فقال: مائة ألف دينار ١٠ و مائة ألف دينار و أمثالها ليس لها في أعيننا خطر لئلا نرغب فيها بوجه من الوجوه، و إذا عملنا عن التجارة، فمن يعمل الإمارة و السلطنة! فانظر أيها الوزير الجاهل لنفسك و لا تعد لمثل هذا الكلام، و لا تخلط في أموالنا درهما واحدا و لا دانقا فردا من أرباح التجارات، فان ذلك يسقط قيمة الملك، و يزري بحسن اسمه، و يصير سببه في حال حياته. ١٥

و حكى أن سلطان مدينة قيصور بأرض الهند إذا عزم المراكب على السفر من مدينته، يسأل تجاره و نوابه^٢: هل لكم عند أحد دين؟

(١) جائز أن يكون المقصود سابور الأول، و حكمه من ٢٤٠ إلى ٢٧٢ م، والذي و ليه بعد موته كسرى هرمز. (Hormisdas)

(٢) في الأصل: نوابته.

هل بقي لأحدكم في بلادى درهم واحد؟ فمن بقي له شيء عند أحد قضاة السلطان من ماله أخذوا أضعافه من ذلك . هذا كله حتى لا تدم بلادهم ، فيصير من عليه دين للتجار الغرباء يبادر في وفائه حتى لا يوفيه السلطان و يأخذ من الذى هو عليه بعد سفر التجار أضعافه . و مدينة قيصور هذه من جزيرة راملية بها البقم الجيد . و ذكر أن الأشجار بقيصور و نواحيه مشتبكة جدا و أكثر ثمارها متموم .

عن أبي العباس الموصلى قال : كنا ليلة عند الشيخ عبد القادر الكيلانى ببغداد ، فجاءه الخليفة المستنجد بالله^٢ أبو المظفر يوسف ، فسلم عليه و استوصاه و وضع / بين يديه مالا فى عشرة أكياس يحملها عشرة من الخدم . فقال له الشيخ : لا حاجة لى فيها . فأبى الخليفة إلا قبولها . فأخذ الشيخ كيسا منها فى يمينه . و آخر فى يساره ، ثم عصرهما فسالا دما . فقال : يا أبا المظفر ! أما تستحي من الله تأخذ دماء المسلمين و تقابلنى بها . فغشى على الخليفة ، فقال الشيخ : و عزة المعبود الو لا حرمة اتصاله - يعنى الخليفة - برسول الله صلى الله عليه وسلم لتركتم الدم يجرى إلى منزل قصره . و قال له الخليفة المذكور يوما : أريد أن أرى شيئا من الكرامات ليطمئن قلبى . قال : ما تريد؟ قال : أريد تفاعحة من الغيب . و لم يكن أوان التفاعح بالعراق . فمد الشيخ يده فى الهواء فاذا فيها تفاعحتان . فأعطاه واحدة ، و كسر الشيخ الأخرى ، فاذا هى بيضاء بفوح منها رائحة المسك . ثم كسر الخليفة التى فى يده ، فاذا فيها دودة . فقال الخليفة :

(١) فى الأصل : و أخذ . - و وضح أن الواو زائدة من السياق .

(٢) الخليفة العباسى و خلافته ٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م .

ما هذه الدودة؟ فقال الشيخ: يا أبا المظفر! لمستها يد الظالم فدودت .
واعلم أن مثل السلطان العادل مثل ياقوته نفيسة رفيعة في وسط العقد،
ومثل الرعية مثل سائر الشذر، فلا تلاحظ العيون إلا الواسطة، وإنما
يبصر المقلبون و ينتقد الناقدون الواسطة، وإنما يثنى المثنون على الواسطة،
فكلما حسنت الواسطة غمرت سائر الشذر .

كتب أردشير^١ أحد ملوك فارس كتابا يقول فيه: «من أردشير

ملك الملوك إلى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة، و الفقهاء الذين هم
عماد الدين، و الأساورة الذين هم حماة الحرب، و الحراثين^٢ الذين هم
عمار الأرض، سلام عليكم، و نحن كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها .

لا تستشعروا الحقد فيدهمكم عدوكم، و لا تحبوا الاحتقار^٣ فيشملكم
القحط، و كونوا لأبناء السبيل مأوى تؤووا غدا في المعاد، و تزوجوا
في الأقارب فإنه أمس في الرحم و أقرب للنسب، و لا تركنوا إلى
الدنيا، فإنها لا تدوم لأحد، / و لا تهتموا لها فلن يكون إلا ما شاء الله،
و لا ترفضوها فإن الآخرة لا تنال إلا بها . و كان لغته و لغة قومه

(١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس . و وردت الكلمة في الأصل
«أردشير» بالزاي .

(٢) في الأصل: الحراثون .

(٣) كذا في الأصل، و لعله: الاحتكار .

الفهلوية، وهي من اللغات التي لم يبق لها مترجم . وكانت وصيته لابنه سابور : يا بني ! إن الدين و الملك أخوان ، لا غنى بواحد منهما لصاحبه ، فالدين أس ، و الملك حارسه ، و ما لم يكن له أس فهدوم ، و من لم يكن له حارس فضائع .

٥ قال عبيدة السلماني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما بال أبي بكر و عمر رضي الله عنهما انطاع الناس إليهما ، و الدنيا أضيق عليهما من شبر ، فاتسعت عليهما ، و وليت أنت و عثمان الخلافة و لم ينطاعوا لكما ، و لا امتنعت و صارت عليكما أضيق من شبر . فقال : لأن رعية أبي بكر و عمر مثلي و مثل عثمان ، و رعيتي أنا اليوم مثلك و شبهك .

١٠ حكى أن بعض الملوك وجد الملك لذيدا ، فشاور وزراءه ، فقال

لهم : بم دوام الملك ؟ قالوا : بطاعة الله و لزوم العدل ، فقال : لازموني بما فيه طاعة الله و العدل ، فمكث أربعائة سنة مليكا ، فأتاه إبليس فقال له : من أنت ؟ قال : ملك من ملوك الأرض ، فقال إبليس : بل أنت إله ! لو كنت مليكا لكنت مت كما تموت ملوك بني آدم . فتخيل ذلك

١٥ في نفس الملك ، فجمع أرباب دولته و رعيته ، و خطب خطبة ذكر فيها أنه إله لا ملك ، و قال : لو كنت مليكا لمت كما ماتت ملوك الأرض ، و إنما أخفيت عليكم أمرى ، فما فرغ من كلامه حتى ارتعش و اضطرب

(١) في الأصل : عليهم .

(٢) في الأصل : لكم .

من مكانه ، و ساط الله عليه بخت نصر^١ البابلي ، قتله و أخذ من خزائنه
و قر سبعين سفينة مملوءة ذهبا . شعر :

لما رآه عدوه لم يستطع ثبثا^٢ وحل القلب منه [في - ٢] ذهول
لم يغن عنه ويحه سلطانه و سريره و التاج و الإكليل

/ و اعلم أن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية و القيام لله بطاعته ، ٥ / ١٦١ ب

و لا قوام للشرعية إلا بالملك ، و لا عز للملك إلا بالرجال ، و لا قوام

للرجال إلا بالمال ، و لا سبيل للمال إلا بالعمارة ، و لا سبيل للعمارة إلا

بالعدل ، و العدل هو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الله تعالى ،

و جعل لهم قيا و هو الملك . و قال عمرو بن عبيد للنصور : إنك

لا ترضى من الله إلا بالعدل عليك فاعدل على من دونك . و قال : إن الله ١٠

عز و جل قد أعطاك الدنيا بأسرها ، فاستر نفسك ببعضها . و ينبغي

للساطان أن ينصف المظلوم من نفسه ، و يتقى الله في أمره ، و إذا رأى

الحق ، انقاد له و عمل به ، كما قال الربيع بن زياد : ما رأيت رجلا قط

أربط جأشا و لا أقوى جنانا من رجل رفع إلى أمير المؤمنين أبي جعفر

النصور^٣ أن عنده ودائع و أموالا^٤ لبني أمية ، فأحضره و قال : ١٥

(١) المقصود بنوخذ نصر الذي حكم بابل سنة ٦٠٥ - ٥٦١ ق . م . و استولى

على القدس مرتين سنة ٥٩٧ ق . م . و سنة ٥٨٦ ق . م .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول إلى الثاني .

(٣) أضفنا الكلمة ليستقيم ميزان الشعر بدون اختلاف المعنى .

(٤) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٥) في الأصل : أموال .

أخرج لنا عما تحت يدك من ودائع بني أمية و أموالهم . فقال :
يا أمير المؤمنين ! أوارث أنت لبني أمية ؟ قال : لا . قال : فوصي لهم
في أموالهم و رباعهم ؟ قال : لا . قال : فما سألتك عما في يدي من ذلك ؟
قال : فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه إليه فقال : إن بني أمية
ه ظلموا المسلمين ، و أريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين ، فأجعله في بيت
مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين ! يحتاج إلى إقامة البيّنة العادلة على
أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه و ظلموه دون غيره ، فقد كان لبني
أمية أموال غير أموال المسلمين . فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه
فقال : صدق يا ربيع ! ما يجب على الشيخ شيء فاصرفه .

١٠ فانظر إلى المنصور كيف ظهر له الحق فقبه ، ولم يظلم الرجل
في أخذ شيء منه قهرا . و ينبغي للملك أن يتواضع لعظمة الله / و لا يتجبر
و لا يتكبر ، فيخاف عليه إن تجبر أو تكبر و وقوعه في الكفر ، كما
وقع فيه الوليد^١ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بتكبره و تجبره ،
و ذلك أنه فتح المصحف ليأخذ فيه فألا ، فطلع له في أول ورقة
١٥ اختارها^٢ ” و استفتحوا و خاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم و يسقى
من ماء صديد ” - الآية . فغضب الوليد من ذلك ، و تكبر و تجبر
و نصب المصحف عرضا و رماه بالسهم إلى أن مزقه ، و هو يقول

١٦٢/الف

(١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) قرآن كريم سورة ١٤ آية ١٥ و ١٦ .

هذه الآيات :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

و كان الملك الرستمى من المتكبرين المتجبرين ، فحضر عنده قوم

من التجار ، فحضرت الصلاة ، فنهض ايضلى ، و نهضت التجار للصلاة ، ه

فقال لهم : ما لكم و لهذا ا و ما أنتم منه ! الصلاة ركوع و سجود و خضوع

و إنما فرض الله الصلاة يريد المتكبرين و المتجبرين و الملوك الأعظم

مثلى و مثل فرعون ذى الأوتاد و نمرود و كسرى أنوشروان .

قال أبو الليث السمرقندى : من جلس مع ثمانية أصناف من الناس

زاده الله ثمانية أشياء : من جلس مع السلطان زاده الله الكبر و قساوة ١٠

القلب ، و من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا و رأى الرغبة

فيها ، و من جلس مع الفقراء زاده الله الشكر و الرضى بقسمة الله

تعالى ، و من جلس مع النساء زاده الله الجهل و الشهوة ، و من جلس

مع الصبيان زاده الله اللعب و المزاح ، و من جلس مع الفساق زاده الله

الجرأة على الذنوب و تسويف التوبة ، و من جلس مع الصالحين زاده الله ١٥

الرغبة فى الطاعات ، و من جلس مع العلماء زاده الله العلم و الورع - انتهى .

[ما قيل فى الكبر و مقتته - ٢]

و سأذكر ما جاء فى الكبر و مقتته فى الناس إن شاء الله تعالى -

(١) فى الأصل : ذو .

(٢) العنوان من النص و غير وارد بالهامش .

عن أبي هريرة عن هناد قال : / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازغني واحدا
 منها قذفته في النار - خرجه الترمذي . و عن علقمة عن عبد الله بن
 مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من في قلبه
 ه مثقال ذرة من كبر - خرجه مسلم . و عن إياس بن [سلية بن - ١]
 الأكوخ عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال العبد
 يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ، فيصبيه ما أصابهم - خرجه الترمذي .
 و عن عمرو بن شعيب عن أبيه [عن جده - ٢] عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ،
 ١٠ يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن [في - ٢] جهنم يسمى
 بولس ، تلوهم نار الأنيار^٣ ، يسقون من عصارة أهل النار ، طينة الحبال -
 خرجه الترمذي . عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم ، أو^٤ ليكون
 أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخبز بأنفه ، إن الله قد أذهب
 ١٥ عنكم عبية الجاهلية ، إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، كلهم بنو آدم

(١) زيد ما بين الحاجزين من تهذيب التهذيب .

(٢) زيد من الترمذي - القيامة .

(٣) جمع نار .

(٤) من الترمذي ، وفي الأصل : في .

(٥) من الترمذي ، وفي الأصل « و » .

و آدم خلق من تراب - خرجته الترمذى . و عن أبي هريرة قال :
 إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية و فخرها بالآباء . عن أبي مالك
 الأشعري أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أربع في أمتي من أمر
 الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، و الطعن في الأنساب ،
 و الاستسقاء بالنجوم ، و النياحة . و قال : النائحة إذا لم تدب قبل موتها ٥
 تقام يوم القيامة و عليها سربال من قطران و درع من جرف - خرجته
 مسلم . عن أبي بن كعب قال : انتسب رجلان على عهد النبي صلى الله
 عليه و سلم فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعة - فمن أنت ؟
 لا أم لك ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : انتسب رجلان
 على عهد موسى فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعة - فمن أنت ؟ ١٠
 لا أم لك ! قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله تعالى إلى
 موسى : أنت هذين المنتسبين [فقل لهما - ١] أما أنت أيها المنتهى -
 أو المنتسب - إلى تسعة في النار ، أنت عاشرهم في النار . و أما أنت أيها
 المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهم في الجنة .

كان الملك يزجرد^٢ أحد ملوك فارس فظا خشن الجانب ، شديد ١٥
 الكبر ، فاجتمعوا و دعوا الله عليه ، و سألوه تعجيل الفرج منه ، فذكر
 أنهم رأوا فرسا أقبل حتى وقف ببابه . فأضاف الناس متعجبين من
 حسنه ، فأخبروه بذلك ، فقام فنظر إليه فأعجبه فأمر بأسرجه و إجماعه ،

(١) زيادة يقتضيهما السياق .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

فلما أسرج مسح وجهه و ناصيته و استدار حوله فركضه ركضة^١ أصاب بها كبده فقتله، ثم ملأ الفرس فروجه فلم يدركه. و أما بهرام جور فغاص هو و فرسه في حمأة في بعض أيام صيده فلم يظهر كما أخبر. و اعلم أن الكبر هو نظر العبد إلى نفسه بعين العز و الاستعظام، و نظره إلى غيره بعين الاحتقار، و كل من رأى نفسه خيرا من خلق الله تعالى فهو متكبر. قال الشاعر يرد على المتكبر كبره بالتعنيف حيث قال:

من أين لك الكبر من^٢ أين ألت من مخرج السيلين
أبوك بالأمس كان من علق و جيفة أنت بعد يومين

١٠ / ب / ١٦٣ / رأى بعضهم رجلا يمشى و يتبختر في مشيته، فقال له: ما هذه المشية التي لم يمشها غيرك؟ قال: أو ما تعرفني؟ قال: نعم، أعرف، أولك نطفة مذرة، و آخرك جيفة قدرة، و أنت فيما بينها تحمل العذرة. فحجل الرجل من كلامه و مضى.

دخل بعضهم إلى بعض القضاة فقال: أيها القاضي إن فلان بن فلان قال لي: يا خراء! فقال له القاضي: لست بخراء، و إنما أنت ظرف للخراء، فحجل من كلامه و انصرف - انتهى.

فينبغي للوك و أرباب المناصب التواضع لعظمة الله تعالى، و أن يكثروا من الحمد و الشكر لله تعالى الذي خولهم في أرضه، و أسبغ

(١) المقصود رفسه رفسة.

(٢) في الأصل: و من. و الواو زائدة و ينكسر باثباتها وزن البيت.

عليهم نعمه ظاهرة و باطنة ، أن يجتنبوا الظلم و المعاصي أثلا يقعدوا بعد
العز في الذل ، كما وقع فيه بعض خلفاء بني أمية . و ذلك أن عبد الله
ابن مروان الجعدي خرج هاربا من بني العباس عند انصرام دولة بني أمية ،
فهرب هو و من معه من أصحابه بعد زوال ملك أبيه مروان ، و قد
صار بعد العز الضخم في الذل و الهوان ، فطلبوا أرض النوبة ، فلما
قدموها اقترشوا أثاثهم و أقاموا ثلاثة أيام ، قال عبد الله بن مروان :
فبينما نحن كذلك إذ أتانا ملك النوبة . و قد بلغه أمرنا ، فدخل عليّ
رجل أقى طوال حسن الوجه ، فقعده على الأرض ، و لم يقعد عليّ
فرشنا ، فقلت : ما منعك أن تقعد عليّ ثيابنا ؟ قال : لأنى ملك ، و حق
على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لى : لم تشربون
الخمور و هى محرمة عليكم ؟ قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا و أتباعنا ،
لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزرع بدوابكم ؟ و الفساد محرم
عليكم فى كتابكم . قلت : ذهب الملك عنا و قل / أنصارنا ، فانتصرنا بقوم
من العجم دخلوا فى ديننا ، فسلبوا^٢ ذلك على الكره منا . قال : فأطرق
مليا و جعل يقلب يديه و ينكت فى الأرض و يقول : عبيدنا ١٥
و أتباعنا دخلوا فى ديننا ، و زال الملك عنا ! يردد ذلك مرارا .
ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت ، بل أتم قوم استحلتم ما حرم الله عليكم ،
و ركبتهم ما عنه نهاكم ، فسلبكم العز و ألبسكم الذل بذنوبكم . و لله فىكم نعمة
لم يبلغ غايتها ! و أخاف أن يحل بكم العذاب و أتم يبلدى فيصينى معكم !
(١) و هو مروان الثانى آخر خلفاء بني أمية و خلافته ١٢٧ - ١٣٢ هـ
/ ٧٤٤ - ٧٥٠ م . (٢) فى الأصل : فلبسوا - كذا .

و إنما الضيافة ثلاثة أيام ، فزودوا ما احتجتم إليه و ارتحلوا عن بلدى .
قال : فارتحلنا عن بلده . فانظر إلى تواضع هذا الملك و جلوسه على
التراب تواضعا اعظمة الله تعالى إذ رفعه .

خرج الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ما نقصت صدقة من مال ، و ما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاء ،
و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . و خرج النسائى - عن عبد الله بن عباس -

قال : كان عبد الله بن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من
الملائكة و معه جبريل ، فقال الملك : إن الله يخبرك بين أن تكون
عبدا نبيا و بين أن تكون ملكا ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى جبريل كالمستشير ، فأشار جبريل بيده أن تواضع ! فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : بل أكون عبدا نبيا . فما أكل بعد تلك الكلمة
طعاما متكئا . و قال النبى صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه
الله ، و من تجبر قصمه الله . فينبغى للمؤمن التواضع ، و لا ينظر لأحد
من المسلمين إلا و يرى أنه خير منه ، و أن الفضل له عليه . / فان رأى

١٦٤/ب

١٥ صغيرا قال : هذا لم يعص الله و أنا عصيته ، فلا شك أنه خير منى ، و إن
رأى كبيرا قال : هذا عبد الله قبلى ، و إن رأى عالما قال : هذا قد
أعطى ما لم أعط ، و بلغ ما لم أبلغ ، و علم ما جهلت . فكيف أكون مثله !
و إن رأى جاهلا ، قال : هذا عصى الله بجهل ، و أنا عصيته بعلم ، فحجة الله
على أوكد ، و ما أدرى بم يختم لى . و إن رأى كافرا قال : لا أدرى

(١) فى الأصل : عطيته .

عسى أن يسلم و يختم له بخير العمل ، و ينسل بإسلامه من ذنوبه كما تنسل الشعرة من العجين . و أما أنا فعسى أن يضلني الله بالكفر و يختم لي بشر العمل ، فيكون غدا من المقربين و أنا من المبعدين .

قال صاحب كتاب « نتائج الأفكار » : إن خادما لعبد الله بن

عمر أذنب ، فأراد عبد الله أن يعاقبه على ذنبه ، فقال : يا سيدي ! أما لك ذنب تخاف من الله فيه ؟ قال : بلى ، قال : بالذي أمهلك إلا ما أمهلتني ! فتركه ، ثم أذنب العبد ثانيا ، فأراد عقوبته ، فقال له مثل ما تقدم ، فعفا عنه . ثم أذنب الثالثة فعاقه ، هو لا يتكلم . فقال له عبد الله بن عمر : مالك لم تقل كما قلت في الأولين ؟ فقال : يا سيدي ! حياء من حملك مع تكرار ذنبي ، فبكى ابن عمر و قال : أنا أحق بالحياء من ربي ، أنت حر لوجه الله ! ثم قال : كيف السبيل إلى ترك ذنب كان على العبد في اللوح المحفوظ مخطوطا ، و إلى ضرب قضاء كان به العبد مربوطا - انتهى .

نعود إلى أخبار الملوك - قال أفلاطون الحكيم : الملك كالنهر

تستمد منه الأنهار الصغار ، فان كان عذبا عذبت ، و إن كان ملحا ملحت . فضل الملوك في الإعطاء ، و شرفهم في العفو ، / وعزهم في العدل . إذا قال السلطان لأصحابه : هاتوا ، فقد قال : خذوا و اطلبوا .

قيل لبعضهم : أتحب أن تكون سلطانا ؟ فقال : و الله ما أرضى ذلك

لنفسى ! قيل : و لم ؟ قال : يكثر بغي ، و يتشعب ظلمي ، و يضرب على يدي ، و لا أترك أمشى وحدي .

٢٠

و ينبغي للجالس بمجلس السلطان أن لا يخاصم من ظله إذا طالبه

الخصم بحقه ، بل يكرم خصمه بذلك المجلس الذي تشرف بجلوسه فيه .
 كما قيل : إن عمارة بن حمزة لما دخل على أبي جعفر المنصور و جلس
 في مجلسه ، فقام رجل إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال :
 من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة هذا الجالس بمجلسك غصبتني ضيقتني .
 فقال المنصور : قم يا عمارة و قف مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين !
 ما هو لي بخصم ، قال : وكيف ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إن
 كانت الضيعة له لم أنازعه فيها ، و إن كانت لي فهي هبة مني إليه ،
 و لا أقوم من مجلس شرفي أمير المؤمنين بالجلوس فيه و أقف في أدنى
 منه بسبب ضيعة ! فقال المنصور : أحسنت فيما قلت ! و قال للخصم :
 ١٠ اذهب و تصرف في ضيعتك كيف شئت .

و كان بعض سلاطين المغرب يسير يوماً و بين يديه الشرط يمشون
 إذ نظر إلى جماعة من التجار ، فقال لوزيره : أما تحب أن أريك ثلاث
 طوائف ! طائفة لهم الدنيا و الآخرة ، و طائفة لا دنيا و لا آخرة ، و طائفة
 دنيا بلا آخرة . قال : وكيف ذلك أيها الملك ؟ قال : فأما الذين لهم
 ١٥ الدنيا و الآخرة فهؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ، و يصلون صلاتهم ،
 و لا يؤذون أحداً . و أما الذين لا دنيا و لا آخرة فهؤلاء الشرط الذين
 بين أيدينا يمشون . و أما الذين لهم الدنيا بلا آخرة فأنا و أنت و سائر
 السلاطين . قال بعضهم في المعنى :

أربعة منها القلوب نافره أحوالهم بين الوري ظاهره

فواحد دنياه مبسوطة ليست له من بعدها آخره ٢٠

/ و آخر دنياه مقبوضة إن له آخرة وافر

و آخر قد نال كليهما قد جمع الدنيا مع الآخرة
 و آخر أكرم ما فيها ليست له دنيا و لا آخرة
 و في منشور الحكم : بش الزاد إلى المعاد ظلم العباد ! حكى أن
 أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال : ما أحوجني أن يكون علي بابي
 بأربعة لا يكون علي بابي بأعف منهم ! قيل : ما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ٥
 هم أركان الملك و لا يصلح الملك إلا بهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع
 قوائم ، فان نقص منه قائمة واحدة عابته ، أحدهم قاض لا تأخذه في
 الله لومة لائم ، و الآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ،
 و الثالث صاحب خراج يستقضى فلا يظلم الرعية ، فاني غني عن ظلمهم ،
 ثم عرض علي إصبعه ثلاث مرات يقول في كل مرة : آه آه ! قيل : ١٠
 ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء علي الصحة ،
 فقد روي أن من بات غاشا لرعيته ، حرم الله عليه الجنة .
 و عن أبي حنيفة أنه دخل على أبي جعفر المنصور ، فقال :
 يا أبا حنيفة ! أعنا على أمرنا ، أي تصير قاضيا . قال أبو حنيفة : لا أصلح
 لهذا . قال : سبحان الله ! أعنا على أمرنا . فقال : يا أمير المؤمنين ! إن ١٥
 كنت صادقا عندك فقد أخبرتك أني [لا] أصلح لهذا الأمر ، و إن
 كنت كاذبا فلا يحل لك أن تولى كاذبا .
 روى ابن عباس قال : لما حج النبي صلى الله عليه و سلم حجة
 الوداع ، أمسك حلقه باب الكعبة ثم هزها و بكى ، فنهض إليه
 أبو بكر و قال : يا حبيبي ! لا أبكي الله لك عينا ! فقال له : يا أبا بكر ! ٢٠

(١) في الأصل : مسك .

و كيف لا أبكي و هذه آخر حجة لنبيكم و ليس لي حجة غيرها ،
 و إنما بكائي على فراق الكعبة و توديع المسلمين ، فليبلغ الحاضر الغائب
 عنى ما أقوله ، أمثالكم كورق بلا شوك إلى أربعمائة سنة ، ثم يأتى
 زمان منكم و أناس شوك بلا ورق ، حتى لا يرى فيهم / إلا سلطان
 ه جائر ، و غنى بخل ، و عالم راغب فى المال ، و عابد مرآه ، و فقير كذاب ،
 و تاجر فاجر ، و صانع خائن ، و شيخ غافل ، و شاب تائه ، و وصى
 و قبح ، و امرأة بلا حياء . فنهض سلمان الفارسى و قال له : يا جيبى !
 يا رسول الله ! متى يكون هذا الزمان على أمتك ؟ قال : يكونون فى
 ذلك الزمان يصومون و يصلون و يقرأون القرآن ، و يتمردون على
 ١٠ الرحمن ، و لا قلب لهم إلا قلبان ، إما خلى من الإيمان ، و إما كسبه
 الشيطان ، تكون ألسنتهم أحلى من العسل ، و فعالهم مثل ریح البصل ،
 قلوبهم تبكى على سوء فعالهم . فعند ذلك نهض عكاشة و قال :
 يا جيبى ! يا رسول الله ! متى يكون هذا الزمان على أمتك ؟ قال له :
 يا عكاشة ! إذا وهتم علماءكم ، و شاورتم نساءكم ، و افتخرتم بأنسابكم ،
 ١٥ و طففتم مكياكم ، و دخل الربا فى أسواقكم ، و جعلتم الدنيا فوق رؤسكم ،
 و العلم و القرآن خلف ظهوركم ، و الغيبة فاكهتكم ، و النميمة نصيحتكم ،
 و عيوب الناس مجالسكم ، و لم يوقر صغيركم كبيركم ، و لا يرحم غيبكم
 فقيركم ، و تركب الفروج السروج ، و تأكل القضاة الرشى ، و تشهد الشهود

(١) فى الأصل : تكونوا .

بالزور، و يخفى الحق و يظهر الباطل، و يشيد البناء، و تظلم العبيد
و الإمام، و يحكم بالجور، و يزهد في العلم، و تأكل الأم من كسب فرج
ابنتها، و يرى المؤمن منهم ذليل، و المناقق بينهم عزيز، و يكون في ذلك
الزمان الأمير كالأسد، و القاضي كالذئب، و التاجر كالثعلب، و الفاسق
كالكلب، و المؤمن كالشاة؛ فإياها من شاة بين أسد و ذئب و كلب
و ثعلب! و مما قيل في معنى ذلك 'هذان البيتان'.

زمان مصيبة و زمان جور و ظلمة ظلم^٢ أشرار الخوارج

و ضعف الشرع و الدين المعلى و خرجة داخل و دخول خارج

و اعلم أن المشى إلى السلاطين الظلمة، و الأمراء الجائرة، من غير ضرورة

تواضع و إكرام لهم، فهو تكثير لسوادهم، / و إعانة لهم على ظلمهم ١٠ / ١٦٦

و جورهم، و ما ذلك إلا سبب لطلب ما لهم، فهو^٣ سعى إلى حرام. قال

النبي صلى الله عليه و سلم: من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه. هذا في غنى

صالح، فما ظنك بالغنى الظالم!

فينبغي للملك أن يكون متقيا للظلم، كافا يده عن الأذى و الجور،

لا يأخذ أحدا بغير جرم، و لا يتعدى إلى هتك حرمة، فان في هتك الولايات

البلايا. كما حكى أن ملكا هتك ولاية، فحصل له بهتكها بلية. و ذلك

(١-١) في الأصل: هذين البيتين.

(٢) في الأصل: أظلم.

(٣) في الأصل: نهى.

أن بعض الملوك كان عادلا في رعيته . محسنا [في - ١] قضيته ، فكانت رعيته في دولته في سعادة و نعمة بسبب عدله فيهم ، فمات ولم يترك غير ابنة واحدة ، و كانت جميلة كبيرة المروءة ، كثيرة الصدقات ، من سألها أبرته و من طلب منها شيئا أعطته . و ترك لها أبوها من المال كثيرا ، ه فكان كل [من - ١] قصدها و وصلته من نعمها . فولى الملك بعد أبيها ملك ظالم جائر غاشم ، فقصد الملك بناء مسجد ، فسخر الناس في بنائه ، و منع البنائين أجرتهم ، فسألوه الصدقة عليهم بها أو يعضها ، فأعطاهم بعضها من المظالم ، فشاع الخبر بأن المسجد لم يبن إلا بالمال الحرام . فشق ذلك على ابنة الملك المتوفى ، فركبت إلى بعض أمورها ، فاجتازت بالمسجد المذكور ، فوجدته كامل البناء ، و تأسفت كيف بنى بالظلم و إعطاء

الأجر من المظالم ، فكتبت على حائطه هذا البيت :

بنى مسجد الله من غير حله فكان بحمد الله غير موفق

و مضت إلى حال سبيلها . فبلغ الملك كتابتها على حائط مسجده ذلك

البيت : الشعر ، فبلغ منه كل مبلغ ، و اغتاض منها غيظا شديدا . و كان

١٦١ / الف ١٥ بلغه كرمها و كثرة صدقاتها ، فجعل يدبر حيلة يكسدها بها ، / فأرسل إليها

بعض رجاله يسألها رمانة لزوجته الحامل اشتيتها ، كادت تموت إن

لم تأكلها ، و أن يقول لها : ما وجدتها بدرهم و لا بأكثر منه . و لم يكن

الرمان إلا ببستان الملك ، و قد مضيت إلى خولى البستان و سألته أن

(١) الكلمة ساكنة من الأصل

يتصدق برمانه أو بثمانها، فلم يرض، وأنت فصدقاتك كثيرة، ولعل
 أن تنفذي إليه وتأخذي لي^١ منه رمانه، وما أظنه يرضى، وأريد من
 فضلك وإحسانك أن تتصدقى وتركي إليه تأخذينها^٢ لي منه، فاني أعلم
 أنه لا يعطيها لرسولك أبدا. فاذا رآك آتيته بنفسك، فيستحي منك وتمنى
 بها علي^٣، وإن لم يرض أن يعطيها لك إلا بالثمن الكثير، فما لك فيه ه
 سعة، وأنا أرجو أن لا يخيب الله سعيك، ويعظم لك أجرك، ويعوضك
 خيرا عما تنفقينه^٤ لوجه الله تعالى. وكان الملك قدم القول مع الخولي:
 اذا أتتك بنت الملك، ودفعت لك في كل رمانه ألف دينار لا تبعها
 لها أبدا، وقل لها: ما أعطيك^٥ رمانه إلا أن تمكيني من نفسك، فان
 رضيت دفعت لك ما تختارينه من الرمان. ثم إن الرجل لما سأها الرمانه ١٠
 لزوجته، رقت لحاله وتضرعه وحال زوجته التي اشتتها، فأخذت معها
 مالا ومضت إلى البستان وهو يتبعها ماشيا^٥ خلف دابتها، وهو يبتهل
 بالأدعية الصالحة لها، فكلما سمعته يدعو لها تؤمن على دعائه، وتشفق
 عليه، وربما بكت بسبب انكساره وخضوعه فقالت: والله لا أرجع
 من مقصدى هذا حتى أجبر كسر هذا المسكين الذليل الحقير ولو بلغت ١٥

(١) في الأصل: له .

(٢) في الأصل: تأخذها .

(٣) في الأصل: تنفقيه .

(٤) في الأصل: أعطيكى .

(٥) في الأصل: ماش .

الرمانة ألف دينار! فلما وصلت إلى البستان قالت له: اطلب لي الخولى .
 / فأحضره، فقالت له: أعطني رمانة من بستانك، فامتنع فعاودته فامتنع،
 فقالت له: أما تعطى لابنة ملك رمانة سألتكها؟ قال: لا والله! فقالت:
 خذ ديناراً وأعطنيها. قال: لا. قالت: خذ دينارين. قال: لا. فما
 زالت تدرجه إلى عشرة دنانير وهو يقول: لا. قالت: فما تطلب فيها؟
 قال: أطلب نفسك لا مالك. فلما سمعت ذلك منه، لعنته وشتمته وسبته
 وولت راجعة، فتعلق الرجل بذيلها وقال: سألتك بالله إلا ما حييت
 ثلاثة أنفس من الموت. إن لم تحصل الرمانة هلكت زوجتى وولدى الذى
 فى بطنها، وهلكت أنا بعدهما من وجدى بهما. وصار يدعو لها ويتضرع
 ١٠. ويلقى نفسه إلى الأرض و يتمرغ على التراب، ويبيكى ويستغيث ويقول:
 ادخلى فىّ و فى زوجتى [وولدى] الجنة، وخذى لى منه رمانة. فرق
 قلبها، ودمعت عينها شفقة عليه. ثم قالت: ويلك يا هذا! أعصى الله
 تعالى و أبارزه بالمعصية و أفترض مع فلاح! فقال: أنا والله ما أتم عليك
 و لا أفوه بكلمة، و لا أظهر حالك لأحد، والله تعالى يقبل التوبة عن
 ١٥ عباده و يعفو عن السيئات، ثم قابلى سيئتك بحسناتك، قال الله تعالى
 "إن الحسنة يذهب السيئة" و قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتبع
 السيئة الحسنة تمحها. وإني والله كاتم لسرك، و أقول كما قال الشاعر
 حيث قال:

(١) الكلمة ساقة من النص و واردة بالهامش .

(٢) قرآن كريم - سورة - آية ١١٤ .

ولها سرار في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيه
 وإن تكلم الخولى بشيء ما سمع منه ، لأنه يستحيل أن يكون فلاح^١
 يتصل بنت ملك . ولم يزل يسليها بعذوبة كلامه ، والخولى يراودها
 عن نفسها حتى رضيت ، فواقعها الخولى وأعطاها رمانا / كثيرا ،
 فدفعته للرجل الذي قصدها . ثم ان الخولى أطلق بطاقة كانت عنده ه
 بمواقعها ، فلما وصلت البطاقة إلى السلطان على جناح الطائر ، رسم الملك
 أن يكتب سريعا تحت البيت الذي^٢ كتبه هي على حائط المسجد هذا
 البيت لتجوز تقرأه في رجوعها من البستان وهو هذا :

كطعمة الرمان من كسب فرجها فليتك لا تزنى ولا تتصدقني

فلما رجعت المرأة نظرت بيتا من الشعر كتب تحت بيتها الذي كانت كتبه ، ١٠
 فتقدمت إليه ، فلما قرأته علمت أنها احتيل عليها ، فوقع مغشية عليها
 لما حصل لها من القهر ، فحركت وإذا بها قد ماتت ! فعوقب ذلك الملك
 بالسلب من نعمته وزوال مملكته بعد ، وقوى [خصمه^٣] عليه ،
 وأوصل شره إليه ، وذلك لهتكه لتلك الولية ، فقابله الله في نفسه
 بالبلية ، وجعل بعد الملك في الأسر ، وبعد العز بالذل والخسر . ١٥

حكى أن رجلا من بني إسرائيل كان ينادى : من رآني فلا يظلمني
 أحدا ، وإذا هو قد وقعت الأكلة في ذراعه إلى عضده ، فسئل عن

(١) في الأصل : فلاحا .

(٢) في الأصل : التي .

(٣) الكلمة ساقطة من الأصل ، وازومها ووضح من السياق .

حاله فقال: بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام إذ مررت برجل صياد قد اصطاد سبع حيتان، فأخذت منه حوتاً وهو كاره بعد أن ضربت رأسه، فعض الحوت إبهامي عضه يسيرة، فوَقعت الأكلة في كفي ثم ساعدى ثم عضدى، فخرجت أسير في البلاد
 ٥ أريد قطع عضدى إذ وقعت إلى شجرة فأويت إلى ظلها فمنت، فقيل لى
 فى المنام: لاى شىء تقطع أعضائك! رد الحق إلى أهله. فجئت الصياد فقلت:
 يا عبد الله! أنا عبدك و مملوكك فأعتقنى، فقال: ما أعرفك. فأخبرته الخبر.
 فبكى و تضرع / و قال: أنت فى حل من ضربك و من الحوت الذى أخذته
 ١٦٨ / ب منى ظلماً. فلما قال ذلك، تناثر الدود و سكن الوجع، فقلت له: بما دعوت
 ١٠ على؟ قال: لما ضربت رأسى و أخذت الحوت منى، نظرت إلى السماء
 و بكيت فقلت: يا رب! أنت عدل تحب العدل، و هذا منك عدل و أنت
 حق تحب الحق، و خلقتنى و خلقتة، و جعلته قويا، و جعلتنى ضعيفاً،
 فأسألك يا من خلقتنى و خلقتة أن تجعله عبرة لخلقك.

و روى أن كسرى أنوشروان كان فى صغره له معلم حسن
 ١٥ التاديب، فعلمه حتى فاق فى العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب
 فأوجعه، فحقد أنوشروان عليه، فلما ولى الملك أمر باحضار المعلم و قال
 له: ما حملك على ضربى يوم كذا و كذا ظلماً؟ قال: أيها الملك!
 لما رأيتك راغباً فى العلم، رجوت لك الملك بعد أهلك، فأحببت أن
 أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم. فقال أنوشروان: 'زه زه' أى جيد

(١) فى الأصل: زاه زاه - كذا.

مليح ، و أحسن إليه و أكرمه - انتهى .

[ذكر ملوك الكفار - ١]

- ٢ ذكر ملوك الكفار الطغام ، و عبادة التماثيل و الأصنام ،
 و ما قيل في البرابي ، و الأقرونيات و النواميس و الهياكل
 و الأهرام و الطلاسم و غير ذلك من الواردات المستطردات ٥
 كان من ذرية قاييل بن آدم عليه السلام ملك جبار يقال له
 درمشيل ، يعبد الأصنام ، من دون الملك العلام ، و كان أول من شرب
 الخمر ، و اتخذ القمار ، و صعد على الأجرة ، و أول من أمر بصنعة الحديد
 و النحاس و الرصاص ، و أول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب . و كان
 يعبد هو و قومه الأصنام الخمسة : ٢ ودا و سواعا ٢ و يغوث و يعوق ١٠
 و نسرا ، و هم أصنام قوم إدريس عليه السلام . ثم إنهم شرعوا في عمل
 الأصنام حتى صار لهم ألف صنم و سبعمائة صنم على صور شتى ، فأمر
 الملك درمشيل أن يتخذ لهذه الأصنام كراسي و أسرة من الذهب
 مفروشة بأنواع الفراش الفاخرة ، و أقام هذه الأصنام على الأسرة
 متوجة بتيجان الذهب ، مرصعة بالجواهر ، / و لها خدام يخدمونها . ١٥
 فاذا كان يوم عيدهم . أخرجوا جميع الأصنام يقربون لها القرابين ،
 و يوقدون بين أيديها النيران . فاذا احترق ذلك القرابين ، خربا

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢-٢) هذا هو العنوان الكامل لما يلي من النص .

(٣-٣) في الأصل : ود و سواع .

للأصنام سجدا ، ثم يشربون الخمر ، و يضربون الصنوج و يرقصون ،
ثم يواقعون النساء مثل البهائم ، فكان جزاء عبادتهم لها غرقهم بالطوفان
في عهد نوح عليه السلام .

و كان الملك جندع بن عمير يعبد هو و قومه صنما له وجه كوجه
الإنسان ، و عنق كعنق البقرة ، و يدها و رجلاه كأيدى الخيل ، مغشى
بصفائح الذهب ، [امرصع بالجواهر ، في بيت عرضه أفرسخ ، مرصعاً
بصفائح الذهب] و الفضة ، مكوكباً بالجواهر ، كي يتلألوا تلالوا النجوم .
مفروشة ، أرضه بالديباج و الحرير . و جعل في هذا البيت سريرا من
العاج و الأبنوس على عرض البيت ، قوائمه من الفضة ، على كل ركن
١٠ من أركانه الأربعة جوهرة نفيسة . و كان لأبواب هذا البيت ستور سماها
ستور العز ، و ذلك الصنم قائم على ذلك السرير ، و جعل عن يمينه
و شماله أصناما دونه على كراسي ، و أخذمها أشراف قومه ، فكانت قوم
ثمود يعبدون تلك الأصنام ، فلم يزالوا يعبدونها إلى أن أخذتهم الرجفة ،
فأصبحوا في ديارهم جائعين .

١٥ و كان النمرود قد اتخذ أصناما من أنواع الجواهر و الذهب و الفضة
و القوارير و الخشب يعبدها هو و قومه .

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل ، و وردت في هامشه بخط المصحح .

(٢-٢) في الهامش : فرسخا مرصعا .

(٣) في الأصل : مكوكبا .

(٤) في الأصل : مفروش .

و كان لقوم لوط ملك يقال له سدوم ، قد اتخذ للأصنام بيوتا
من خزف و كراسي محلاة بالذهب و الفضة ، كانوا يعبدونها من دون
الله تعالى .

و كانت أهل الأيكة يعبدون الأصنام ، و ملكهم يقال له : عمرو
ابن صعب . و كانت تلك الأصنام عدتها ثلاثون صنما : عشرة منها هـ
من الذهب مغطاة بالجواهر ، على رؤسها التيجان ، و هي خاصة للملك
و لعشيرته ، و العشرون الآخرون من الفضة و النحاس و الحديد .
و صنع السامري ابني إسرائيل عجلا من الذهب و الفضة ، / عبدته
طائفتهم .

و كان لقوم إلياس صنم^١ على صورة امرأة ، عليه زينة عظيمة ، و على ١٠
وجهه بهجة في نهاية الحسن قد فن الناس حسن ذلك الصنم .
قال الشيخ أبو العباس المرسي : شكل الآدمي ما عدا أهل العصمة صنمى ،
فمن أقبل عليه عبده و من أعرض عنه و تحدد . و لما خرج عمرو بن عامر
و ولده من مأرب حين سيل العرم - كما تقدم ذكره - انخزع بنو ربيعة فنزلوا
تهامة فسموا خزاعة لانخزاعهم . و وليت خزاعة أمر الكعبة بعد حرب ١٥
جرى بينهم و بين أياد و مضر ابني نزار . فكان أول من ولي الكعبة من
خزاعة عمرو بن عامر ، فغير دين إبراهيم عليه السلام و بدله ، و بعث العرب
على عبادة التماثيل . و كان حين خرج إلى الشام ، و رأى قوما يعبدون

(١) في الأصل : صنما .

الأصنام ، فأعطوه منها صنما ، فنصبه على الكعبة ، و قويت خزاعة ،
و عم الناس ظلم عمرو بن عامر ، ففي ذلك يقول رجل من جرهم
حيث قال :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام

سائل بعاد أين هم فكذلك 'تخترم الأيام'

و بنى العماليق الذي لهم بها كان السوام

ولما أكثر عمرو بن عامر من نصب الأصنام حول الكعبة ، و غلب على
العرب عبادتها ، و امتحت الملة الحنيفية منهم إلا لمعا ، قال شحنة بن خلف
الجرهمي حيث قال :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصبا

و كان للبيت رب واحد أبدا فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفى حولكم للبيت حجابا

و عمّر عمرو بن عامر هذا ثلاثمائة سنة و أربعين سنة ، فلما جاء النبي صلى الله

عليه و سلم بالإسلام ، و أمر بعبادة الملك العلام ، جاهد في المشركين

١٥ الطغام ، و كسر ما كان لهم من الأصنام ، كما قال بعضهم في مدح

النبي صلى الله عليه و سلم حيث قال :

يا خير من عبد الرحمن مجتهدا و راقب الحق إسرارا و إعلانا

(١) في الأصل : فكذلك .

(٢) بدون تشديد ياء الأيام لاستقامة الوزن .

١/١٧٠ / وخير من رفض الدنيا وزخرفها / وحاد عنها ولم يعلى لها شأنًا
 كم عزيمة لك في الإسلام ماضية / أقيمت فيها لأمر الله برهانًا
 وكم فللت جموع المشركين وكم / ضربت أعناقهم شيبًا وشبانًا
 بهمة رفعت للدين سودده / ونكست من أعالي البيت أوثانًا

و قال عبد اللطيف التكريتي من قصيدة له يقول فيها : ٥

أقامه الله للدين القويم و قد / وهت عراه وسيف الكفر مسلول
 فقام في نصره حق القيام إلى / أن عاد جمع الأعدى وهو مفلول
 [و أظهر الحق والأصنام ظاهرة / في الجاهلية والإسلام مجهول
 وكف بالسيف كف الكفر حين طغى / فعاد من بعد شد وهو مغلول] ١

١٠ و شد أرب عرى الإسلام فانتظمت / فما استحالت وعقد الشرك محلول

و كانت ملوك و أمم كثيرة لها أصنام يعبدونها من دون الله تعالى ، تركنا
 ذكرها لطولها . فلنذكر الآن عاقبة عباد الأصنام و عاقبة اليهود
 و النصارى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

ذكر مسلم في صحيحه في حديث الشفاعة : إذا كان يوم القيامة أذن

مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله عز وجل
 عز وجل من الأصنام و الأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا
 لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر و فاجر و غير أهل الكتاب . فتدعى

(١) البيتان ساقطان من النص و وردا في الهامش بخط المراجع .

(٢) في الأصل : و شدا .

اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد العزيز ابن الله، فيقال: كذبتُم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا! فيشار إليهم: ألا تردون! فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا [فيتساقطون في النار-٣]. ثم تدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتُم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا رب فاسقنا! قال: فيشار إليهم: ألا تردون! فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار - الحديث إلى آخره. قوله تعالى: "و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله". قيل: بأى شيء يعرف أن محبة / المؤمن لله تعالى أشد من محبة الكافر للصنم؟ قيل: بخمسة أشياء: أحدها أن الكافر إذا أصابته شدة تبرأ من معبوده، والمؤمن لا يعرض عن الله تعالى في الشدائد والمحن. قوله تعالى: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون". وقال بعضهم في تسبيحه: ١٥ سبحان من يقتل أولادنا ونحبه! الثاني محبوب الكافر و معبوده كثير،

(١) من مرجع الحديث، وفي الأصل: فقيل.

(٢) من مرجع الحديث: وفي الأصل: ترون.

(٣) زيد من مرجع الحديث.

(٤) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٦٥.

(٥) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٥٦.

و محبوب المؤمن و معبوده واحد ، فالكافر يتبرأ من معبوده يوم القيامة .
 قوله تعالى : " اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا " - الآية ، و المؤمن
 لا يتبرأ من معبوده لا في الدنيا و لا في الآخرة . الثالث أن الكافر أظهر
 محبته لمعبوده من جهة واحدة و هي حبه له ، و محبوبه لا يحب و لا يبغض
 لأنه^١ جهله ، و محبة المؤمن من جهتين : يحب مولاه و يحبه مولاه . قوله ٥
 تعالى :^٢ " يحبهم و يحبونه " . الرابع محبوب الكافر يغيب عنه و يحتجب ،
 و معبود المؤمن و محبوبه معه في كل حال . قوله تعالى :^٣ " ما يكون
 من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم و لا خمسة الا هو سادسهم " . و الخامس
 معبود الكافر و محبوبه يحمل^٤ الكافر معه و يكفله ، و معبود المؤمن
 هو حامله و كافله ، قوله تعالى :^٥ " و هو معكم اين ما كنتم " الآية - انتهى . ١٠
 فلنذكر الآن ما قيل في الأعمال إن شاء الله تعالى - سئل علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه عن القضاء و القدر و أفعالها هل هي باستطاعة
 منا ؟ فقال للسائل : هذا بحر عميق لا تدركه . فقال : أخبرني . فقال :

(١) قرآن كريم - سورة ٢ آية ١٦٦ .

(٢) في الأصل : لأن - كذا .

(٣) قرآن كريم - سورة ٤ آية ٤٥ و الآية " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه
 اذلة على المؤمنين " .

(٤) قرآن كريم - سورة ٨ آية ٧ .

(٥) في الأصل : و ما يجعل .

(٦) قرآن كريم - سورة ٧ آية ٤٤ .

طريق مظلم لا تسلكه . فقال : لا بد أن تخبرني . فقال : اسمع وبلغ ، الأعمال
ثلاثة : فرض و طاعة و معصية ، فأما الفرض فأمر الله تعالى و باذن الله
و بإرادة الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم منه ، و جرى به القلم ، و صاحبه
مأجور ، و الله عنه راض ؛ و أما الطاعة فليست بأمر الله فتكون كالفرض ،
و لكن باذن الله و بإرادة الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم منه ، و جرى
به القلم ، و صاحبه / مأجور ، و الله عنه راض ؛ و أما المعصية فليست
بأمر الله و لا باذن الله ، و لكن بقضاء الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم
منه . و جرى به القلم ، و صاحبه مأثوم ، و الله عليه غضبان .

١٧١ / الف

[ذكر صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البرابي

التي صنعها الأوائل و غير ذلك -]

استخرج زمن أبي سليمان عوف بن سليمان قاضي مصر كتاب
بالقبطية وجد في قبر ميت ، كان فيه كتب هذا الكتاب في أول سنة من
مالك قليس ، استنسخه من صحيفة ذهب بالكتابة الأولى ، و ترجمه له أخوان
من القبط علما ذلك عن آباؤها^١ . و هو رجل من أهل مصر الأوائل
١٥ لم ينبج منها من الطوفان غيره . [لأنه أسلم هو و زوجته ، و نزل السفينة من
سيدنا نوح عليه السلام] و المترجم من الكتاب : بسم الباقي بعد الأشياء .

(١) العنوان و ارد في أول النص ، و ليس بالهامش .

(٢) في الأصل : آباؤهم .

(٣) العبارة المحجوزة سائطة من النص و واردة بالهامش .

إن الملك سويد بن سهلول ملك مصر رأى في منامه رؤيا هالته ، فأحضرنا
وأمرنا أن ننظر ما تدل عليه الكواكب مما يحدث في العالم ، فأقمناها في
مراكزها في وقت مسأله ، فدلنا على أنه تنزل من السماء حادثة إلى
الأرض ، فلما بان لنا ذلك أخبرناه به ، فقال : ما هو ؟ فنظرنا في خفي
أمورها ، فوجدنا ما يحدث مفسدا للأرض وأهلها ، فلما تم اليقين من هـ
ذلك ، أمرنا ببناء الأقرونيات وأعلاما عظاما تكون له ولأهل بيته
قبورا تحفظ أجسادهم من الفساد ، ويبقى عالمهم صحيحا ، وكتب على
حائط الأقرونيات وسقوفها علم غوامض الأمور من دلائل النجوم وعللها ،
وسائر الطبائع وتكوينها ، والنواميس العظام والعنقاير وتأليفها ، وغير
ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كتابنا ولغتنا . وأن
هذه الآفة محيطة بجميع أقطار الأقاليم إلا اليسير ، وذلك إذا نزل قلب
الأسد أول دقيقة من السرطان ، فتكون الشمس والقمر في أول دقيقة
من رأس الحمل فعجب سويد بن من قول المنجمين فيما ذكره من
الآفات التي تظهر لهم في علم النجوم من النار المحرقة لأقطار العالم وغير
ذلك / من القول . فرسم ببناء ما تقدم ذكره . ومات سويد بن ودفن ١٥ / ١٧١
في الهرم الشرقي . وملك بعده مصر أخوه وهو جيت ، ومات فدفن في
الهرم الغربي . وملك مصر بعده ابنه منوس ، ودفن في الهرم الملون
بلونين من الحجارة ، ولهذا القبور أبواب في أزاج مبنية بالحجارة في

(١) في الأصل : قبورا .

(٢) في الأصل : نزلت . و بهامشه : لعله نزل .

الأرض ، كل أزج عشرون ذراعا بذراعهم . وله باب من حجر واحد يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعرف أنه باب و صار كالبنيان ، ولا يوصل إليه إلا بالوصول منه ، وفي هذه الأهرام فنون الذهب و الفضة و الكيمياء و حجارة الزبرجد الرفيع و الجواهر الثمينة النفيسة ما لا يحتمله الوصف كثيرة . هذا آخر الكتاب الموجود في القبر ، و ترجم يوم وجود هذا الكتاب يوم الأحد من شهر توت عند طلوع الشمس سنة خمس و عشرين من سنن العرب ، و انتهى ما تضمنه من التواريخ من لدن نسخته بالخط الأول إلى هذا اليوم ، فوجد اثنتين^١ و أربعين و تسعمائة و ثلاثة آلاف سنة ، فعلم أن الكتاب كتب قبل الطوفان بما بين الجملتين . وكانت الرؤيا التي رآها سويدين ملك مصر على ما ثبت في المصاحف الموجودة بمدينة منف في خلافة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان^٢ [أحد^٣ خلفاء بني أمية . وكانت سبعة مصاحف مترجمة . فذكر قيطون بن كانوس الكاهن يذكر فيها مبادئ الولادات و الخلق الأولية ، و يذكر الملوك و القاطرين^٤ و ما وضعوه من الحكيم ، و ما عملوه من الطلسمات ، وكانت بخط اركيوس الكاهن ، فحملت إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان] فصرها له رجل

(١) في الأصل : اثنتين .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في الهامش بخط المراجع .

(٤) في الأصل : و القاطرون .

(٥) « ما » ساقطة من الهامش .

يهودى ، ولم تكن بالخط الكاهنى الصورى ، بل كانت بالخط المعروف بالمرسطى . فلذلك قدر على استخراجها ، فكشف لهم اليهودى ما أراد ، و ستر ما أراد ، و قدر منها على كثير ، و عرف الخبر المشهور ، و كيف الوصول إليه ، و أصناف العلوم .

و كان صدر المصحف الأول الجامع لهذه المصاحف : باسم الرب ه المحيط بالأشياء ، أنا قيطون بن أسانوس الكاهن ، كان أبى من خدام الهياكل النورية و المتكلمين عندها بكلام التوحيد و الخضوع للآلهة المعظمة المطهرة للأرواح الأشباحية لمن كان يتعبد لها و يقوم / لقراءتها إلى أن ينجو بها ، و كان إليه مع ذلك خدمة نواويس الملوك ، و كان من وسم بهاتين الحالتين يوماً إليه بالتعظيم ، و يفضل بالتركية . فلما هلك ١٠ مرقبوس الملك ، حفر له فى ناووس المملكة أزجا و صفح بالمرمر الأزرق ملونا ، و حفر عند رأس الأزج موضعاً يقام فيه أسطوانة التاريخ ، فأنتهى الحفر به إلى أرضية من رصاص مطبقة فيها مصاحف الكهنة ، و فيها جثة أبورس الكاهن الذى كان فى زمن أسارس الملك ، و أخذ المصاحف بحق قيامه على الهياكل و النواويس ، و وقف على ما فيها ، و لم يظهر ١٥ شيئاً من علومها . فلما هلك أبى ، صارت المصاحف إلى ، فنقلتها بترجمتى لتكون ذخيرة لولدى .

و كان أول ما ترجمه قيطون الكاهن من تلك المصاحف : باسم النور

() ورد فيما قبل : كانوس .

الذى كانت الأنوار كلها منه ، و إليه يعود مظهر الحكماء ، و مؤيدهم
 بالأشباحية العالية و أسماء الآلهة . هذا ما نسخناه و وقفنا عليه من أسرار
 العلوم ، و الذى قدرنا عليه من كتب ساداتنا القاطرين^٢ الهادين إلى طريق
 الحكمة ، و وقفنا عليه من أسرار الخليفة و مفاتيح العلوم و أسرار الولادات .
 ثم نرجع^٣ إلى ذكر الرؤيا - فكان فى جملة ما ترجم من
 هذه المصاحف أن سويدين الملك رأى الكواكب المعروفة بالسياسانية
 فى صور طير أبيض ، و كأنها تخطف العالم ، و تلقىهم بين جبلين عظيمين ،
 و كأن الجبلين انطبقا عليهم ، و كأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة كلها .
 فلما أخبره القاطرون بما تقدم عنهم ، أمر أن يختار موضعا لبناء الأعلام .
 ١٠ فاختار موضعا بقرب النيل فى الجانب الغربى ، و بنيت فيه مدينة و سميت
 موقة أى مطلب الحكمة ، و أمر / الملك بجمع الناس و الفعلة ، فجمع
 سبعة آلاف لقطع الحجارة و حملها ، و سبعة آلاف لهندستها و النقش
 عليها ، و أربعة عشر ألف للبناء و عمل قضبان الحديد ، و استخراج معادن
 الرصاص ، فكانوا ينصبون البلاطة و يجعلون فى وسطها عمود حديد
 ١٥ قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك ، و يركب عليها بلاطة أخرى فى قدها

١٧٢/ب

(١) فى الأصل : التى .

(٢) فى الأصل : القاطرون .

(٣) فى الأصل : ترجع .

(٤) فى الأصل : بجميع .

و هندستها مثقوبة الوسط بقدر دخول القضيب فيها، و يسبك الرصاص و يصب^١ حول البلاطين معا، حتى بنوا^٢ بنيانا طويلا مائة ذراع و خمسين ذراعا بذراعهم، ليكون ماء الطوفان مع حافته، و هرم البنيان صاعدا، فجعل رأسه عشرة أذرع في مثله، و عرض كل حائط من تربع الهرم مثل طوله مائة و خمسين ذراعا. ثم أحضرهم فقال: **ه** انظروا! هل تفسد هذه الأعلام. فنظروا فوجدوها باقية لا تزول. و قال: انظروا! هل يفتح منها موضع. فنظروا فقالوا: نعم، يفتح من الجانب الشمالي^٣. فقال: حققوا النظر في علومكم، هل تعرفون الموضع بعينه، و عرفوني إلى متى يكون ذلك، فأخرجوا الموضع و ذكروا أن ذلك لا يكون لأربعة آلاف دورة للشمس. قال: أفتقفون على قدره؟ **١٠** فعرفوه، فقال: اجعلوا في الموضع الذي يصلون منه إلى داخل العلم ذهبا بوزن ما ينفقونه. و حث الرجال و الصناع و الفعلة على الفراغ من الأهرام و الأقرونيات، ففرغوا من ذلك في ست سنين. فمن يدعى موازنتنا في الملك أو بلوغنا في القدرة و انتهاءنا من السلطان فليهدمها في ستين سنة، و ليزل^٤ رسمها، فان الهدم / أيسر من البناء، و التفريق ١٥ / ١٧٣ / الف

(١) في الأصل: نصب.

(٢) في الأصل: بنيا.

(٣) في الأصل: الشمال.

(٤) في الأصل: ليزيل.

أيسر من التأليف . و ذكروا أنها كانت مراقل من خوص ، إذا ضربوا
بها الحجارة ففـزت من أنفسها و سارت ، و أن ذلك لم يزل
متعارفا عندهم .

قال الوصيفي في تاريخه : قال لي رجل قبلي يعرف بابراهيم ،
و قد أجرينا شيئا من هذا الكلام : إنهم أصابوا في بعض الكنائس
شيئا بالطاق ، سقط منها سلة ففتحت . فوجدوا فيها مرقلة من خوص ،
فعجبوا منها ، و لم يدروا لها معنى ، فطرحوها في النار ، فكانت تثب
في النار حتى تبلغ سقف الكنيسة ، فلما رأوا ذلك قطعوها بالسكين .
ثم عرفوا الحال فندموا على إفسادها . ثم قال للوصيفي : و لا أدري هل
١٠ هي من مراقل الحجارة أو من غيرها ، إلا أن وثوبها من النار عجيب .

و لما قدم أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد إلى مصر لينظرها
و يشاهدها ، و رأى الأهرام ، أراد هدمها ، فعرفه بعض شيوخ المصريين
أن ذلك غير ممكن ، و لا يحسن بمثله أن يطلب شيئا لا يبلغه . فقال : لا بد
أن أعلم علم ما فيها . ثم أمر ففتح من الجانب الشمالي لقلة دوائر الشمس
١٥ على من يتولى ذلك ، فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فاذا احمر رش
عليه بالخل ، و رمى بالمنجنقات حتى فتحت الثمة التي يدخل منها إلى الهرم

(١) في الأصل : شبيه .

(٢) في الأصل : عجبا .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

اليوم ، فوجد بنيانه على ما ذكرنا من الحديد و الرصاص . و وجد عرض الحائط عشرون ذراعا ، فلما وصلوا إلى آخر الفتح ، وجدوا خلفه مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العراض ، و وزن كل دينار سبعة و عشرون مثقالا و ثلثا مثقال ، / فقال : زنوا الذهب كله ، فوزنوا الجملة ، فوجدوا فيها قدرا معلوما . و كان المأمون فطنا ، فقال : ه احرزوا ما أنفقتم على فتحه ، فوجدوه موازنا لما وجدوه من المال ، فعجب من ذلك و من معرفتهم بالموضع الذي يفتح منه على طول الزمان في المستقبل ، و ما يصرف على فتحه ، فوضعوا ذلك المصروف بقدر ما انصرف ، فازداد المأمون و أصحابه يقينا في علم النجوم ، و ركب المأمون حتى دخل ذلك الموضع ، و نظر إلى البيت فوجدوا فيه صنما^١ أخضر ١٠ مادا يده و هو قائم ، و نظروا إلى الزلافة و البئر ، فأمر بنزولهما ، فنزلوا من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أخضر و عيناه جزعتان سواد في ياض كأنهما حدقتا^٢ إنسان ، فهالهم أمره . و قد رأوا أن له حركة فجزعوا ، و جراه ذلك على طلب مخابي^٣ كثيرة ، و وجد المأمون طول كل هرم من الهرمين الكبيرين أربعمئة ذراع بالملكي ، و كذلك عرض ١٥ كل حائط من حيطانها . و يقال : إنه ليس على وجه الأرض أرفع منه

(١) في الأصل : صنم .

(٢) في الأصل : حدقت .

(٣) في الأصل : مجابي .

من هذين الهرمين ، وهما غربى بلدة^١ يقال لها وسيم^٢ ، ولا فى العالم حجر موضوع على آخر أعلى منهما . ويقال : إن عمقهما فى الأرض مثل ارتفاعهما فوق الأرض . وذكر أن أبواب هذه الأهرام لا تفتح إلا بكلام و بقرابين و بخورات ، و الصابئة تحجها من حران^٣ .

٥ و سأذكر هنا ما قيل فى الصابئين إن شاء الله تعالى - قال مجاهد

و الحسن : الصابئون طائفة بين اليهود و المجوس . قال قتادة : هم قوم

يعبدون الكواكب . و قال بعض الفقهاء : إنهم بين المجوسية / و النصرانية .

١٧ / الف

و قال بعض الشيوخ : إنهم طائفتان ، طائفة تنتحل دين المسيح و تقر

بالإنجيل ، و هم فى ناحية من أعمال واسط^٤ . قال الشيخ أبو بكر الطرطوشى :

١٠ و لا تؤكل ذبائح الصابئين ، و ليس بحرام كتحریم ذبائح المجوس - انتهى .

نعود إلى ذكر ما قيل فى مصحف هرثيل - زعموا أن تاريخه

لستمائة سنة من الطوفان ، و أن سندیل ملك مصر نظر فى النجوم أن

حادثة تكون من السماء مضرّة بالعالم ، فأمر ببناء أعلام تكون نواويسا

(١) فى الأصل : بلدا .

(٢) أوسيم من قرى مديرية الجيزة و هى تابعة الآن لمركز امبايه على الشاطىء

الغربى من النيل جوار القاهرة .

(٣) الغالب أنها حران بضم الحاء و تشديد الراء ، وردت فى معجم البلدان

(ج ٢ ص ٣٣٢) من قرى نيسابور بأرض الفرس .

(٤) واسط وردت فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٨٨) و هى قرية

مشهورة ببلخ و هناك أخرى بنفس الاسم من قرى حاب بسوريا .

تحفظ أجسام الملوك و زبر على تلك الأعلام أسماؤهم^١ و تواريخهم ،
و كنز فيها من فاخر الجواهر و الصنعة و طرائف الحكمة و من التماثيل
و الذهب الملون و التيجان الفاخرة ما استدل به على عظيم ملكهم ،
و جعل لذلك طلبها^٢ يمنع منه إلى أوقات معلومة يكون ذخيرة لهم ،
و كأنهم يزعمون كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز^٣ ” ان هي الا
حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر “ ثم إنه وضع أساسها
في وقت السعادة ، و جعل في أساس كل علم منها صنما ، و كتب في
صدرها دفع المضار و الآفات عنها ، و في يد كل صنم منها كالبوق ،
و هو واضعه على فمه ، و في وسط كل علم منها مشاراة موجهة إلى
آزاج ضيقة للنافذ ، واسعة المداخل ، تجتذب الرياح إليها^٤ ، و إن
لم يحسن دفعها^٥ ، أهلكته ، و منها ما ينطبق عليه بحكمة متقنة و أمر مبرم .
وقيل : إنه عمل تحت الأهرام أسرابا تخرج إلى ناحية الغرب و إلى
ناحية الفيوم مسيرة يوم و يومين منها ، و أودعت عجائب كثيرة ، و إن
أسفلها مسارب / للماء يجرى إليها من النيل . و قيل : إنه و كل بالأهرام

١٧٤ / ب

(١) في الأصل : اسماءهم .

(٢) في الأصل : طلبها .

(٣) قرآن كريم سورة ٤٥ آية ٢٤ .

(٤) في الأصل : كنت .

(٥-٥) في الأصل : الرياح إليها .

(٦) في الأصل : دفعه .

روحانيين ، فجعل في الهرم الغربي روحانياً^١ في صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ، لها ذؤابتان ، فاذا أرادت أن تستفز الإنسان ضحكت إليه واستجرتة إلى نفسها ، وقد ذكر ذلك من رآها و قصدها . وكل بالهرم القبلي روحانياً في صورة غلام أسود عريان قد رثى من خارجه مرة بعد مرة ، ثم يغيب عنهم . وفي الهرم الملون صورة شيخ في كفه بحجرة كنانسية كأنه يتبخر ، وعليه ثياب الرهبان . وكذلك وكل بجميع الأقرونيات ، حتى أن مدينة أنخيم^٢ لا يشك جماعتهم أن روحاني البربا التي بها غلام أسود أمرد معه عصا ولا يستطيع أحد أن يدخل البربا التي بها رجل طويل آدم صغير اللحية أشيب . وأما بربا أبو صير^٣ ففيها صورة شيخ أبيض عليه زى الرهبان وفي يده مصحف ، ولكل واحد من هؤلاء الروحانيين قرباناً ، وكلام يطبع به ، ويدل معه على علوم البربا و كنوزه .

وفي بعض الأخبار أن قوما قصدوا الأهرام في خلافة جعفر المتوكل ، أحد خلفاء بني العباس . وكان على مصر حينئذ ابن المدبر ،

(١) في الأصل : روحاني .

(٢) من مدن مديرية سوهاج على البر الشرقي وهي قديمة .

(٣) وردت في معجم البلدان (ج ١ ص ٧٦٠) أربع قرى بهذا الاسم في مصر وهي بوسير من كورة الأشمونين وأخرى بالجيزة وأخرى بالفيوم وبوسير بناء بالسمنودية .

(٤) في الأصل : بها .

فزلوا من الزلاقات والآبار، وطلبوا أن يدخلوا من تلك المضائق التي تخرج الرياح منها، وحملوا سرجهم في أواني الزجاج، فأتتهم رياح وأخرجتهم وكسرت أوانيهم وأطفأت سرجهم، وأنهم أخذوا واحدهم فربطوا وسطه بالحبال، وقالوا له: ادخل، فإذا كان شيء تكرهه جررناك، ففعل ذلك، فلما دخل وأمن وزاحم الرياح، انطبق عليه ذلك النصب وجذبه وانقطعت حبالهم، وبقي الرجل في ذلك الشق لا يقفون له على خير، فاغتموا لذلك وصعدوا هاربين حتى خرجوا من الهرم، وجلسوا عند باب الثلة المفتوحة يفكرون في ذلك الرجل وأمره وأمرهم وما قدموا عليه، فانهم كذلك إذ انفجرت من الأرض كالوهدة، وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت ١٠ الدم جامد العينين، وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفقهه. فلما فرغ من كلامه سقط ميتا، فزاداد تولهم، وتضاعف جزعهم، واحتملوه إلى منزله، فأخذهم الحرس وانطلقوا بهم مع الرجل الميت إلى ابن المدبر، فسألهم عن أمرهم فأخبروه، فأمر أن يكتب ذلك الكلام على حسب ما أتقنوه، وأقام بطلب من يفسره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ١٥ ذلك اللسان، فإذا معناه: هذا جزاء من طلب ما ليس له، وكشف على ما لا يخبأه، فليعتبر من رآه. ومنع ابن المدبر من التعرض للأهرام.

وفي خبر آخر أن جماعة وجدوا في بيوت الأهرام البيوت، الوسط زلاقة إلى بئر، فزلوها ووجدوا سربا، فساروا فيه نصف نهار ٢٠

حتى انتهوا إلى حفير عتيق ، و في عدوته باب لطيف ، يتبينون منه شعاع الذهب و الجواهر ، و من رأس الحفير مما يليهم إلى الباب المحاذي لهم عمود حديد ، قد ألبس محورا من حديد ، يدور عليه و لا يستمسك ، فاحتالوا في وقوعه و ذهاب حركته . فلم يصلوا إلى ذلك ، فربطوا أقدامهم في حبل و تعلق به ليصل إلى الجانب الآخر ، فدار به المحور فتحير و سقط . فخرجوا منه هارين لا يلوون .

و دخل نفر بعض الأسراب التي في الهرم ، فانتهوا إلى صنم أخضر في صورة شيخ ، و بين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم . و ساروا فوجدوا فوارة تحت قبة ، يقع فيها ماء من أعلى القبة . فيكون له نشيش شديد كأنه طفوء نار ، و يفيض فيها / فلا يتبين ، و داروا فوجدوا بيتا مسدودا بحجر فيه دهى شديد ، لا يدري ما هو ، و وجدوا عنده شيئا بالمطهرة الكبيرة فيها دنائير ، عليها ٢ صورة أسد من وجه ، و صورة طائر من وجه ، فأخذ بعضهم منها شيئا ، فلم يقدر على حركة و لا على كلام حتى طرحه من يده .

١٥ و كل ما فسد من هذه الأقرونيات و تهدم و تغير - مثل بربا بوسير و بربا سمود ٢ و غيرها ٣ من الهياكل - بتركهم الاستقصاء في الطالع

(١) في الأصل : يلهم .

(٢) في الأصل : على .

(٣) مدينة قديمة على شاطئ فرع دمياط الغربي بمديرية الغربية .

(٤) في الأصل : و غيرها .

وصحته قبل وضع الأساس ، و كذلك ما بقي منها ، فلقرب الطالع من
الصحة ، لأن الذين بنوا هذه البرابي كانوا على بعد من الملوك ، لم يكونوا
بحضرة موضوعة ، فتيقنوا النظر كما تيقن في العمل للأهرام و هم
لا يشكون ، إنهم لما هدموا بربا سمود ، فحملوا حجارتها إلى أشتوم
دمياط ، و وهبوا بقيته بنى المهندس ، و إن اليوم الذى فرغ منه من ٥
هدم الحائط الغربى دخل حياصة الإسكندرية و خربها ، و كثرت الرمال
حتى انقطع البحر فى شهور الصيف ، و قد زكا الزرع ، و كثر الفار
و الجراد و أشياء من الفساد كثيرة يطول شرحها . منها أن بعض من
دخلها كتب على كفه المحاذية لها صورة من تلك الصور أعجبه فانطبقت
عينه حتى أتاه من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه . ١٠
قال الوصيفى فى تاريخه : و أخبرنى من أثق به أنه رأى فيها صورة
شيطانين يحوط بهما سلسلة بكتابة ، و هما يمسكان طرفيها و بينهما كتابة ،
فكانت عنده إلى أن عرفها بعض من رآها عنده أنها حرز عظيم . و ذكر
أنه لو جعل عليها لحما و جوع كلبا أو شيئا من السباع و خلاه عليه لم يقرب
منه شيئا . قال : فعجبت ذلك و امتحنته ، فوجدته كما ذكر . قال الوصيفى : ١٥
و رأيت أنا فى بربا أنخيم صورة عقرب ، فألصقت عليها شمعا ، و كان
/ عندى ، فلم أتركها فى موضع إلا انحاشت العقارب إليها ، و إن كانت فى
تابوت اجتمعت تحته و حوله ، و كنت أتجافى عن حملها خوفا من اجتماع
العقارب حولى ، و طلبها بعض إخوانى فدفعتها إليه ، و رجعت إلى أنخيم ،
فوجدت الصورة قد نقرت و أفسدت - انتهى . ٢٠

و من المتعارف عند أهل أنخميم أنه كان في البربا صورة شيطان قائم على رجل واحدة، وله يـد واحدة قد رفعها إلى الهواء^١، وفي جبهته و حواليه كتابة، وله إحليل ظاهر ملصق بجائط البربا . فكان من احتال لذلك الإحليل حتى نقب عليه و نزعه من غير أن ينكسر و علقه في وسطه .
 ه لم يزل منعظا و يجامع ما أحب إلى أن ينزعه، فلم يوجد له في البربا غير صورة واحدة كانت قرب السقف . فاحتيل عليها حتى أخذ له الإحليل، فكان يستعمله و أخبر بصحته .

و كان فيها صورة شيطان يسوق كبشا بجبل في عنقه في صورة في صحيفة رصاص، و ما حوله من الكتابة . و جعله معه، و مر على طريق،
 ١٠ الكباش اتبعته .

و كان فيها صورة بومة إذا لصق عليها الشمع و جعل في موضع،
 لم تقربه بومة .

و في بربا أنخميم في الباب الذي يدخل منه في عقب الباب على يسار الداخل منه رأس عظيم بلحية عظيمة كبيرة و شعر كثير، كأنه رأس رومي،
 ١٥ و هو بغير جسد، فذكروا أن الأوائل كانوا يخرون ذلك الرأس يخور لهم معروف، فكل من بخر وجد عنده ديناراً، فكان في ذلك معونة لأهل المسكنة . قال الوصيفي: و تصفحت موضع الرأس فوجدت آثار البخور بينة فيه . و في القبة الداخلة التي ينزل إليها من سطح البربا المعروفة بقبة

(١) هذا وصف الإله « من » (Min) إله الخصب و التماسل عند قدماء المصريين و لا زال يرى على حيطان المعابد .

مسطاس برّ، و لها بخور و كلام، من تكلم به و سال عن كل أمر آخر به من البر بكلام يسمعه و يعقله .

١٧٦/ب

/ و في بربا قفط^١ صورة رجل جالس في دائرة و حوله كتابة، و على جميع دور الدائرة شياطين، و بأيديهم حراب يرمون بها ذلك الرجل، و الرجل رافع يده كأنه يرميهم . فقيل : إنه من صور تلك الصورة في صحيفة ذهب و حملها معه و دخل الحرب لم تضره، و لا عمل فيه حديد و لا غيره، يعمل ذلك في أول الهلال، و يكون المشتري مسعودا، و حذاء هذه الدائرة من الجانب الآخر دائرة أخرى، و فيها رجل مكبوع على وجهه، و حوله شياطين بأيديهم حراب يضربونه بها، و قد شكوها في جسمه، فيقال : إنه من صور مثلها في صحيفة رصاص ١٠ باسم عدوله و بخرها بشعر جمل في آخر الشهر و دفنها في ناووس تحت رأس ميت لحقه كل مكروه، و لم يزل فزعا ميت القلب، فان تركت أكثر من ثلاث خيف عليه الهلاك . فاذا أخرجت و غسلت بماء برّ لا تراها الشمس، و جعل في ذلك الماء^٢ لحم في قدر جديد، و يشربها الرجل و جرد تلك الصفيحة زال عنه ما يجده .

١٥

و على بربا أنخيم^٣ طلسم^٤ قطعة من حجر في صورة القلنسوة الطويلة معنفة الرأس كأنها منقار، يقال : إن تحتها^٥ مالا عظيما^٥، فجهد جماعة

(١) من مدن الصعيد الأعلى .

(٢) في الأصل : اما . (٣) في الأصل : طلسم .

(٤ - ٤) في الأصل : مال عظيم .

من الولاة أنفسهم في قلعها أو كسرها ، فلم يطيلوا إلى ذلك ، و تكسرت
المعاول عليها ، ولم ينثلم منها شيء .

و أما الدفائن فقال يحيى بن بكير : كان عبد العزيز بن مروان عاملا
على مصر لأخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فأتاه رجل متصح ،
ه فسأله عبد العزيز عن نصيحته ، فقال : بالقبّة الفلانية كنز عظيم . قال

عبد العزيز : و ما مصدق ذلك ؟ قال : هو أن يظهر لنا بلاط من أنواع
المرمر و الرخام عند يسير من الحفر حتى ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب
من الصفر تحت عمود من الذهب ، على أعلاه ديك من ذهب ، عيناه

ياقوتتان تساويان الدنيا . و جناحاه مضرجان / بالياقوت و الزمرد ،

١٠ و برائته على صفائح الذهب على أعلى ذلك العمود . فأمر له عبد العزيز

بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك و يعمل

فيه . و كان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفيرة عظيمة في الأرض ،

و الدلائل المتقدم ذكرها من الرخام و المرمر تظهر ، فازداد عبد العزيز

حرصا إلى ذلك و أوسع في النفقة و أكثر من الرجالة . ثم انتهوا في

١٥ حفرهم إلى ظهور رأس الديك ، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق

الخاطف لما في عينيه من الياقوت ، و شدة نوره ، و اتساق ضيائه .

ثم بان جناحاه ، ثم بان برائته ، و ظهر حول العمود عمود من البنيان

بأنواع من الأحجار و الرخام و قناطر مقلّطة و طاقات على أبواب

(١) و لعله « الدينار » .

(٢) كذا في الأصل ، و لعله : الرجال ، و هو بلغة العامة في مصر بتشديد الجيم .

معقودة، ولاحظ منها تماثيل و أشخاص من أنواع الصور و الذهب
 و أخزنة من الأحجار قد أطبقت عليها أغطيتها و شبكت، و قفل ذلك
 بأعمدة الذهب . فركب عبد العزيز حتى^١ أشرف على الموضع، فنظر إلى
 ما ظهر من ذلك، فتسرع بعضهم، فوعدت قدمه على درج مشبكة من
 النحاس تنتهي إلى ما هنالك . فلما استقرت قدمه على الدرجة الرابعة، ه
 ظهر سيفان عظيمان عاديان عن^٢ يمين الدرجة و شمالها، فالتقيا على
 الرجل، فلم يدرك و جزياه قطعا و أهوى جسمه سفلا . فلما استقر
 على بعض الدرج بعض جسمه، اهتز العمود و صفر الديك صفرة
 عجيبة أسمع من كان بالبعد من هنالك، و حرك جناحيه فظهرت من
 تحته أصوات عجيبة قد عملت باللوالب و الحركات إذا وقع على بعض ١٠
 تلك الدرج شيء أو ماسها، فتهافت من كان هنالك من الرجال إلى
 أسفل تلك الحفيرة، و كان فيها من يحفر و يعمل و ينقل التراب
 و يبصر و يحرك و يأمر و ينهى نحو ألف رجل، فهلكوا جميعا،
 / فجزع عبد العزيز و قال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل، نعوذ بالله
 منه . و أمر جماعة الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على ١٥
 من هلك من الناس، و كان الموضع قبورا لهم .

و قد كان جماعة من أهل الدفائن و المطالبة و من قد أغرى بحفر
 الحفائر و طلبه الكنوز و ذخائر الملوك و الأمم السالفة المستودعة بطن
 الأرض ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام، بأن فيها
 (١) في الأصل: حين . (٢) في الأصل: من .

مطلباً عجيباً ، فأخبروا الأخشيد محمد بن طفج^١ بذلك ، فأذن لهم في حفره ، و أباحهم أعمال الحيلة عن استخراجها ، فحفروا حفراً عظيماً إلى أن انتهوا إلى أزج و أقباء و حجارة مجوفة في صخر منقور ، فيه تماثيل قائمة على أرجلها من نوع من الخشب ، قد طلى بالأظلية المانعة من سرعة البلى و تفرق الأجزاء ، و الصور مختلفة : منها صور شيوخ و شبان و نساء و أطفال ، و أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت و الزمرد و الفيروزج و الزبرجد ، و منها ما وجوها ذهب و فضة ، فكسرت بعض تلك التماثيل ، فوجد في أجوافها رمم بالية و أجسام قائمة ، و إلى جانب كل تمثال [منها نوع من الآنية كالبراني^٢ و غيرها من الآلات من الزمرد و الرخام ، و فيه نوع من الطلاء متروك في ذلك الإناء - و الطلاء دواء مسحوق و أخلاط معمولة و لا رائحة له ، يجعل منه على النار ، فظهرت منه أرايبح طبية لا تعرف في نوع من أنواع الطيب ، و قد جعل كل تمثال -^٣] من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم و مقادير أعمارهم و تبين صورهم ، و بازاء كل تمثال من التماثيل تمثال من الحجر المرمر و الرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل و الصور ، عليها أنواع من الكتابات ، لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل ، و زعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك القلم مذ فقد

(١) تاريخ حكمة سنة ٣٢٣ - ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٢) جمع برنية أى إزاء من خزف .

(٣) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في هامشه بخط المصحح .

من أرض مصر أربعة آلاف سنة . وفيما ذكر دلالة أن هؤلاء ليسوا
 يهود ولا نصارى ، ولم يؤدّم الحفر إلا إلى ما ذكرنا . وكان ذلك
 في سنة ثمان وعشرين ومائة^٢ . وكان لمن سلف و خلف من ولاية
 مصر إلى أحمد بن طولون^٣ وغيره أخبار عجيبة من الدفائن و الأموال
 و الجواهر / وما أصيب في هذه المطالب من القبور و الخزائن . ٥ / ١٧٨ الف
 و لمصر أخبار عجيبة من الدفائن و البنيان ، و ما يوجد في الدفائن من
 ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض ، و غيرهم من الأمم ممن سكن
 تلك الأرض ، و تدعى بالمطالب - و الله الموفق للصواب ، و إليه المرجع
 و المآب - انتهى .

١٠ [ذكر الوزراء و أخبارهم - ٤]

و ما قيل فيهم ، و غير ذلك من الواردات المستطردات - إنما قيل
 لمدير الأمور على الملك وزير ، من الوزر ، و هو الحمل الثقيل ، يريد أن
 يحمل عليه من الأمور مثل الأوزار . قال الله تعالى^٦ : " و وضعنا عنك

(١) في الأصل : لا .

(٢) يقابلها سنة ٧٤٥ - ٧٤٦ م . و أغلب الظن أن صحة هذه السنة الهجرية
 ٣٢٨ بدلا من ١٢٨ تتفق بذلك في مدة حكم الأخشيد محمد بن طغج سالف الذكر
 و يقابلها ٩٣٩ - ٩٤٠ م .

(٣) حكم ابن طولون ٢٤٥ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م .

(٤) العنوان من بداية الكلام في النص بهذا الباب .

(٥) في الأصل : مثل . - مصححة بالهامش : لعله من .

(٦) قرآن كريم سورة ٩٤ آية ٢ و ٣ .

وزرك ۛ الذى انقص ظهرك ۛ“ .

وإن السلطان ليس له غنى عن الوزراء، فلو كان يستغنى عن الوزراء، لكان أحق بذلك نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، بل سأل الله تعالى فقال: " واجعل لى وزيراً من اهلى ۛ هارون اخى * ۛ اشدد به ازرى ۛ و اشركه فى امرى ۛ " . فكما يحتاج أشجع الناس إلى السلاح، يحتاج أجلّ الملوك إلى الوزير، وكما يحتاج أعز ما كان من الخيل إلى المقرعة . وأسعد الملوك ملك له وزير صدق، إن نسى ذكره، و إن ذكره أعانه . و الوزير عون عند النائبة، و الوزير مع الملك مثل سمعه و بصره و لسانه و قلبه، و أول ما يظهر نبل الملك ١٠ و قوة تميزه و جودة عقله فى استنجاب الوزراء، و استيفاد الجلساء، و محادثة العقلاء . و هذه ثلاثة خلال تدل على أعمال السلطان، و بهذه الخلال يحمل فى الخلق ذكره، و يحمل صلاحه . و كذلك وزراءؤه تجالس العلماء، فى ذلك صلاحهم .

و قال بعض الملوك لوزيره و أراد [أن - ٢] يمتحنه : ما خير ما يرزق ١٥ العبد ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان عدمه ؟ قال : فأدب يتحلى به . قال : فان عدمه ؟ قال : فاخوان يحملونه . قال : فان عدمهم ؟ قال :

فصائفة / تحرقه و تريح منه .

١٧٨/ب

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٢٩ - ٣٢ .

(٢) غير واردة بالنص .

و كان

(٢٦)

١٠٤

و كان لبعض الملوك وزيران^١ : أحدهما شاب رأسه قبل لحيته ،
و الثاني شاب لحيته قبل رأسه . فأراد أن يمتحنهما ، فقال للواحد منهما :
ما بال رأسك شاب قبل لحيتك ؟ قال : لتقدم نباته^٢ على اللحية بعشرين ،
فلذلك شاب قبلها . وقال للآخر : ما بال لحيتك شابت قبل رأسك
وهي متأخرة النبات عن^٣ الرأس ؟ فقال : لأنها مجاورة الصدر ، و الصدر
محل الهموم و الأحزان ، فاكنتبت منه ذلك بالقرب و الاستئناس ،
فلذلك شابت قبل شعر الرأس . فأعجب الملك كلامهما لإقامة حججهما .
و ذكروا من لطائف الوزراء كلاما يشتمل على حكم . فمنها قولهم :
خاطر بنفسه من ركب البحر ، و أشد منه مخاطرة من خالط الملوك .
ذكروا أن ملكا من ملوك حمير كان متصيدا و معه نديم له كان يقربه
و يكرمه ، فأشرف النديم على صخرة ملساء و وقف ، فقال للملك : لو
أن إنسانا ذبح على هذا الصخرة ، إلى أين كان يبلغ دمه ؟ فقال :
اذبحوه عليها لتنظر دمه إلى أين يبلغ ؟ فذبح عليها ، فقال الملك : رب كلمة
تقول : دعى .

و اعلم أن الوزير يكثر أعداؤه ، و يقل أصدقاؤه ، لأنه لا يخلو
في وزارته من الجور ، كما قيل : إنه لما عزل الوزير أبو شجاع عن وزارته
قال بعض الشعراء في هذا حيث قال :

(١) في الأصل : وزيرين .

(٢) في الأصل : نباتها .

(٣) في الأصل : على .

تولاها و ليس له عدو و فارقها و ليس له صديق
 و قيل : وزير السلطان كراكب الأسد تخافه الناس ، و هو لمركبه
 أخوف ، لأنه إذا غضب عليه السلطان صادره و أخذ أمواله التي جمعها الوزير :
 لنفسه ، و قتله بعد عذابه له ، ليظهر الذي خبأه^١ من المال بالعذاب ، فيهلك

١٠ / الف ٥ تحت العقوبة ، و يصير لغيره أعجوبة . قال الشاعر / حيث قال :

و موازر السلطان شبه سفينة في البحر ترعد دائما من خوفه

إن أدخلت من مائه في جوفها أدخلها و ماؤها في جوفه

ذكر الصفدي في تاريخه : إن الوزير علم الدين بن زنبور^٢ القبطي

لما غضب عليه سلطان مصر ، أمر بمصادرته ، فأخذ منه أواني ذهب و فضة

١٠ ستين^٣ قنطارا ، و ستين^٤ رطلا جرهررا ، و إردبا ثؤلوا و مائتي^٥ ألف دينار

و أربعة آلاف دينار ، و ستة آلاف حياصة ، و ستة آلاف كلوبة^٦

زرکش ، و ألفين^٧ و ستمائة فرجية من ملبوسه ، و ثلاثمائة شاس ، و ستة

آلاف دواب حلابة ، و ستة آلاف دواب عاملة ، و^٨ ألفي رأس^٩ خيلا

(١) في الأصل : أخبأه .

(٢) في الأصل : ابن زيتون . - وهذا خطأ بدليل ورود « ابن زنبور » في

ابن إياس ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) في الأصل : ستون .

(٤) في الأصل : و مائتا .

(٥) في الأصل : كلونة .

(٦) في الأصل : ألعان .

(٧-٧) في الأصل : العان رأسا .

وبغالا، وخمسة وعشرين معصرة للقصب و الزيت الحار، و ثلاثة أرادب
دراهم، و سبعمائة إقطاع، كل إقطاع خمسة وعشرون ألف درهم، و مائة
عبد، و ستين^١ خادما، و سبعمائة جارية، و أملاكا^٢ قيمتها ثلاثمائة ألف
دينار، و سبعمائة مركب، و رخاما^٣ قيمته مائتا ألف درهم، و نحاسا^٤ قيمته
أربعة آلاف دينار، و سروجا^٥ و بدلات خمسمائة، و سبعة آلاف بساط، و
سبعة آلاف نطع، و مائتي بستان^٦، و ألف و أربعمائة ساقية، و متاجر
أربعة آلاف دينار. ثم إنه ضرب بالمقارع ضربا كثيرا، و كان يقول
في حال تلك المحنة « هكذا قدر! هكذا قدر! » يكررها مرارا و مرات
حينئذ من كثرة العقوبة.

قال حكيم الهند: إذا كان الوزير يساوي الملك في المال و الهبة
و الطاعة، فليصرعه الملك، فان لم يفعل، فليعلم أنه المصروع.
و ليحذر الملك أن يشاور أهل الزيغ فانهم يضلونه^٧ مثل / هامان،
الوزير لفرعون الملك. و ذلك لما قال له فرعون: إن موسى ذكر لي: إن
آمنت بالله فلك الجنة و لك ملكك. فقلت: حتى أشاور هامان وزيرى،

(١) في الأصل: ستون.

(٢) في الأصل: املاك.

(٣) في الأصل: رخام.

(٤) في الأصل: نحاس.

(٥) في الأصل: سروج.

(٦-٦) في الأصل: مائتا بستانا.

(٧) في الأصل: يضلوه.

فما ترى في ذلك يا هامان؟ قال: بينما أنت إله تعبد، فصرت عبدا تعبد. فأنتف
 فرعون واستكبر، فكان من أمر فرعون ما كان، وكان فرعون يفتخر
 بالماء و يقول: أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحتي.
 فأغرقه الله بالماء. فالذي افتخر به هلك به. وأورد قومه النار. قال الله
 تعالى^١ "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورده".
 واعلم أن دخول النار بالكفر مضاعف العذاب، وقسمة الدرجات
 بالأعمال والأخلاق السيئة. ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعم،
 وقسمة الدرجات بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، وأن الله تعالى
 خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثوابا لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقابا
 لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والتعب محنة وابتلاء. ثم خلق
 الخلق والجنة والنار في غيب منهم لم يعاينوه. والنعيم والآفات التي في
 الدنيا هي أنموذج الآخرة مذاقة، وخلق في الأرض من عبيده ملوكا
 أعطاهم سلطانا أربع به القلوب، وملك به النفوس. فهذا أنموذج^٢ ومثال
 لتدييره وملكه ونفاذ أمره ومعاملته، فجعل خبر ذلك كله تنزيلا،
 ١٥ فوصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتدييره ومنه وصنائه. وضرب
 الأمثال على ذلك. ثم قال^٣ "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها
 إلا العلماء". فالعلماء بالله يفهمون عن الله أمثاله، لأن المثل إنما هو صفة

(١) قرآن كريم سورة ١١ آية ٩٨.

(٢) في الأصل: أنموذجا.

(٣) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٤٣.

شيء قد شاهدته ، يريك صفة ما غاب عنك / و يبصرك بما تبصره بعينك ،
 لينفذ بصر قلبك إلى ما لا تبصره عينك ، فيعقل قلبك ما خوطبت به من
 خبر الملكوت و خبر الدارين و معاملة ملك الملوك ، فليس في الدنيا نعمة
 و لا شهوة إلا و هي أنموذج الجنة و ذوقها . ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين
 رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر . فلو سمي للعباد منها ، ه
 لم ينتفعوا بتلك الأسماء ، لأنهم لم يعقلوها^١ هاهنا و لا رأوها^٢ ، و ليس لها
 أنموذج في الدنيا . و الجنة مائة درجة . و إنما يوصف منها ثلاث درجات :
 الذهب و الفضة و النور ، ثم ما وراء ذلك غير معقول و لا تحتمله العقول .
 وكذلك ما في الدنيا من الشدة و العذاب فهو أنموذج دار العقاب ،
 ثم من وراء ذلك ما لا يحتمله العقول من ألوان العذاب . كل ذلك يخرج ١٠
 لهم من غضبه ، و لأهل الجنة من رحمته ، و كل من تناول^٣ من عبيده
 من دنياه مما أبيع ، و شكره عليها ، أبدل له من الجنة ما رزق^٤ هذا في
 جنبه ، و من تناول مما لم يبيع له ، فقد حرم نفسه حظها من الدرجات ،
 و من كذب بها حرم الجنة بما فيها أجمع .

و اعلم أن الجنة مطلوبة و النار طالبة ، و لهذا تعامل هذه بالطلب ، ه
 و تعامل هذه بالهرب . في الحديث : لم أر مثل النار نام هاربها ، و لا مثل

(١) في الأصل : لم يعقلوه .

(٢) في الأصل : رأوه .

(٣) في الأصل : تناول .

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل و هي : يدق - كذا .

الجنة نام طالبها . قال بعض العارفين : الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه ، والعارف غريب في الآخرة لأن حضرة الله تعالى وطنه ، يمر الزاهد في المحشر فيعرف بظهور أنواره ، ويمر العارف في المحشر فلا يعرف لحفاء أسراره - والله أعلم .

٥ و اعلم أن لأهل الجنة متنزهات يخرجون إليها في رياض على شاطئ نهر الكوثر ، عليه خيام الدر مضروبة ، الخيمة ستون ميلا في عرض مثله ، كل خيمة من أولوة واحدة ليس لها باب ، فيها جوار عبقات لم ينظر إليهن ملك ولا أحد من أهل الجنة من الخدام و الحور العين ، وهو قوله عز وجل : " فيهن خيرات حسان " و إذا قال الله لهن : حسان ، فمن يقدر أن يصف حسنهن . ثم قال : " حور مقصورت في الخيام " فقلت

١٠ خيرة الرحمن اختار / صورهن الحسان من بين الصور بدعاء من سحاب الرحمة ، فأمطرت جوارى حسان على مشيئة الكريم ، نور وجوههن من نور العرش ، فضربت عليهن خيام الدر ، فلم يرهن أحد منذ خلقهن الله ، فهن مقصورات في الخيام . قد قصرن ، أى حبسن على أزواجهن من جميع الخلق . فأهل الجنة يتنعمون في القصور مع الأزواج و الحور ، يلبثون في النعمة ما شاء الله ، حتى إذا كان اليوم الذي يريد الله أن يحدد لهم نعمه ، نودي في درجات الجنان ، يا أهل الجنان إن هذا يوم نزهة و سرور ، و تفسح و حبور ، فاخرجوا إلى متنزهكم .

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٠ .

(٢) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٢ .

فيخرجون على خيول الدر و الياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك
الرياض على شاطئ نهر الكوثر ، فيدنيهم الله إلى منازلهم ، فينزل كل
واحد منهم عند خيمته ، فتصدع الخيمة عن باب ، ليعلم ولي الله أن التي فيها
لم يطلع أحد عليها ، وفاء لما قدم الله من الوعد في دار الدنيا حيث
يقول ” فيهن خيرات حسان “ ثم قال ” حور مقصورت في الخيام “
” لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان “ فيستوين معها على سرير الزهدة
في تلك الحجال ، فيأكلون و يشربون و يتفكّهون و يشتغلون بالخيرات
الحسان ، يقضون الأوطار و النهيات ، ثم يتحولون إلى مجالس العبقريات
الموشات بألوان النقوش على شاطئ الأنهار في تلك الرياض ، يركبون
الرفارف الخضر و يتكثون عليها ، وهو قوله تعالى ” متكئين على رفرف
خضر و عبقرى حسان “ و الرفرف هو شيء إذا استوى عليه رفرف به
و أهوى به كالمرجاج يمينا و شمالا و رفعا و خفضا ، يتلذذ مع أنيسه ،
فاذا ركبوا الرفارف سمعوا صوت إسرافيل بالتسبيح و التقديس ، فلم يبق
في الجنة / شجرة إلا و ردت ، و لا باب إلا ارتج و انفتح ، و لم تبق حلقة
باب إلا طنت بأنغام طينها ، فيوحى الله تعالى إلى الملائكة أن جاوبوهم
و أسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم من مزامر الشيطان ، فيجاوبون
بالحان و أصوات روحانيين ، فتختلط هذه الأصوات ، فتصير رجة واحدة ،
ثم يقول الله : يا داود ! قم عند ساق عرشي ، فمجدني ، فيندفع داود في
تمجيد ربه بصوت يغمر الأصوات و يجلبها ، و تتضاعف لذة أهل الخيام

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٦ .

على تلك الرفارف تهوى بهم ، وقد حفت بهم أفانين اللذات و الأغاني ،
فذلك قوله تعالى : " فهم في روضة يحبرون " شغلوا بالنعيم و ألوان
الفواكه ، و افتضاض العذارى ، و ركبوا الرفارف و التلذذ بالأغاني و أنواع
السماع و غيرها من اللذات ، رزقنا الله الجنة بمنه و كرمه آمين ا
٥ قال الشيخ أبو العباس المرسي : يجمع الله تبارك و تعالى الخلائق
يوم القيامة ، فينادى : أين العابدون ؟ فيؤتى بقوم ، فيجعلهم في درجة فوق
تلك الدرجة الأولى . ثم ينادى : أين المشتاقون ؟ فيؤتى بقوم فيجعلهم
[مع ٢] أرائك . ثم ينادى : من عبدنا جازيناه و أعطيناه ، و من خافنا
آمناه ، و من اشتاق إلينا و صلنا و قربناه . و قال الشيخ عبد العزيز اليربيني
١٠ في كتاب قلادة الدر المنثور ، في ذكر و البعث النشور في وصف الجنة :

جنات عدن لهم ما يشتهون بها

في مقعد الصدق بين الروض و النور

بناؤها فضة قد زانها ذهب

و طينتها المسك و الحصباء من درر

١٥ أشجارها ذهب منها الغصون دنت

لكل نوع من الرياح و الثمر

أوراقها حلال شفاقة خلقت

اللؤلؤ الرطب و المرجان في الشجر

(١) قرآن كريم سورة . ٣ آية ١٥ و الآية بتامها " فاما الذين آمنوا و عملوا

الصالحات فهم في روضة يحبرون " .

(٢) زيد لاستقامة العبارة .

- ١٨١ / دار الخلود و جنات النعيم لهم
 دار السلام لهم مأمونة الغبير
 و جنة الخلد و المأوى و كم جمعت
 جنات عدن لهم من مؤنق نضر
 طباقها درجات عددا مائة
 كل اثنتين كبعد الأرض و القمر
 أعلى منازلها الفردوس عاليها
 عرش الإله فسل و اطمع و لا تذر
 أنهارها عسل ما فيه شائبة
 ١٠ و خالص اللبن الجارى بلا غير
 و أطيب الماء و الخمر التى سلبت
 من الصداع و نطق اللغو و الهذر
 و الكل تحت جبال المسك منبعها
 يجرونه كيف شاؤا غير محتجر
 ١٥ فيها نواهد أبكار مزينة
 عرب تمايلن من عجب بلا خفر
 نساؤنا المؤمنات الصابرات على
 حفظ الحدود مع الإملاق و الكدر
 و الحور من زعفران قد خلقن و قد
 ٢٠ زان العيون سواد فى سنا الحور

كأنهن بدور في غصون نقا

على كشب' بدت في ظلمة الشعر

فوق الأرائك في تلك الخيام من ال

در المجوف أقصى منتهى البصر

هذا وكل امرئ يعطى قوى مائة

في الأكل والشرب والإفضا بلا خور

طعامهم رشح مسك كلما عرقوا

عادت بطونهم في هضم منضم

لا جوع فيها ولا برد ولا نصب

بل عيشها عن جميع النائبات عرى

فيها الوصائف والغلمان تخدمهم

كلواؤ في كمال الحسن منتشر

لباسهم سندس حلامهم ذهب

ولؤلؤ ونعيم غير محتجر

والذكر كالنفس الجارى بلا كاف

ونزهوا عن جميع اللغو والهدر

فيها غناء الحور الناعمات لهم

بأحسن الذكر للولى مع السمر

وأكلها دائم لا شيء منقطع

كرر أحاديثها بأطيب الخبر

(١) في الأصل : كئيب . (٢) في الأصل : القدر .

فيها من الخير ما لم يحز في خلد

ولم يكن مدركا بالسمع والبصر

فيها رضى المالك المولى بلا غضب

سبحانه و لهم نفع بلا ضرر

٥ لهم من الله ما لا شيء يعدله

سماع تسليمه والنور بالنظر

بغير كيف ولا حد ولا مثل

حقا كما جاء في القرآن والخير

وهي الزيادة والحسنى التي وردت

١٠ وأعظم الموعد المذكور في الزبير

[ذكر القضاة ولمع من أخبارهم - ٢]

و غير ذلك من الواردات المستطردات . قال نجر الإسلام الشاشي :

القضاء فرض على الكفاية ، فان لم يكن من يصلح للقضاء غير واحد ،

١٨٢/١ تعيين عليه طلبه ، فان امتنع / ألزمه السلطان الدخول فيه ، و إن كان

١٥ هناك من يصلح^٢ للقضاء غيره ، و كان هو مشهورا منتفعا بعلمه ،

كره له الدخول فيه - يعنى القضاء - إذا كان له كفاية ، ويختار الإمام أفضلهم

و أروعهم ، فان امتنعوا جميعا ، كان له أن يعين واحدا منهم ويجوز

على القضاء ، و من تعين عليه القضاء و له كفاية ، لم يحز له أن يأخذ عليه

(١) في الأصل : الدبر .

(٢) العنوان مأخوذ من النص الذي هو استمرار له ، و ليس بالهامش .

(٣) في الأصل : لا يصلح .

رزقا ، وإن لم يتعين عليه جاز له أخذ الرزق عليه . ولا يجوز أن يكون القاضى فاسقا ولا امرأة ولا أعمى . ويكون عالما بطرق الأحكام الشرعية . ويكره أن يكون القاضى جبارا عسوفاً ، أو مهينا ضعيفا ، ولا يجوز للحاكم أن يقضى ولا أن يسمع بينة في غير عمله . ولا يحكم لنفسه ولا لولده ولا لوالديه ، فإن اتفق لهما حكومة ارتفعا إلى خليفته ، ويجوز أن يستخلف في الحكم ولده ووالده ، ولا يجوز أن يرثى على الحكم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لعن الله الراشئ والمرثئ في الحكم . قال القاضى أبو الحصين قاضى معرة النعمان^٢ حيث قال :

وليت الحكم خمسا بعد خمس لعمرى والصبا فى العنفوان^٣

١٠ فما وضع الأعدى قدر شأنى ولا قالوا فلان^٤ قد رشانى

ولا يقبل القاضى هدية من لم تجر عاداته بالهدية قبل الولاية . ولا يقضى القاضى وهو غضبان . وإن دعت الحالة إلى اتخاذ حاجب ، اتخذ حاجبا أمينا بعيدا من الطمع .

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^٥ : لا ينبغي للقاضى أن يستقضى ١٥ حتى يكون فيه سبع خصال : الحلم ، والورع ، والنزاهة ، والصرامة ، والعقل ، والعلم بالسنن ، والفقہ . وكان أمير المؤمنين عثمان^٥ بن عفان

(١) فى الأصل : لهم .

(٢) قضاء فى سوريا ، محافظة حلب .

(٣) بهامشه : العنفوان أول الشباب .

(٤) فى الأصل : فلانا .

(٥) انظر حاشية سابقة وراجع الفهارس .

رضى الله تعالى عنه إذا جلس للقضاء ، أحضر أربعة من الصحابة رضى الله عنهم / واستشارهم ، فما أفتوه فيه أمضاه . و يقول للمتحاكين : هؤلاء قضاوا ، لست أنا .

و^٢ ينبغي للقاضي أن يكون بصورة من يتها منه القيام لإقامة الحدود و رد المظالم عن المظلوم و غير ذلك من المصالح التي تلي الدين و الدنيا ، و لن يتها منه ذلك إلا بخصال سبع : و هي الأمانة و العفة ، و الفقه ، و العدل ، و النصيحة ، و الرحمة ، و النزاهة ، و الصلابة . فأما الفقه فلكي^٢ يفارق [به] الجهال ، و أما الأمانة فلكي^٢ يوثق به فيما يقضى ، لأن القاضي إن لم يزد حاله على حال الوديعه المستحفظه لم ينقص منها ، و أما العدالة فلكي يفارق بها من يقدم على الفسق و خلاف المروءة من المجون^{١٠} و اللعب ، و أما النصيحة فلكي يفارق بها من يقدم على الظلم و لا يبالي بايقاع الغبن و الخطأ و الغلط ، و أما الرحمة فلكي يفارق بها من يقسو قلبه و لا يرحم اليتيم و لا الصغير و لا ينهض بنصر المظلوم ، و أما النزاهة فلكي يفارق من يطمع و يتشوق لما في أيدي الناس ، و أما الصلابة فلكي يفارق بها حال من يضعف عن استخراج الحقوق و عن الإقدام على^{١٥} ذى السلطان و القهر و الظلم و الاعتداء .

(١) في الأصل : فيما .

(٢) زيد في الأصل : لا .

(٣) في الأصل : فليكن ، و التصحيح بناء على ما سيأتي .

(٤) في الأصل : عن .

و إذا سئل القاضي عن القضاء كان خيرا له من سعيه فيه . فانه
 إذا سئل شدد ، و إذا سأل و أرشى عليه ، كان غير موفق - انتهى .
 قال بعضهم في فقيهه يتغنى في القضاء مدة طويلة فمات قبل أن يليه ،
 حيث قال :

لنا صاحب لم يزل دائما يجد و يسعى إلى أن قضى
 يعني القضاء فما ناله فعند الإياس أتاه القضاء

و اعلم أن القضاة في المشيئة ، إن شاء الله أن يعذبهم ، و إن شاء الله أن
 يغفر لهم ، و إذا لا يدري الشقي منهم الذي لا يغفر له بما سبق في أم
 الكتاب من السعيد الذي يغفر له بما سبق في أم الكتاب ، و يشهد لهذا
 الف / ١٠ / قوله صلى الله عليه و سلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » لأنه قيل إن
 معناه : أعلم بما يعمل بهم ، و قيل : أعلم بما كانوا يعملون^٢ لو أدركوا
 العمل ، لأن الله سبحانه و تعالى عالم بما كان و ما يكون ، و لو كان
 كيف يكون .

فلنذكر الآن ما قاله الوليد بن رشد في تلخيصه اختلاف أهل العلم
 ١٥ فيما يولد عليه الأطلاق في الدنيا ، و ما يصيرون إليه من جنة أو نار في
 الدار الأخرى ، و أدل على الصحيح من ذلك على مذهب أهل الحق و السنة
 المعتصمين بالقرآن و ما يجب أن يحمل عليه ما ورد في ذلك من الآثار .

(١) في الأصل : يتغنى في ، و أما ما أثبتناه فيستقيم به المعنى و الميزان .

(٢) زيد في الأصل « و » . (٣) في الأصل : من .

قال: فقلت: اختلف العلماء اختلافا كثيرا في الأبطال، فمنهم من ذمب إلى ' أنهم يولدون على الإسلام، و يصيرون في الجنة، و استدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه و سلم في حديث أبي هريرة « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، فجعل الفطرة الإسلام، و حمل الحديث على العموم، إذ قد روى أيضا « ما من مولود إلا و هو يولد على الفطرة.. و منهم من ذهب إلى ' أنهم لا يولدون على كفر و لا على إيمان، و أنهم يصيرون إلى ما سبق لهم في علم الله من شقوة أو سعادة، فلا تحتم على واحد منهم بجنة و لا نار، و استدل على ذلك بما روى عن عائشة رضی الله عنها قالت: أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بصبي من صبيان الأنصار ليصلى عليه. فقلت له: طوبى له! عصفور من عصفير الجنة، لم يعمل سوءا و لم يدركه ذنب، فقال النبي صلى الله عليه و سلم « أو غير ذلك يا عائشة! إن الله تعالى خلق الجنة و خلق لها أهلا، و خلقهم في أصلاب آبائهم، و خلق النار و خلق لها أهلا، و خلقهم في أصلاب آبائهم.. و منهم من ذهب / إلى أن منهم من يولد على الإسلام، و منهم من يولد على الكفر و إن كان أبواه مؤمنين. و استدل على ذلك بحديث عائشة، و بما روى أن الغلام الذي قتله الخضر كان طبع كافرا. و منهم من ذهب إلى أن أولاد المسلمين يولدون على الإسلام،

(١) في الأصل: على .

(٢) في الأصل: ما .

و يصيرون إلى الجنة ، وأن أولاد المشركين يولدون على الكفر ،
و يصيرون إلى النار . و استدل بحديث الصعب بن جثامة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في أولاد المشركين ^١ " هم منهم ، ^٢ أي هم مع
الآباء ، و بأنه قال في أولاد المسلمين ^٣ " لا يموت لأحد من المسلمين
٥ ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار ، قالوا :
فحال أن يكون لأبويهم جنة من النار و هم من أهل النار ، و بما
أشبه ذلك من الآثار ، فيتحصل في أولاد المسلمين ثلاثة أقوال : أحدها
أنهم في الجنة . و الثاني أنهم في المشيئة ، و الثالث أنهم في النار . و قد
قيل : إنه توجب لهم يوم القيامة نار ، يقال لهم : اقتحموها ، فمن أطاع
١٠ و اقتحمها كانت عليه بردا و سلاما ، و أدخل الجنة بطاعة الله ، و من
عصى دخل النار بعصيانه . فأما من يقول : إنهم يولدون على كفر
و إيمان فلا محال ، و يعلمون أنه محال لاستحالة وجوب الإيمان و الكفر
مع عدم العلم و العمل . قال الله عز و جل : " و الله أخرجكم من بطون
امهتكم لا تعلمون شيئا " فمن المستحيل أن يوصف المولود من بنى آدم
١٥ قبل أن يعمل بكفر أو بإيمان على الحقيقة ، كما يستحيل أن يوصف
بذلك من سواه من الحيوان ، و الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) وقع في الأصل : المسلمين - مصحفا .

(٢-٢) في الأصل : أو هم و بانهم - كذا .

(٣) في الأصل : المشركين - تصحيف .

(٤) زيد في الأصل : أولاد ، و التصحيح بحذفه من الموطأ للإمام مالك .

(٥) قرآن كريم سورة ١٦ آية ٧٨ .

الغلام الذي قتله الخضر ، إن الله طبعه يوم طبعه كافرا ، فمعناه خلق في قلبه الكفر حين ميزه و عقله و حكم له عليه بحكمه على ما سبق في سابق عليه ، و كان قتل الخضر إياه لكفره إما بعد بلوغه على ما روى أنه كان رجلا قاطع طريق ، وإما - وهو صغير يفعل الكفر و يعتقد - بشرع كان عليه خلاف شرع الإسلام من وجوب الحد على من لم يحتلم . ٥
و كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم / كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنج الإبل من بهيمة جمعاء - الحديث إلى قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، . أولى و أحسن ما قيل في تأويله : إن المراد بالفطرة المذكورة في الخلقة المسلمة من الآفات المتهية لقبول الدين عند بلوغ العقل المميز الذي لو ترك و مر بها ' لاختار بها ١٠ الإسلام على غيره من النحل ، الأديان لوضوحه و ظهور الحق منه ، فأبواه [إن] كانا يهوديين أو نصرانيين يهودانه أو ينصرانه ، أى يحملانه على اليهودية أو النصرانية ، و يقولانه إياهما و يسميانه اسمها ، فيقول بذلك كما تنج الإبل سالمة الخلقة ، فتثقب أنوفها ، و تشق آذانها لتعرف بذلك . فيقال : هذه بحيرة ، وهذه سائبة ، فترك لذلك . و يؤيد ١٥ هذا التأويل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حاكيا عن ربه : ' إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فأنتهم الشياطين ، فأما لثهم ' عن دينهم ، لأن الحنيف في كلام العرب : المائل . فمعنى الحديث أن الله تعالى

(١) في الأصل : عجماء ، و التصحيح من الموطأ للإمام مالك .

(٢) في الأصل : فأختائهم .

خلق عباده مُيَّلا إلى قبول الدين بالجيلة التي فطرهم عليها ، فلو لا الشياطين الذين يغوونهم عن الدين لكان جميعهم مسلمين . وهو معنى قول الله عز وجل : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " عن ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ، إن خلق ابن آدم في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يبعث الله عز وجل ملكا فيقول : يا رب ! أذكر أم أنسى؟ شقي أم سعيد؟ فما الأجل؟ وما الأثر؟ فيوحى إليه و يكتب الملك حتى أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيغلب عليه الكتاب الذي سبق ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذي سبق ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، و من نشأ على الكفر و الضلال فأطاع الشيطان ، و كفر بالرحمن ، و عبد الأصنام و الأوثان ، ثم ختم له عند الموت بالإسلام و الإيمان ، فهو ممن سبقت له من الله السعادة . و كتب في بطن أمه سعيدا ، و هذا هو الصحيح فيما يولد عليه الأطفال . و أما ما يصير إليه من مات منهم صغيرا قبل أن يعقل من جنة أو نار ، فهذا ما لا مجال فيه للعقل ، و لا مدخل فيه للقياس ، و لا ورد في ذلك [ما - ٢] يقطع العذر و يوجب العلم من ناحية السمع ، إذ لا طاعات لهم يدخلون بها أيضا في جملة من أطاع الله . أو وعده الله على ذنوبه بالعقاب الذي

(١) قرآن كريم سورة ٣٠ آية ٣٠ .

(٢) ساقطة من الأصل .

تدل عليه الآثار أن أطفال المسلمين في الجنة ، فنحن نعلم ذلك يقينا لشهادة الآثار المتواترة بذلك على اختلاف ألفاظها و اتفاق معانيها ، من ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صغاركم دعاميص الجنة ، . و حديثه أيضا أولاد المسلمين في جبل تكفلهم سارة و إبراهيم عليه السلام ، فاذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آباءهم ، و ما أشبه ذلك من الآثار لا يقطع بذلك في حق كل واحد منهم لعدم النظر في ذلك و الإجماع المعصوم لحديث عائشة رضی الله عنها المذكور ، و أما أطفال الكفار فقد روى أنهم في النار . من ذلك حديث الصعب ابن جثامة المتقدم و ما روى عن عائشة أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين . قال : هم مع آباءهم في النار . إلا أن تترك الوائد الإسلام فيغفر لها ، و ما أشبه ذلك من الآثار . و قد روى أن أولاد المشركين [في] الجنة . من ذلك ما روى عن عائشة قالت : سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : هم مع آباءهم في النار ، و سألته بعد ذلك فنزلت : " و لا تزر وازرة وزر اخرى " فقال : هم على الفطرة و هم في الجنة ، . و قيل : إنهم ١٥ يمتحنون في الآخرة ، و كل ذلك من أخبار الأحاد التي لا توجب

(١) في الأصل : تترك .

(٢) أي الآية قرآن كريم - سورة ٣ آية ١٨ .

(٣-٣) في الأصل : الذي يوجب .

العلم ، فلا يصح الحتم عليهم بجنة ولا نار ، ولذلك كره جماعة من العلماء التكلم فيهم .

و روى عن ابن عباس أنه قال : لا يزال أمر هذه الأمة موثقا ومتقاربا حتى يتكلموا في الأطفال و القدر . و وجه القول منهم على استعمال الآثار إذ هو أولى من حملها على التعارض من طرحها أن تجعل الآثار التي وردت أنهم في المشيئة ، إذ لا يدري الشقي منهم [من السعيد ، كما نقول في القضاة من المسلمين : إنهم في مشيئته إن شاء الله أن يغفر لهم ، إذ لا يدري الشقي منهم] الذي لا يغفر له بما سبق في أم الكتاب من السعيد الذي يغفر له بما سبق في أم الكتاب ، ويشهد لهذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، لأنه قيل : إن معناه : أعلم بما يعمل بهم . وقيل بما كانوا يعملون^٢ لو أدركوا العمل ، لأن الله سبحانه عالم بما كان وما يكون ، ولو كان كيف يكون . قال الله عز وجل^١ : " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه و انهم لَكاذبون " و ما يفعل الله بهم من تعذيب و تنعيم فهو عدل منه و حكم مستقيم ، يفعل ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، و يحكم ما يريد لا راد لأمره و لا معقب لحكمه ، فقد كان له أن يعذب المؤمنين الطائعين ، و ينعم الكافرين العاصين ، إذ لا تنفعه الطاعة ،

(١) ساقطة من الأصل ، و وردت في هامشه بخط المراجع .

(٢) قرآن كريم سورة ٦ آية ٢٨ .

(٣) زيد في الأصل « و » .

ولا تضره المعصية . لكنه بفضل ورحمته تفضل على المؤمنين بالخلود في الجنة التي أعدها لأوليائه المتقين ، و حتم على الكافرين بالخلود في النار التي أعدها لأعدائه - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في الشهادات و تحملها و أدائها بمجالس الحكام ،
و من تقبل شهادته و من لا تقبل شهادته إن شاء الله تعالى - أما تحمل
الشهادة و أدائها ففرض على الكفاية . فلا تقبل شهادة صبي و لا عبد
و لا كافر و لا فاسق ، و لا شهادة من يكثر غلطه . و لا شهادة من
لا مروءة له ، و لا شهادة جار إلى نفسه نفعاً / و لا دافع عنها ضرراً ،
و لا شهادة الوالد لولده ، و لا شهادة العدو على عدوه ، و لا تقبل
الشهادة على الزنى أقل من أربعة من الرجال العدول ظاهراً و باطناً ،
و شهود الزنى متى اختلفوا في موضع الفعل فهم قد قذفوا ، فيحدوا حد
القذف ، و يثبت المال و ما يقصد به المال بشاهد و امرأتين و شاهد
و يمين ، و ما ليس بمال و لا المقصود منه المال ، و هو ما يطلع عليه
الرجال لا يثبت إلا بشهادة رجلين ، كالنكاح و النسب و الطلاق و العتق ،
و تقبل فيما لا يطلع عليه الرجال كالرضاع و العيوب التي تحت الثياب
شهادة النساء المنفردات ، و لا يقبل أقل من أربع من النساء الثقات ،
و تقبل شهادة الاستفاضة في النسب و الملك و الموت ، و تجوز الشهادة

(١) في الأصل : فيهم .

(٢) في الأصل : أربعة .

في حقوق الآدميين ، و لا يحكم بشهادة شهود الفرع إلا عند تعذر شهادة شهود الأصل بمرض أو موت أو غيبة .

و العدالة هي ملكة في النفس تمنعها من اقرار الكبار و الرذائل المباحة ، و العدالة تعرف بالتزكية ، و التزكية أن يحكم بشهادته أو يثنى عليه . قال أبو شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني الشافعي : لا تقبل

الشهادة إلا لمن اجتمعت فيه خمس خصال : الإسلام و البلوغ و العقل و الحرية و العدالة . و للعدالة خمس شرائط : أن يكون مجتنباً للكبار ،

غير مصر على القليل من الصغائر ، سليم السريرة ، مأمون الغضب ، محافظاً على مروءة مثله . و الحقوق ضربان : حق الله تعالى ، و حق الآدمي .

١٠ فأما حق الآدمي فثلاثة أضرب : ضرب لا يقبل فيه [إلا شاهدان ذكران^١ . و هو ما لا يقصد به المسمى و يطلع عليه الرجال ، و ضرب

لا يقبل فيه إلا شاهدان ذكران أو رجل و امرأتان^٢ ، و ضرب لا يقبل فيه إلا أربع نسوة ، و هو ما لا يطلع عليه الرجال كالرضاع و الولادة .

و أما حقوق الله تعالى التي^٣ لا تقبل فيها النساء هي على ثلاثة أضرب : ١٥ ضرب لا يقبل فيه -^٤ [أقل من أربعة^٥ شهود و هو الزنى ، و ضرب

(١-١) في الهامش : شاهدين ذكرين .

(٢) في الهامش : امرأة .

(٣) ساقطة من الهامش .

(٤) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل ، و وردت في هامشه بخط المراجع .

(٥) في الأصل : اربع .

يقبل فيه اثنتان وهو ما سوى الزنى من الحدود، و ضرب يقبل واحد
 وهو هلال شهر رمضان . و لا تقبل شهادة الأعمى إلا في خمسة^١ مواضع :
 الموت و النسب و الملك المطلق و الترجمة و ما يشهد به قبل العمى .
 و لا يقبل شهادة / جارٍ لنفسه نفعا و لا دافع عنها ضررا - انتهى .

١٨٦ / الف

و إذا شهدت ثلاثة على رجل بالزنى ، و امتنع الرابع عن الشهادة^٥
 أو قصر فيها ، حد^٢ الثلاثة كما جرى في خبر أبي بكره لما شهد^٣ اثنتان
 معه على المغيرة بن شعبة بالزنى عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما تقدم
 ذكره ، و وصفوه فجاء زياد ابن أبيه و هو الرابع فشهد و قصر عما
 يوجب الحد على المغيرة ، فصار الثلاثة قذفة فجلدهم عمر حد القذف ثمانين
 ثمانين . فروى أنهم لما فرغوا من جلد أبي بكره قال لهم : أليس^{١٠}
 قد جلدتموني ، فاني أشهد أن المغيرة زان . فهم عمر أن يجلده ثانية ، و ظن
 أنه قد قذف المغيرة قذفا^٦ آخر . فقال له علي بن أبي طالب : إن أردت
 [أن - °] تجلده مرة أخرى فارجم المغيرة . يعني أن هذا القول للذي^٦

(١) في الأصل : خمس .

(٢) في الأصل : حدوا .

(٣) في الأصل : شهدوا .

(٤) في الأصل : قذف .

(٥) لا توجد بالنص .

(٦) في الأصل : الذي .

جلد عليه ، فان كان غيره فقد صار شاهدا رابعا ، تم به الشهادة الأولى فيجب أن ترجم المغيرة ، لأن المغيرة كان محصنا . فرجع عمر إلى قول علي بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن مخالفا ، وهذا من علي عليه السلام فقه دقيق - انتهى .

٥ نعود إلى ذكر القضاة الصالحين و الفقهاء الورعين القائمين بشرعة الدين إن شاء الله تعالى - ذكروا عن الإسكندر أنه كان يتفقد أمر ملكه و عماله بنفسه ، فبينما هو يسير متشكرا في بعض المدائن ، فجلس إلى قاض من قضاة أياما لا يختلف إليه أحد في خصومة . فلما طال ذلك بالإسكندر و لم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضي و هم بالانصراف ، فاذا هو برجلين قد اختصما إليه ، فادعى أحدهما فقال : أيها القاضي !

إني اشتريت من هذا دارا و عمرتها و وجدت فيها كنزا ذهبيا دنائير كبيرة المقادير ، و إنني دعوته إلى أخذه فأبى عليّ . فقال له القاضي : ما تقول ؟ / قال : ما دفنت و لا علمت و ليس هو لي و لا أقبضه منه .

ب/١٨

فقالا : أيها القاضي ! مر بقبضه ، فضعه حيث شئت و أحببت ، فقال

١٥ القاضي : تفران^٢ من الإثم و تدخلاني فيه ! و الله ما أنصفتان ! ثم قال

القاضي : فهل لكما في أمر أنصف مما دعوتماي إليه ؟ قالا : نعم . قال

لادعى : ألك ابن ؟ قال : نعم . و قال للآخر : ألك ابنة ؟ قال : نعم .

قال : اذهب فزوج ابنتك من ابن هذا ، و جهزاهما من هذا المال ، و ادفعا

(١) في الأصل : فلو .

(٢) في الأصل : تفر .

فضل ما بقي إليهما يعيشان به ، فتكونان قد صليتما بخيره و شره . قال :
 فعجب الإسكندر حين سمع ذلك ، و قال للقاضي : ما ظننت أن في
 الأرض أحدا يفعل هذا ، أو قاضيا يقضى بمثل هذا ! فقال القاضي و هو
 لا يعرفه : فهل أحدا يفعل غير هذا ؟ قال : نعم . قال القاضي : فهل
 يمطرون في بلادهم ؟ فعجب الإسكندر من ذلك ، ثم قال : بمثل هذا قامت
 السموات و الأرض - انتهى .

فلنذكر ما قال العلماء في معناه - قالوا : من اشترى أرضا فوجد
 فيها حجرا مدفونا ، فاختلف هل يكون للبائع أو للمشتري ؟ و صحح بعضهم
 القول بأنه مالك لظاهرها و باطنها ، لقوله صلى الله عليه و سلم « من غصب
 شبرا من أرض طوقه [الله - ٢] من سبع أرضين » - انتهى .
 ١٠ سئل أبو خزيمة رحمه الله على أن يبلى القضاء ، فامتنع حتى أحضر
 له السيف و النطع . فأجاب إليه . و كان أبو خزيمة قبل أن يبلى القضاء
 يعمل أرسان الدواب و يبيعها ، فأراد ولى الأمر استعماله على القضاء ،
 فوليه بعد خوفه من السيف لضعف قلبه ، و لم يحتمل ذلك ، و أجرى
 عليه في كل شهر عشرة دنانير . و كان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقا إذا
 كان لا يحكم بين الناس فيه ، و يقول : لها أنا أجير المسلمين ! / فإذا
 لم أعمل لهم لم آخذ أجرة ، فمر به رجل من أهل الإسكندرية و هو في مجلسه

(١) في الأصل : احدا .

(٢) زيد من مراجع الحديث .

(٣) في الأصل : إذا .

المعد للحكم به^١، فقال: لأختبرن أبا خزيمه . فوقف عليه فقال: يا أبا خزيمه! احتجت إلى رسن لفرسى . فقام أبو خزيمه إلى منزله فأخرج رسنا فباعه منه ثم جلس يحكم .

و كان عبد الباقي بن يوسف المكنى بأبي تراب يحفظ شيئا كثيرا
 ه من مسائل الخلاف نحو أربعة آلاف مسألة بأدلتها و المناظرة عليها و غير ذلك من الحكايات و الملح و الأدب ، و كان صبورا متقلبا على طريقة السلف . جاءه منشور السلطان بقضاء همذان . فقال: أنا منتظر منشور^٢ من الله على يد ملك الموت بالقدوم عليه ، و الله! لجلوس ساعة في هذا المسجد على راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، و تعليم مسألة ١٠ لطالب أحب إلى من الثقلين . كأنه يذكر الحديث الذي ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة^٣ قط» .

قال القاضي أبو الطيب: كنا يوما بجامع المنصور في حلقة ، فجاء ١٥ شاب ، فذكر حديث أبي هريرة في المصرة ، فقال الشاب: هذا الحديث غير منقول . فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف الجامع حية ، فهض الناس هاربين ، فتبع ذلك الشاب من بينهم ، فقبل له: تب ، فقال: تب . فذهبت تلك الحية ، فلا يدري أين ذهبت .

(١) في الأصل: بها .

(٢) في الأصل: منشورا .

(٣) في الأصل: مرة ، و التصحيح من مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٥ .

و كان أبو نصر المروزي إماما في القراءات السبع ، و اتفق أنه غرق في البحر في بعض أسفاره . فبينما الموج يرفعه و يضعه ، إذ نظر إلى الشمس و قد زالت ، فنوى الوضوء و انغمس / في الماء ، ثم صعد ، فاذا خشبة فركبها و صلى عليها ، و رزقه الله تعالى السلامة بملازمته و محافظته على الصلاة ، و عاش بعد ذلك زمانا . و كان بعض الفقهاء الطاعنين في السن يصلون قاعدا لعجزه عن القيام ، فأنشأ يقول هذه الآيات :

إليك اعتذاري من صلاتي قاعدا و عجزى عن سعيي إلى الجمعات
و تركي صلاة الفرض في كل مسجد يجمع فيه الناس للصلوات
فيا رب لا تمقت صلاتي و نجسني من النار و اصفح سيدي هفواتي
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « بادروا بالأعمال سبعا :
هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مفسدا ،
أو هرما مفندا ، أو موتا محيرا ، أو الدجال ، فشر غائب ينتظر أو الساعة
أدهى و أمر » .

[ما قيل في صفة الدجال - ٢]

١٥

فلنذكر الآن ما قيل في صفة الدجال إن شاء الله تعالى - روى الضحاك في صفة الدجال أنه وافر الشارب ، و لا لحية له ، رأسه كالقطة العظيمة ، طول وجهه ذراعان ، و قامته ثمانون ذراعا ، و عرض ما بين

(١-١) في الأصل : الناس فيه ، و ما أثبتناه يستقيم به الوزن .

(٢) العنوان من النص و لم يرد بهامشه .

منكبيه ثلاثون ذراعا ، ثيابه و خفاه و سيفه و سرجه و لجام حماره ،
كل ذلك بالذهب و الجواهر ، في يده طبرزين . و هيئة الدجال كهيئة
المجوس ، قوسه فارسية ، و كلامه بالفارسية ، تطوى له الأرض و لأصحابه
طيا طيا ، يطأ مجامعها ، و يرد مياهها ، إلا المساجد الأربع : مسجد مكة ،

٥ و مسجد المدينة ، و مسجد بيت المقدس ، و مسجد الطور . يخرج من

أصبهان ، فاذا نزل دمشق ، خرج إليه منها الأردلون : الحاكة و الحمامون

و أولاد الزنى و الحشاشون و أصحاب الربا . و يمكث على كل بلد

ثلاثة أيام ، و يكون القحط و الغلاء في جميع البلاد . و ينقطع كل

ذى ظلف إلا المعز ، عينه الواحدة ممزوجة بالدم / و الأخرى ممسوخة

١٨٨/ الف

١٠ كأنها لم تخلق ، يتناول الطير من الجو ، و له ثلاث صيحات يسمعون أهل

المشرق و المغرب ، يركب حمارا أبيض ، مسيرة ما بين أذنيه أربعون ذراعا ،

و طول أذنيه مائتا^٢ ذراع . و بين حافره إلى حافره الآخر مسيرة أربعة

أيام ، يتبعه سبعون ألفا من اليهود ، عليهم التيجان و الطيالبسة ، يخيل

للناس أن يده اليمنى في المشرق و الثانية في المغرب ، فتوقف له الشمس

١٥ في السماء ، فيقول للناس : إن كان لكم إله غيرى فادعوه حتى يكشف

هذه الشمس عنكم ، فيتبعه كثير من الناس ، ثم يقول : أنا ربكم الأعلى .

ثم يقول : من أطاعنى أدخلته جنتى ، و من عصانى أدخلته نارى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدجال جعد قطط ، أعور العين اليمنى

(١) تكرر في الأصل .

(٢) في الأصل : مائتى .

كأنها عنبة طافية ، و معه ماء و نار ، فهاؤه نار و ناره ماء . فاذا خرج
يكون الناس ثلاث فرق : فرقة تقاتله ، و فرقة تفر منه ، و فرقة تتابعه ،
فمن استحرز منه في رأس جبل أربعين ليلة أتاه رزقه ، فأكثر من يتبعه
من المضلين أصحاب العيال ، يقولون : إنا لنعرف ضلالتهم ، ولكن
لا نستطيع أن نترك عيالتنا . فمن فعل ذلك كان منه . و يقولون : نحن ه
نشهد أنه كافر ، وإنما يتبعه لنأكل من طعامه ، و نأكل من شجره ، فاذا نزل
غضب الله نزل عليهم جميعا ، - انتهى .

[عود لأخبار القضاة - ١]

نعود إلى ذكر أخبار القضاة و العلماء إن شاء الله تعالى - اعلم أنه

- إذا انفرد رجل في البلد أو القطر بشروط القضاء المعتبرة تعين عليه قبول ١٠
القضاء ، و لم يحز له الهروب عنه كسائر فروض الكفاية إذا تعينت ، غير
أن هذا النوع من فروض الكفاية مخالف لغيره من الفروض ، و ذلك أنهم
قالوا : / إذا عين الإمام جماعة القضاة ، و هناك من يصلح له غيره ، / جاز
له الاستعفاء و الهروب . قال بعضهم : سمعت بعض الأمراء يسأل بعض
أفاضل قضاة القضاة عن حاله . فقال له : حالة صفقة ثلاثها في النار ، أشار ١٥
هذا القاضي إلى ما خرجه النسائي عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه و سلم ، القضاء ثلاثة : اثنان في النار و واحد في الجنة . رجل

(١) العنوان من النص و لم يرد بهامشه .

عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق ولم يقض به
وجار فهو في النار . ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل
فهو في النار .

اعلم أن 'هذين الرجلين' ضعيفان عن رتبة القضاء : أحدهما بفسقه
وظلمه ، و الآخر بجهله . و قد عابت جهلة بني إسرائيل طالوت فقالوا : أى
يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال .
فعاوبه بخصلتين : الفقر ، و أنه ليس من سبط الملك . فقال لهم نبيهم
عليه السلام : إن الله قد اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم و الجسم .
فبين شروط الولاية و الممالك ، و بها يفتقر إلى العلم الذى به يحكم ، و إلى
١٠ القوة التى^٢ ينفذ بها الأحكام دون ما ظنه بنو إسرائيل . و العلم جليل
قدره - انتهى .

و لما بلغ علماء ما وراء النهر بمدينة سمرقند^٣ و غيرها بناء المدارس
ببغداد ، أقاموا ماتم العلم و قالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العلية .
و الأنفس الزكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه و الجمال به ، فيأتون علماء
١٥ ينتفع بهم و بعلمهم ، و إذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء أرباب
الجهل ، فيكون ذلك سبباً لارتفاع العلم ، و كفى بالعلم شرفاً أن الله تعالى

(١ - ١) في الأصل : هذان الرجلان .

(٢) في الأصل : الذى .

(٣) و هى قديمة مشهورة فى أواسط آسيا .

وصف به نفسه ، و منح به / أنبياءه ، و خص به أوليائه ، و جعله وسيلة إلى معرفته ، و سببا إلى الحياة الأبدية ، و النجاة من الشقاوة السرمدية ، و الفوز بالسعادة الآخروية ، و جعل العلماء تلو ملائكته بالإقرار بربوبيته ، و الاختصاص بمعرفته ، و ورثة الأنبياء ، فالعلم أشرف ما ورث ، و كفاك دليلا على شرفه قوله تعالى : " الله الذي خلق سبع سموات و من الارض ٥ مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا " ، فجعل الغاية في ذلك العلم . و قال تعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء " . و قال تعالى : " و ما يعقلها الا العالمون " . و قال تعالى : " هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون " . و ناهيك بهذا شرفا و نبلا . و جاء عن خير البشر محمد صلى الله عليه و سلم أنه قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، . و عن ١٠ علي رضي الله عنه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال ، و المال تفنيه النفقة ، و العلم يزكو بالإتفاق . قال الشاعر حيث قال :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم و للجهال مال
محبة العالم دين يدان به ، يكسبه الطاعة لربه في حياته ، و جميل

(١) قرآن كريم سورة ٦٥ آية ١٢ .

(٢) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٢٨ .

(٣) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٤٣ .

(٤) قرآن كريم سورة ٣٩ آية ٩ .

(٥) في الأصل : نبلا .

الأحدوث بعد وفاته ، و منفعة المال تزول بزواله . العلم حاكم و المال محكوم عليه ، مات خزان المال و هم أحياء ، و العلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم فى القلوب موجودة . إذا مات العالم انظم لموته ثلثة فى الإسلام . و قال النبى صلى الله عليه و سلم « العلماء و رثة الأنبياء ،

١٨/ب ٥ فان الأنبياء لم يورثوا دينارا / و لا درهما ، و إنما ورثوا العلم ، . و قال

صلى الله عليه و سلم « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، . و هاهنا نكتة ، و هى

أنه صلى الله عليه و سلم لم يقل : [علماء] أمتى كرسول بنى إسرائيل ، فمن

الناس من ظن أن النبى هو الذى نُسبى فى نفسه ، و الرسول هو الذى

أرسل لغيره ، و ليس الأمر كما ظن هذا القائل . و لو كان كذلك فلما ذا خص

١٠ الأنبياء دون الرسل بالذكر فى قوله : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل .

و مما يدلك على بطلان هذا المذهب قول الله عز و جل : " و ما أرسلنا من

قبلك من رسول و لا نبى الا اذا تمى الى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى

الشيطان ثم يحكم الله آيته و الله عليم حكيم . " فدل على أن حكم الإرسال

يعمها ، و إنما الفرق ما قال بعض أهل العلم : إن النبى لا يأتى بشريعة

١٥ جديدة ، و إنما يجرى مقرررا لشرع من كان قبله كيشوع بن نون . فانه إنما

أتى مقرررا لشريعة موسى عليه السلام ، و أمرا بالعمل بما فى التوراة ،

و لم يأت بشرع جديد ، و هو ما تضمنته التوراة . فقال صلى الله عليه و سلم

(١) فى الأصل : و هو . قرآن كريم - سورة ٢٢ آية ٥٢ .

(٢) فى الأصل : يعمها .

• علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل ، أى يأتون مقررين و مؤكدين و آمرين
بما جئت به ، لا أنهم يأتون بشرع جديد ، فان الأنبياء لم يورثوا دينارا
ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم . ، ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها
إلا ذكر الله وما وآياه و عالم أو متعلم ، و ان الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم ، ” و قال الذين اوتوا العلم بل هو آيت بينت في صدور ه
الذين اوتوا العلم “ و حينما وقع العلم في كلام الله و كلام رسوله صلى الله
عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع المخدم للهوى القامع ، الذى تكتنفه
الحشية ، و تكون معه الإنابة . قال الله تعالى : ” انما يخشى الله ... “ .

[فى العود و الطيب و غيره - ٢]

/ شعرته^٢ مخالفة شعرته ، و رائحته على النار تشبه رائحة الورد ، ١٠ / ١٩٠
و آخرها كأولها ، و هو عبق فى الثياب ، و أحسن أجناس العود الأشباه ،
و علامته أن آخر رائحته على النار دخانية ، و لما تغرب العود عن

(١) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٢٨ .

و بهامشه : هاهنا خرم بالأصل . و هذا السقط لا نستطيع ملأه لعدم وجود
مخطوطات أخرى لهذا القسم من الكتاب .

(٢) العنوان مشتق من النص . و هذا القسم خاص بالمنتجات الطبيعية .

(٣) يلاحظ هنا انتقال المؤلف بجملة إلى موضوع آخر غير سابق .

وطنه ، صار له منزلة عند الملوك و من دونهم . فالنقلة 'تكتسبه محاسن' ، كما قال بعضهم :

تنقل المرء في الآفاق يكسبه محاسن^٢ لم تكن فيها بيلدته
أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه حسن التنقل فيها فوق رتبته
و العود الهندي يقال له المنديل . قال بعضهم من أبيات :

و منديل مالت به ریح الصبا فشم أذياها عبيقه
عرفا فتى كررتہ تخاله كالمسك يزكو أرجا فتيقه

و قال أيضا :

و شممت في الأشجار من ذيل الصبا أرجا يفوق شذاه ریح المنديل
١٠ سئل النبي صلى الله عليه و سلم فقيل له ، يا رسول الله اهل في الجنة
عود ؟ فقال : نعم . فقيل : هل يحترق ؟ قال : نعم . قيل : بالنار ؟ قال :
لا . فقيل : يا رسول الله ! [كيف يحترق العود بغير نار ؟ فقال -]^٣ :
يحترق بنورين : نور العرش ، و نور الجنة .

و قيل : لما أخرج آدم من الجنة بكى عليه كل شئ إلا الذهب
١٥ و الفضة ، فقال الله تعالى لهما : لم لا بكيتما على عبدى ؟ قالا : ما كنا
نبكى على من عصاك ، قال : لأجعلن بنيه في دار الدنيا خداما لكما .

(١-١) في الأصل : تكتسبه محاسنا .

(٢) في الأصل : محاسنا .

(٣) الجملة المحجوزة واردة بالهامش .

و قال للعود : لم بكيت على آدم ؟ قال : رحمته يا مولاي ! قال : لأجعلن
بنيه في دار الدنيا لا ينتفعون بك إلا باحراقك .

قال وهب بن منبه : كان نبي الله زكريا عليه السلام يبيع الطيب في
السوق فقال له نبي الله يونس عليه السلام : ليس ذلك من صفات العباد .

فقال له زكريا : أما السوق و البيع و الشراء فانه مباح ، و التاجر فاجر ه
إلا من أخذ الحق و أعطى الحق و اتقى الله عز و جل ، و لم يمدح سلعته .

الترمذى عن أنس قال : خدمت النبي صلى الله عليه و سلم عشر سنين ،

فما قال لي : أف / قط ، و لا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ و لا لشيء تركته :

لم تركته ؟ و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس تخلقاً ، و لا مسست

خزا و لا حريرا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٠

و لا شممت مسكا و لا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله

عليه و سلم . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ؛ جاء في الخبر :

من دفع له طيب^١ فلا يردده ، لأنه طيب الريح خفيف الحمل .

و لما أتت إخوة يوسف الصديق عليه السلام بأخيهم بنيامين حين طلبه

منهم يوسف ، فأحضروه من عند أبيهم ، فلما بلغ يوسف أنهم حضروا بأخيهم ، ١٥

أمر قبل دخولهم به عليه أن يزين مجلسه بالزينة الحسنة ، فزين على سريره ، و أمر

بأواني الذهب و الفضة ، فملئت مسكا و عنبرا و أنواع الطيب ، و أمر بالأواني

فصفت من ذلك الطيب من باب قصره إلى موضع سريره عن يمين

(١) في الأصل : طيبا .

و يسار . ثم أمر بدخولهم عليه ، فلما دخلوا قدموا بنيامين بين أيديهم
ليعلم الملك بوصوله معهم ، لما كان أولاً حثهم على الإتيان به ، لأنه
أخوه شقيقه . فلما دخل أخوهم دخلوا في إثره ، فلما نظر بنيامين إلى تلك
الأواني مملوءة طيباً ، جعل يأخذ منها ويمسح وجهه و جسده به ، فجعل
إخوته يلومونه و يزجرونه و يقولون له : فما أجهاك ! وضعت هذه
الأواني لك و لأجلك حتى تأخذ منها و تطيب ، أليس هذا سوء أدب !
لأنك لم تعود الدخول على الملوك ، إنما تعودت رعى الغنم و صحبتها .
فقال لهم بنيامين : يا إخوتي ! ليس الأمر كذلك ، إنما هذا ملك عزيز
هو أعز الملوك و أطيبهم نفساً ، و قد تعودت مس الطيب ، فتغيره أدنى رائحة .
١٠ و نحن قوم تغيرت رائحتنا بسفرنا ، ففعلت هذا لتزول عنا الرائحة الكريهة .
فقالوا له : صدقت و الله ! و أخذوا من الطيب / و مسحوا به أجسادهم .
و يوسف ينظر إليهم و قد امتلأ سروراً . فلما وقفوا بين يديه ، نظروا
إلى بهاء ماكنه ، و وقار سلطانه ، و زيادة زيه ، فتعجبوا من ذلك ، فقال
بعضهم لبعض : لعل هذا الملك غير من كنا لقينا في سفرتنا الأولى ! قال :
١٥ ففأثخمتهم الترجمان بالكلام : يقول الملك : من أنتم و من أى بلد جئتم ؟
فقالوا له : نحن بنو الأنبياء ، الذين أمرتنا بالإتيان بأخيئنا . فقال : نعم ،
عرفتكم و أنتم عندي مكرمون ، فقال : أتيتموني بأخيئكم الذى أمرتكم
بالإتيان به . فاستبشروا و عرفوا أنه الملك ، و ذلك لأنه لم يكن يكلمهم
إلا من تحت برقع على وجهه مكلل بالآلىء و الجواهر ، ينظر لهم من

(١) فى الأصل : و يقول . . و أو او زائدة .

داخله ، و هم لا ينظرونه . ثم إنهم قالوا له : أيها العزيز ! لناقد امتثلنا
 أمرك ، و لزمنا سمعك و طاعتك ، و أتينا بأخيها الذي طلبته منا ، و قد
 أحضرناه و هو هذا . فأمر بانزاهم و إكرامهم ، فنزلوا بدار الضيافة ،
 ثم لما كان بعد أيام قلائل ، أمر بطعام فصنع و جعل في أواني على موائد
 عظيمة ، و نصب الموائد أمام سريره ، ثم أمر باحضارهم جميعا ، فحضروا
 و جلسوا على الموائد في غز و شرف و كرامة عظيمة ، و الولدان و الوصائف
 وقوف على رأسهم بالخوان و الأشربة و أنواع الزينة الحسنة ، فلما
 أرادوا التناول قال الترجمان : الملك يأمركم أن يجلس على كل مائدة
 أخوان شقيقان . فافتحم كل أخوين منهم على مائدة ، فكان عدتهم
 عشرة على خمس موائد ، و بقي بنيامين وحده ، لأنه لم يكن له شقيق
 إلا يوسف ، فتأخر عن الطعام ، و جادت أجفانه بالدموع ، و جعل يبكي
 و ينتحب و ينادى : يا حسرتاه لفراقك يا يوسف ! و لم يدر أن الذي
 يبكي لفراقه ، قد جرى القدر بدنوه و تلاقه . فلما رأى يوسف حاله ،
 و سمع مقاله ، أشفق إليه ! و أقبل بكليته عليه ، و قال : مالك يا غلام !
 تأخرت عن الطعام ؟ . فقال : أيها الملك ! أمرتنا أن نأكل أخوين شقيقين
 على كل مائدة ، و كان لي أخ يسمى يوسف من أبي و أمي ، فلما ذكرته
 الآن تجددت أحزاني ، و تحركت أشجاني . ثم صاح و وقع مغشيا عليه ،
 و وقعت الضجة في منزل يوسف : ألا إلهة قد مات أحد العبرانيين . فنزل
 يوسف عن سريره و البرقع على وجهه ، فرفع رأسه و جعله على حجره ،
 و أقبل يساعده في البكاء حتى أفاق . فقام يوسف فأمر الخدم و قال : ٢٠

أحمله إلى السرير حتى يجلس معي عليه . فحملوه و وضعوه إلى جانب يوسف . ثم أمر باحضار مائدة من ذهب مرصعة بالجواهر و اللؤلؤ . فوضعت بين يديهما . و جعل يأكل معه ، فعظم ذلك على الإخوة العشرة و قالوا : انظروا لابن راحيل - يعنون أمه - أخوه الأول يوسف قال لنا : أنتم عبيدي ، بزعمه أنه رأى في منامه أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر له سجدوا^٢ ، و هذا الأخ الثاني إذا رجع إلى كنعان يفتخر علينا و يقول : جلست على سرير الملك ، و أكلت معه على مائدته - و بقية القصة مشهورة . و إنما خلعت^٣ هذا لما فيه من وضع الطيب في أواني الذهب و الفضة^٤ عند ذكر الطيب .

١٠ فلنرجع الآن إلى ذكر أنواع الطيب - من الطيب أيضا الحصابان الجاوي^٥ ، و هو صمغ شجر بأرض جاوة من الهند . و من الطيب أيضا العنبر ، و البحار تقذفه في أماكن معلومة . و قيل : إنه ينبع من عيون في البحر الملح ، و يطفو على وجه الماء ، فتقذفه الأمواج إلى الساحل .

(١) في الأصل : قال .

(٢) في الأصل : سجدوا .

(٣) في الأصل : خلعت .

(٤) في الأصل : الأواني .

(٥) زيد بعده في الأصل : المذهبة الفضة .

(٦) أي من جزيرة جاوه في إندونيسيا .

ومن الطيب أيضا المسك، وأفضله التبت^١، ولا يكون إلا بالتبت والصين، وإنما فضل التبت على الصين لأن طباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه، وطباء الصين ترعى الحشيش، وأيضاً فإن أهل الصين يخرجون المسك من نواجذهم ويغشونه، / وأهل التبت يتركونه محضاً لا يغشونه. ومن الطيب أيضاً القرنفل، قيل: إنه في جزيرة برطابيل^٢، ويشتربه التجار من قوم لا يرونهم، وإنما يضعونه أكواما على الساحل، فتأخذه التجار وتترك هناك العرض. وقيل: إن التجار تترك هناك البضائع على الساحل ويعودون إلى مراكزهم، فإذا كان من غد جاءوا فوجدوا إلى جانب كل بضاعة كوما من القرنفل، فإن رضيه أخذه وترك البضاعة، وإلا أخذ بضاعته وترك القرنفل، وإن أخذها معاً لم تقدر مراكزهم على السير حتى يردوا القرنفل، وربما طلب أحدهم الزيادة، فيترك البضاعة والقرنفل، فيزداد فيه. وقيل: إن شجر القرنفل على نهر يعرف بنهر القرنفل هناك، ولم يدخل إليه أحد قط، ولا ذكر أنه رأى شجره، وقد ذكر بعضهم أن الجن يبيعونه من التجار. ويقال: إنه إذا كان رطباً كان حلو المظهر. ١٥

(١) أي من بلاد التبت بأواسط آسيا.

(٢) لم نثر عليها في كتب الجغرافيا والرحلات العربية، وربما كانت إحدى جزر جنوب شرق آسيا. والتجار العرب في العصور الوسطى كانوا يرتادون تلك الجزر بالهند واندونيسيا.

يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهرمون، و أجود القرنفل الكباش
السالم من العفوة .

و الزعفران أجوده الحديث العهد الحسن اللون السالم من البياض
و الاستحالة و الرمل و الدق و الندوة المفرطة ، و يغش الزعفران الشعر
٥ بالحلبة المنبوتة ، فتضمير و تصير شبيه الزعفران بالذبول بعد قطع رؤسها ،
و يعلم غشها بذلك بأن يجعل الزعفران الشعر في الخل ، فان كان مزغولا
بالحلبة شربت الحلبة من ذلك الخل و انتفخت ، فيعلم أنه مغشوش بها .
و إن كان سالما من الغش بها لم ينتفخ من شعر الزعفران شيء .
و قال بعض الأطباء : من أكل من الزعفران وزن درهمين و نصف
١٠ درهم فانه يموت بسرعة .

و الراوند أجوده الطرى ، و إذا نشر كان لونه حسن الصفرة ،
١٩ / ب / و أرداه النخر و السوس و اللون الأسود ، و أفضله القريب العهد
بالموضع الذى يجلب منه . و قيل : إن منبته بقعر البحر ، و يطول
كالسرو ، و ليس له ورق و هو تحت الماء ، و لم يزل يطول حتى يلحن
١٥ بعضه كدور الدرهم ، ينطق باذن الله تعالى من أصله و يطفو على وجه
الماء ، تقذفه الأمواج إلى الساحل ، فيؤخذ حينئذ .

و البقم^٢ أجوده الغليظ الطرى الحسن اللون ، و هو إما أحمر^٣ قان

(١) فى الأصل : شيئا .

(٢) بتشديد الباء شجر و رته كورق اللوز و ساقه أحمر ، يستعمل فى عمل
الصبغة الحمراء .

(٣) فى الأصل : قان .

بهرمانى^١ ، أو صفرة فاقعة ذهبية . و يستدل على طراوته بزهرة^٢ اللون
و حلاوة الطعم ، و أفضله إذا كان أقل عقد و تشقيق .
و الفلفل أجوده النظيف من الدق و التراب و الحصى . السالم من
الاحتراق و العفونة . و أما الفلفل الأبيض فهو جنس يخالف هذا
الجنس فى شكله و لونه ، و هو يدخل فى الأدوية و لا يدخل فى الأغذية .
و أفضله ما نبل حبه و قل قشوره .

و الزنجبيل أجوده الطرى الرزين السالم من السوس و العفونة ،
و هو يحول و يسوس بسرعة ، و حفظه بأن تجعل معه الفلفل و مرنب
الزنجبيل و مرنب الورد ، من أخذ منه كل يوم على الفطر نصف أوقية
مدة ثلاثة أيام ، قويت معدته و صحته ، و الضعيف المعدة يتجنب الأماق .
فانها ترخيها و تفسدها ، و يصلحها اللحم الناشف الأحمر و العسل النحل
و التين و الزبيب و الموز ، فان ذلك يسخن المعدة ، و تقليل شرب الماء
يصح المعدة ، و كذلك طعام المرنب المغربى يصلحها .

اللبان الذكر هو صمغ شجر مدينة عمان ، و أجوده المعلق ، و هو
ما لقط من شجره قبل أن يسقط على الأرض .

المصطكا صفاته المحمودة كصفات اللبان الذكر سواء .

/ دارصينى^٣ الطعام و هو القرقة ، و أجوده ما كان قطعاً كبيراً

١٩٣ / الف

(١) أى لونه كلون الحناء و هو الحمرة التى تميل إلى الصفرة الصافية .

(٢) فى الأصل : زهرة .

(٣) شجر كالرمان من أصل هندى .

وطعمه حاراً ورائحته ذكية، وهو من شر البضائع لأنه يحول سرعة،
فيمر طعمه ورائحته. وكذلك التمر هندي، وأما الدارصيني الملفوف،
فانه يدخل في الأدوية أكثر من الأغذية، والدارصيني الطيب وهو
يسمى قرقة القرنفل فهو يبين برائحته ورقته.

٥. والزرنب^٢ أجوده الحديث النقي السالم من العفونة والرقه
والسوس والدق.

و اللاذن^٣ أجوده الشمعي النقي الصافي، وهو يبقى المدة الطويلة،
فلا يفسد.

و الكابلي^٤ أفضله ما كبر منه وكان خلنجي^٥ اللون حديثاً،
١٠. و علامته أنك تجده إذا كسرتة مصمغاً^٦، وأما الأسود فالنظيف منه،
وأما الأصفر فالصافي اللون الحديث، والأملج والشيرملج والبليج

(١) في الأصل: حاراً.

(٢) نبات طيب الرائحة.

(٣) شجر اللاذن ينتج الصمغ الذي يستعمل للضعف و يتخذ منه أحياناً العطر
والدواء.

(٤) وهو الأهليج الكابلي نسبة إلى كابل يقابله في المصطلحات النباتية
(Myrobolan chebale).

(٥) من الخلدنج وهو نوع من الشجر ذي الرائحة الذكية العبقة ونواه ما بين
الحمرة والصفرة.

(٦) في الأصل: مصمغ.

فانها^١ مما تقل المتاجر فيهم . و أصول الطيب خمسة وعشرون صنفا
وهي : السنبـل ، و القرنفل ، و الصندل ، و الجوزبوا^٢ ، و السليخة ،
و الزرنب ، و القرقة ، و الزريرة ، و القاقل . و الكبابة ، و الهال بوا ،
و الفاغرة ، و الكافور ، و المحلب ، و الورس ، و القسط ، و الاظفار ،
و البنك ، و الصرو^٣ ، و اللان ، و الميعة ، و القنبل ، و قصب الزريرة ،
و الدبابة^٤ .

و لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض ، فكان هبوطه بالهند
على جزيرة سرنديب^٥ ، و عليه الورق الذي خصفه ، فيبس قدرته الرياح
في بلاد الهند . فيقال - والله أعلم : إن علة كون الطيب بأرض الهند

(١) في الأصل : فانهم .

(٢) من مفردات ابن البيطار ، و في الأصل : جوزتوا .

(٣) أي السرو .

(٤) لم تحاول الإفاضة في البحث عن هذه الجملة من النباتات العطرية و الطبية
التي كان التجار العرب يجلبونها من الهند و جنوب شرقى القارة الآسيوية
و جزرها في العصور الوسطى ، و أغلبها يدخل في بند العطاراة . فهذا الباب
طويل يحتاج إلى بحوث خاصة . لذلك اقتصرنا هنا على إحياء النص كما هو
و اقتصدنا في الحواشى التفسيرية التي لا طائل للتأرخ أو المستشرق في الاضطلاع
بدقائقها .

(٥) وهى سيلان - انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

من ذلك الورق ، و لذلك خصت أرض الهند بالعود و القرنفل و الأفايه
و المسك و سائر / الطيب . و كذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت ، و كان
منه ألماس ، و في جزأره السبازج ، و في قعره مغايص اللؤلؤ .

و قيل : إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، لم يكن عليه إلا ورقة
ه من أوراق الجنة ملففة على جسده ، فذرتها الرياح حين يبست في بلاد
الهند ، فصارت معدنا للطيب . و أخذ آدم في البكاء حتى بكى مائة
عام ، لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى لأكله من الشجرة التي نهاه
عن الأكل منها ، فأنبت الله عز و جل من دموعه العود الرطب و الزنجبيل
و الصندل و الكافور و أنواع الطيب ، و امتلأت الأودية بالأشجار .
١٠ : بكت حواء حتى أبنت الله من دموعها القرنفل و الأفايه .

و قيل : إن آدم لما أهبط من الجنة خرج معه منها صرة من
الحنطة و ثلاثون قضيبا من شجر الجنة مودعة أصناف الثمار ، منها عشرة
بما له قشر ، و هي :^٢ الجوز و اللوز و البندق و الفستق و الخشخاش
و الشاهبلوط و الراج و الموز و البلوط و الرمان . و منها عشرة ذات
١٥ نوى ، و هي : الخوخ و المشمش و الإجاص و الرطب و الغبيراء و النبق
و الزعرور و العناب و المقل و البرقوق . و منها ما لا قشر لها و لا
حجاب دون مطعمها و لا نوى داخلها ، و هي : التفاح و السفرجل و العنب

(١) في الأصل : ثلاثين .

(٢) في الأصل : هو .

و الكثرى و التين و التوت و الأترج و القثاء و الخيار و البطيخ .

[عن آدم و إبليس - ١]

وقيل : لما خلق الله آدم عليه السلام ، أبان فضله للملائكة ،
و أراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم عنه استنباهه إياه
أسماء الأشياء ، فجعل آدم محرابا و كعبة و بابا و قبة أسجد إليه الأبرار
و الروحانيين / و الأنوار .

١/١٩٤

قال ابن عباس : لما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ، سجدوا
كلهم إلا إبليس ، أنى أن يسجد استكبارا و حسدا . فقال الله عز و جل
له : ^٢ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، استكبرت أم كنت من
العالين ؟ قال : أنا خير منه خلقتى من نار ، و خلقته من طين ^٢ ، و النار ^٣ تأكل
الطين ، و أنا الذى عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه ، و أنا الذى
كسوتنى الريش و النور و البهاء ، و أنا الذى عبدتك أكناف
السموات مع الكروبيين و الروحانيين و الحافين و الصافين و المقربين .
فقال الله عز و جل : لقد علمت فى سابق علمى من ملائكتى الطاعة
و منك المعصية ، فلم تنفك طول العباداة ، و قد أياستك من الخير كله ^{١٥}

(١) العنوان مشتق من موضوع الباب ، و ليس بالهامش .

(٢-٢) الأصل فى سورة الأعراف (٧ - مكية) ، و قد تصرف المؤلف فى نقل

النص مع الاحتفاظ بالمعنى و ذلك لئى يسرد منها قصة من إنشائه .

(٣) هذا من عنديات المؤلف و ليس اقتباسا من المصحف .

إلى آخر الأبد، و لأجعلك مغموما مدحورا شيطاناً رجياً . قال :
 فعند ذلك تغيرت خلقته إلى خلقه الشياطين . فلما نظرت الملائكة إلى
 سوء منظره ، و شمت رائحته ، و كرهته فوثبت عليه بحرابها و هم يلعنونه
 و يقولون : رجيم رجيم ! ملعون ملعون ! و هم يطعنونه و هو هارب من
 هـ بين أيديهم حتى ألقوه في البحر المسجور^١ ، فبادرت إليه ملائكة البحر
 المسجور بحرابها ، و هي حراب من نار ، فلم يزالوا يطعنونه بها حتى بلغوا
 به القرار ، و غاب عن أعين الملائكة . و بقيت الملائكة في اضطراب ،
 و السهوات في رجفة ، من جرأة إبليس في مخالفته لأمر الله تعالى ،
 و من غضب الله تعالى عليه .

١٠ فلما كثرت ذرية آدم ، صار مسلطاً عليهم ، يفويهم و يحسن

لهم كل فعل قبيح من الزنى و غيره . فلذلك قال بعضهم في ذلك :

عجبت لإبليس في نخوسته و قبح ما أظهر من زلته

تاه على آدم في سجدته و صار قواداً لذريته

حكى القرطبي في كتابه و المفهم في^٢ صحيح مسلم ، أن بعض السلف اتقى
 الخلوة بالبهيمة . و قال : شيطان مغر و أنثى حاضرة . فاذا كان هذا

(١) في الأصل : إلى .

(٢) أي المشتغل بالنيران .

(٣) من كشف 'ظنون' ، و في الأصل : على .

قد اتقى الخلوة بالبهيمة ، فكيف بالمرأة الجميلة و الشاب الجميل ، فالشيطان عمله فيها أقوى من عمل البهيمية .

قال الغزالي : إن سماع الصبي الذي تخشى فتنه في المعنى حرام . قال

الشيخ محي الدين النواوي : يجب على كل مؤمن أن يفيض بصره ،

و يصون نظره عما لا يحل النظر إليه ، من امرأة أو صبي جميل . لأن

النظر إلى الأمر الحسن الوجه حرام ، سواء كان بشهوة أو بغير شهوة ،

سواء أمنت الفتنة أو لم تؤمن . هذا هو المذهب الصحيح المختار عند

العلماء . و قد نص على تحريم النظر إليه الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ،

و دليله قوله تعالى ' قل للؤمنين يغضوا من ابصارهم ' . قال ابن الجوزي

في بعض مواعظه : يا مطلق أبصارهم في النظر إلى ما لا يحل لهم ! جاء ١٠

توقيع الغزل ، ' قل للؤمنين يغضوا من ابصارهم ' - انتهى .

نعود - اعلم أن الأمر في معنى المرأة ، بل وربما كان كثير منهم

أحسن من النساء و يتمكن من أسباب الزينة ما لا [تتمكن منه - ٢]

المرأة ، و يتساهل في حقه ما لا يتساهل في حقها . و قيل : إن الإمام

أحمد بن حنبل كان مجاوراً لرجل^٢ له ولد جميل ، فكان يأتي إلى الإمام ١٥

أحمد لزيارته ، و للتبرك به ، فدخل عليه يوماً و ولده معه . فقال

له الإمام أحمد : إن أردت زيارتنا ، فلا تأتنا بهذا معك . فقال له

(١) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٣٠ .

(٢) بياض بالأصل ، و ما أنبتناه مشتق من السياق ، و بهامشه : يامن تاصله - كذا .

(٣) في الأصل : برجل .

الرجل : و مثلك يا سيدي يخاف على نفسه من هذا ! فقال له : على هذا أدركنا أئمتنا و مشايخنا هذه العلماء العارفين و الأولياء الخائفين ، / لا كما يفعله بعض أهل السماع من تعاطى مراتب الأولياء من مخالطتهم الشباب الحسان الوجوه و اتخذهم لخدمتهم و استماعهم لغنائهم معتقدين بزعمهم السلامة من الشيطان ، و أنه ليس له عليهم سلطان ، و ذلك من علامات الخذلان ، و فعل الجهال المجان - انتهى .

نعود إلى ذكر هبوط آدم إلى الأرض إن شاء الله تعالى - كان هبوط آدم عليه السلام بوادي سرنديب^١ من أرض الهند بالجبل المعروف بياس^٢ . فلما هبط وضع رجله الكريمة على ذلك الجبل ، فادت الأرض به ، فأتاه جبريل عليه السلام بالعصا التي كانت لموسى عليه السلام ، وهي من عروق آس الجنة ، و هو الريحان ، فاتكأ عليها ، و تناثر الورق من عليها ، فمن ذلك أصل الرياحين كلها ، و بقي أثر قدم آدم في الصخر سبعين^٣ ذراعا ، و خطا الخطوة الثانية في البحر على مسيرة ثلاثة أيام من هذا الجبل . و أوحى الله تعالى إلى جبريل حين نزل آدم ، فوضع يده على رأس آدم فطأطأه إلى ستين ذراعا في الطول ، إذ كان يمشي فيمس السحاب رأسه ، و انتقص من عظم جوارحه بقدر ما انتقص من طوله . و لما هبط آدم إلى الأرض ، أهبط معه حواء و إبليس ، فوضعت

(١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) وردت قصة هبوط آدم على ذلك الجبل بسرنديب في معجم البلدان

لياقوت (ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤) و سماه « الرهون » .

(٣) في الأصل : سبعون .

حواء لأدم هايل و قابيل ، و كان هايل صاحب ماشية ، و كان قابيل صاحب حرث ، و كان قربانها أن يتقربا بقربان ثم يلقياه على وجه الأرض حتى تأتي نار فتأكله أو يلبسه الدهر . و كان هايل يتقرب بالحنطة ، فتأتى نار من السماء فتأكل قربان هايل ، و لا تقرب قربان قابيل . فغاضه ذلك ، فخرج حتى لقي إبليس . فقال : يا إبليس ! أتقرب أنا وأخى بقربانين ، فتأتى نار فتأكل قربانه ، و لا تقرب قربانى . فقال له إبليس : / اقله تكون ملكا فى الأرض . قال : و ما القتل ؟ قال : إذا رأته راقدا فأذتى به . فلما رقد هايل أتى قابيل إلى إبليس فأعلمه بنومه ، فانطلق معه إبليس حتى وقف على رأسه . فقال : خذ حجرا فاضرب به رأسه . ففعل ، فلما قتله حملة ثلاثة أيام بطوف به . الأرض ، يظعن به إذا ظعن ، و ينزل به إذا نزل ، حتى بعث الله بالغرايين ، فاقتلا و قابيل ينظر إليهما ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له حتى أعماق فدفنه . فقال الله تعالى فى كتابه العزيز : ” و اتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر “ - الآية . و قيل : كانت صفة الغراب الذى قتل الغراب ، رأسه أبيض ، ١٥ و ظهره أخضر ، و بطنه أسود ، و هو أحمر الرجلين و المنقار ، أخضر الجناحين ، بين عينيه درة معلقة بسلسلة من ذهب . فأما بياض رأسه فانه شاب لما رأى قابيل قتل أخاه هايل ، و أما حمرة منقاره و رجله فانه غمسهما فى دم هايل الشهيد ، و أما خضرة أجنحته و ظهره فمن لمس

(١) قرآن كريم سورة . آية ٢٧ .

(٢) فى الأصل : لأخيه .

كف الحور العين ، وإنه طائر من طيور الجنة . فلما رأى قاييل ما فعل الغراب من قتله للغراب الآخر ودفنه له قال : أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى ! فحفر له ودفنه .

وقيل : لما قتل قاييل أخاه ساييل ، طرده آدم عليه السلام من دون إخوته ، وأمرهم أن لا يجالسوه ، وأباح قتله ، فأنته عناق أخته وقربته . فبلغ ذلك آدم . فغضب عليها ، ونهى أولاده عن كلامها وأبعدها . فقال قاييل : يا أختى ! إن أولاد أيننا قد حقرونا وأعرضوا عنا . فهل لك أن تزوجيني نفسك ؟ فأجابته إلى ذلك ، فأخذها ومضى بها إلى بلاد اليمن . فأقامت عناق معه لا تحبل ولا تلد ، وكان الله تعالى قد خلق لها عشرين^٢ إصبعا ، في كل إصبع ظفران^٣ كالمخلائين القويين تحفر بها الأرض ، وتقطع بهما الأشجار . وكان جلوسها مساحة جريب^٤ من الأرض ، وكان أكلها الوحوش . فأقامت مع قاييل ، ثم إنها حملت بعوج وسمته هيمال ، ففرحت به / فرحا شديدا . فلما أتى عليه عشرون سنة ، هلك أبوه قاييل ، فوضع أمه حتى بلغ ثمانين سنة . فخرج جبارا قويا لا يطاق . فبينما هو ذات يوم مع أمه عناق وهو صبي لم يحتلم ، وهكذا كان^٥ أهل ذلك العصر لا يحتلم الرجل منهم إلا بعد مائتي سنة .

الف / ١٠

(١) في الأصل : لآخيه .

(٢) في الأصل : عشرون .

(٣) في الأصل : ظفرين .

(٤) في الأصل : الحريب - كذا ، والحريب من الطعام والأرض مقدار معلوم .

(٥) في الأصل : كانوا .

إذ غلبها النوم فقالت : يا هيبال ! إن النوم قد غلبني ، فاجمع لي الوحوش حتى أستيقظ من نومي فأكلها . ثم نامت عناق ، فاشتغل عوج باللعب ولم يصطدا لها شيئاً ، فانتبهت فوجدته يلعب فغضبت عليه ، وجعلت تضربه . فبينما هي تضربه إذ أقبل إبليس ، فأخذ حجراً عظيماً ودرجه من رأس الجبل ليقتل به عناق ، فلما نظر عوج إلى الحجر يهوى إلى أمه ، جذب يده من يدها ، فتباعد كل واحد من صاحبه ، فسقط الحجر ناحية منها ، فلما نظرت عناق إلى عوج وقد برقاها من الحجر بعد أن كان يقصدها ، ضمت ولدها إلى صدرها ، وقبلت بين عينيه ، ودعت له بالقوة و طول العمر ، فاستجاب الله تعالى منها دعوتها ، وأقامت معه حتى تم له مائتان سنة ، فكان حينئذ بلوغه ، وهلكت عناق ، وبقى عوج وحده ، وأعطاه الله من القوة والبطش ما لم يعط أحداً من ولد آدم . فظهر في الناس بطشه ، وكان يغيب الشخص بين أذنيه^٢ ، والركب بين منكبيه ، يخطو الخطوة يقطع بها المهامه و القفار التي لا يقطنها الركب إلا بالزاد الكثير . وكان طوله ثلاثمائة ذراع بالذراع الأول ، وهامته كأعظم صخرة على وجه الأرض ، وبين عينيه ما بين مدينة^{١٥} الحيرة و مدينة الكوفة^٥ ، وصوته كالرعد القاصف . وكان إذا مشى

(١) في الأصل : لم يصطاد . (٢) في الأصل : مائتي .

(٣) في الأصل : أذنه .

(٤) قريبة من الحيرة على حافة الصحراء من جزيرة العرب .

(٥) بأواسط العراق على شط هندية من فروع نهر الفرات على بعد تسعين ميلاً جنوبي بغداد .

فرت الوحوش من بين يديه فيمد يديه فيخطو خطوة فأخذها ، وربما
بكى فتجري الأودية من دموعه . و كان يصبح الصيحة فتهلك لساعها
الأنعام ، و إذا نزل بلدا تكون فيه الأشجار موفورات^١ بالثمرة فأكلها ،
و إن كان على ساحل البحر / أفى سمكه ، و كان يأكل في اليوم ما يأكله
٥ غيره في سنة . و كانت ملوك الأرض تعظمه و تكرمه و تتقى سطوته .
و كان إذا نزل على ملك من الملوك ، يقيم عنده يومين و ينتقل إلى غيره . و كان
الملك الذي ينزل عليه لو أتخفه بكل ما يقدر عليه لم يبلغ رضاه ، و كان
قد ألف الوحدة و الانفرد في خوض البحار بالليل و النهار ، و كان
يقبض السمكة العظيمة الخلق بيده و يرفعها إلى عين الشمس تنشوي
١٠ بقوة حرارتها و يأكلها . و عاش حتى أدرك زمان موسى عليه السلام
و أهلك الله فرعون و من معه بالغرق ، فرجع بنو إسرائيل إلى مصر ،
فأوحى الله تعالى إلى موسى أن يبلاد المشام^٢ ملكا ظلما^٣ يقال له خيشوم ،
فأرسل إليه و خوفه عذابي . و كان خيشوم المذكور جبارا عنيدا عظيم
الخلق مهول الجثة ، و كان قد رزقه الله ابنة على هول خلقته ، و كانت
١٥ بديعة الجمال ، فدعى موسى يوشع بن نون و قال له : تمضى إلى هذا الملك
الطاغي و تدعوه إلى الإيمان بالله ، و أنى رسوله ، فان أجاب و إلا سرت
إليه بنفسى . فلما وصل يوشع إلى باب الملك ، قام إليه الحجاب فضربوه ،
فقال لهم حاجب الحجاب : كفوا عنه ، و قال له : فيم جئت ؟ فقال له :
أنا رسول رسول الله موسى بن عمران . قال : و ما أمرك به ؟ قال :

(١) في الأصل : موفورات .

(٢-٢) في الأصل : ملك ظالم .

تقولون 'معي: لا إله إلا الله وأن موسى رسول الله. فوجب حاجب الحجاب من كلامه وطرده من الباب. فصاح يوشع صيحة عظيمة، فألقتهما الريح في أذن الملك خيشوم فأرعبته فقال: ويلكم! ما هذه الصيحة؟ فتبادروا إلى يوشع، فتبادر من هو واقف بين يديه إلى باب الملك، ثم عادوا فقالوا: على الباب رجل في زى المجانين، يذكر أنه رسول موسى بن عمران، و كان عوج بن عناق إذ ذاك حاضرا عنده، فقال الملك، يا عوج! ما نضنع به؟ قال عوج: إن كان موسى فلا تدخله إليك: فان موسى عمل على فرعون حتى غرقه هو عسا كره ببحر القلزم كما علمت، وإن كان غيره فأدخله إليك. فتقبل: هو يوشع رسول موسى. فقال خيشوم: على به! فأتى به إليه، فلما نظر يوشع إلى خيشوم و عظم خلقة قال « سبحان الملك الأعلى، قاصم الجبابرة، ومدل الأكاسرة، وميد القياصرة!، فقال خيشوم: من تكور؟ قال: أنا يوشع رسول رسول الله موسى بن عمران. فتقبلت عيناه في أم رأسه و قال: لو لا أنك عبد فقير مسكين^١، و إلا أمرت بقتلك، ولكن أرجع إلى صاحبك فاني سأر إليه أخرب دياره، و أعنى آثاره. فرجع يوشع إلى موسى ١٥ فاخبره بجميع ما اتفق له، فخرج موسى ببني إسرائيل يريد الملك خيشوم، و كان يوشع لما خرج من عند خيشوم. أقبل خيشوم على وزيره و قال له: ما تقول فيما أتى به رسول موسى؟ قال الوزير: ما لموسى غير عوج، تزوجه ابنتك فانها قرينته. و كانت ابنة الملك على أعظم خلق الله تعالى،

(١) في الأصل: تقولوا.

(٢-٢) عبدا فقيرا مسكينا.

وكانت أحسن أهل زمانها ، وكان لها مائة ذؤابة من الشعر ، مكللة باللؤلؤ
 و المرجان و أنواع الجواهر . وكان عوج إذ ذاك في ضيافته ، فأمر الملك
 بابنته فحضرت في أتم زينة . فلما نظرها عوج ملكت عقله ، و سلبت له ،
 فقال له الملك : يا عوج ! أريد أن أزوجهك بابنتي هذه ، و أجعلك
 ٥ قسيم مملكتي . فقال عوج : و ما تطلب بذلك أيها الملك ؟ فقال :
 تكفيني أمر موسى وحده ، و أنا أقتل جنده . فقال عوج : أنا أكفيك
 أمر موسى و جنده أيضا . فقال الملك : إن أنت فعلت ذلك ، فابنتي
 و نصف ملكي لك . قال : فمضى عوج و ذرع عسكر موسى ، و إذا
 به أربعة أميال . فمضى إلى الجبل و قطع صخرة على قدر العسكر ، و حملها
 ١٠ على رأسه . و سار بها أمام الملك خيشوم و عسكره . فلما اتقوا بموسى
 و قومه ، ارآه بنو إسرائيل فولوا منهزمين . فأوحى الله تعالى إلى موسى :
 قل لهم : اثبتوا ، فاني مهلك عوج بطائر أرسله إليه . فثبت بنو إسرائيل ،
 فبعث الله طائرا على مثال الهدد ، / له منقار ، طوله ذراع ، فجعل ينقر
 تلك الصخرة و عوج لا يحس به ، حتى صار الحجر طوقا في عنقه ،
 ١٥ فجعل عوج يدور يمينا و شمالا ، و لا يقدر على إخراج رأسه من قوة
 الحجر الذي صار على كتفيه ، فجعل الطائر ينقر دماغه حتى وصل إلى
 المخ . فأوحى الله تعالى إلى موسى : تقدم إليه فاضربه بالعصا . فتقدم
 إليه موسى : فكان طوله عشرة أذرع ، و عصاه عشرة أذرع . و قفز في
 الهواء عشرة أذرع ، و ضربه فوصلت الضربة دون قبة كبه مع قفزته ،
 (١-١) راوه بنى .

فأتى ووقع بالصخرة على عسكر الملك خيشوم ، فهلك منهم ما شاء الله تعالى ، و زحف الباقون نحو عسكر موسى ، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك الحجر . فضربه فتفجر و خرج منه ألف ألف كوز ، في كل كوز ألف ألف قرصة ، في كل قرصة ألف زبور ، كل زبور مثل الضفدع الكبير ، أرسلها الله تعالى على خيشوم و جنوده ، فجعلت تلسع وجوههم ، فولوا منهزمين ، فتبعتهم تلك الزنابير تلسعهم ، فأهلكتهم و أهلكت خيولهم ، و التجأ بعضهم إلى الكهوف و المغاور ، فدخلت الزنابير خلفهم منها ، فلما اجتمعوا خارجها باخراج الزنابير لهم منها ، أرسل الله تعالى عليهم غمامة سوداء ، فأمطرت عليهم البرد فأهلكهم . فنظر موسى و أصحابه إلى سوء مصارعهم ، فغضبوا أموالهم و عادوا إلى مصر سالمين غامين - انتهى .

و لما هلك عوج أقام في الأرض سنين حتى أنتت^٢ الأرض من فريسته ، و كان الثلث منه في البر مسيرة ستة أشهر ، و الثلثان^٣ في البحر . فدعا موسى ربه لما أضرت رائحته بأهل الأرض ، فسلط الله عليه الشمس و الرياح حتى أفته - انتهى .

نعود إلى ما قيل أيضا في سبب قتل قاييل لأخيه هايل - و ذلك أن آدم عليه السلام كان يحب ولديه هايل و قاييل من بين أولاده ، فذكر لها ما أنعم الله عز و جل عليه من بدء أوله و آخره . و ما كان

(١) في الأصل : المغاير - كذا .

(٢) في الأصل : تفتت . (٣) في الأصل : و الثلثا - كذا .

فيه من نسيان / عهد ربه ، وأنه تاب عليه وقبل توبته ، و تقبل قربانه .
 ثم قال : إني أحب أن تقربا لربكما قربانا عساه أن يتقبل منكما ، وكان
 هايل صاحب غم ، فأخذ منها كبشاً سمينا لم يكن في غنمه خير منه ،
 فجعله قربانا ، وكان قاييل صاحب زرع ، فأخذ منه قبضة يسيرة فجعلها
 قربانا ، فنزلت نار من السماء بيضاء ليس فيها حر ولا دخان ، فأخذت
 قربان هايل وأكلته ، ولم تأكل قربان قاييل ، فداخله الحسد من ذلك
 لأخيه ، فقال : إن أولاد هذا تفخر على أولادي من بعدى . واجتهد
 أن يقتله ، فنزل هايل و قاييل من موضع القربان يريدان منزل آدم
 عليه السلام . وكان هايل يمشى بين يدي قاييل ، فعمد قاييل إلى حجر
 عظيم ، فضرب به رأس هايل فقتله ، فلما أبأ على آدم ، خرج في
 طلبهما ، فأصاب هايل مقتولا ، فاغمم لذلك غما شديدا ، وكانت الأرض
 قد شربت من دمه والأشجار والشواحي قد تغيرت عن نضارتها وزهرتها ،
 فيقال : إن آدم لما رأى ذلك أنشأ يقول هذه الآيات :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون وغيب في الثرى الوجه الصبيح ١٥

قتل قاييل هايلا أخسأ فوا أسفا على الوجه المليح

[في الفقر و الزهد و القناعة و غير ذلك - ٢]

ذكر ما قيل في الفقر و الزهد و القناعة و الرزق و المعاش

(١) كذا في الأصل ، والشطر ظاهره مكسور .

(٢) العنوان من فذلكة نص الباب و ليس بهامشه .

١٦٠ (٤٠) و الاحتراف

والاحتراف والسكدية والكرماء والبخلاء وغير ذلك - اعلم أن الفقر صلاح مبعوض، وهو باب الخلاص من شبائك الدنيا، هو قاتل الشهوات، هو يجعل الإنسان غير متهم بالجملة، هو خير ولكنه عسر الاحتمال، هو سبب الأدب، هو تجارة غير محسود عليها، هو جوهرة لا تعرف، هو ربح بلا خسارة، هو فائدة الحكماء، / ورغبة العقلاء، ٥ / ١٩٨ ر
و عاقبه أحسن من عاقبة التمتع .

لما مرض أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان مرضه الذي مات منه . أمر أن يصعد به إلى أعلى قصره، فلما صار في أعلاه، أشرف على غسال يعصر ثوبا بجانوته، فقال : ليتني كنت غسالا ! أغسل الثياب بالأجرة، ولا تقلدت أمر الأمة، أسأن عنها يوم القيامة، لما روى أن كل راع سؤل عن رعيته . فلما بلغ الشيخ الصالح أبا حازم مقالته تلك، قال : الحمد لله الذي يتمنى الملوك عند موتهم ما يحسن فيه من الفقر .
و أنشدوا في هذا المعنى :

إذا كنت في أمر فكن فيه محسنا فعما قليل أنت ماض و تاركه
فكم دحت الأيام أرباب دولة وكم ملكوا أضعاف ما أنت مالكة
و اعلم أن الفقير هو الذي لا يجد موقعا ما من كفايته، [غير أنه لا يتم به كفايته، فيدفع إليه من الزكاة ما نزول به حاجته . و المسكين (١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .
(٢) في الأصل : ابو .

هو الذي يجد ما يقع موقعا من كفايته^١ - [فيدفع إليه ما يقوم
بتمام كفايته، فالمسكين أيسر حالا من الفقير لقوله تعالى^٢: "أما السفينة
فكانت لمسكين يعملون في البحر".

و قد جاء في الخبر "اتخذوا عند الفقراء أيادي، فان لهم دولة و أي
دولة!، . و قال بعضهم: أكرموا الفقراء، فانهم يحملون أزوادكم إلى
الآخرة. و كان بعضهم يتصدق بالرخفان، فقيل له: إنما تعطى الفقراء
الكسرا فقال: إني أستحي من الله تعالى إذا نشرت صحيفتي أن أرى
فيها كسرا، و الله تعالى يقول^٣ "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضعفه له" و الرخفان أحسن من الكسر.

١٠ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتصدق بالسكر، فقيل له في
ذلك . فقال: إن الله تعالى يقول^٤: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون". و أنا أحب السكر. قال أبو أمامة: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: يا ابن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، و إن تمسكه
شر لك. و لا تلام على كفاف، و ابدأ بمن تعول، و اليد العليا خير من
١٥ اليد السفلى - خرجه مسلم.

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في الهامش بخط المراجع.

(٢) قرآن كريم سورة ١٨ آية ٧٩.

(٣) قرآن كريم سورة ٣ آية ٢٤٥.

(٤) قرآن كريم سورة ٣ آية ٩٢.

عن أبي هريرة قال : سمعت / رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ١٩٩ / الف
 لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره ، فيتصدق به ، و يستغنى به عن
 الناس ، خير [له - ١] من أن يسأل [رجلا - ١] أعطاه أو منعه ذلك ،
 فان اليد العليا خير^٢ من اليد السفلى ، و ابدأ بمن تعول - خرجه مسلم .
 و عن أبي هريرة قال : ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف ه
 على الناس ، فترده اللقمة و اللقمتان و التمرة و التمرتان . قالوا : و ما
 المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غنى فيغنيه ، و لا يفتن له
 فيتصدق عليه ، و لا يسأل الناس شيئا - خرجه مسلم .

عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان
 يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء ، فيقول له عمر : أعطه^٢ .
 يا رسول الله أفقر إليه منى . فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم :
 خذه فتموله أو تصدق به ، و ما جاءك من هذا المال و أنت غير
 مشرف و لا سائل نخذه ، و ما لا فلا تتبعه نفسك . قال سالم : فمن
 أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ، و لا يرد شيئا أعطيه
 - خرجه مسلم .

١٥

و اعلم أنه إذا تصدق رجل بدينار على فقير ، ثم أخذه منه ،

(١) زيد من صحيح مسلم .

(٢) في الصحيح : افضل .

(٣) في الأصل : اعطيه .

(٤) في الأصل : أحد .

وجب عليه رد ذلك الدرهم على الفقير ؛ كما إذا صلى أحدهم فلا يتم
الركوع و السجود ، و لا يقيم صلبه ، لأنه يظن أن ذلك يجزيه ، و ليس
يجزيه و إن كان تطوعاً ، لأنه حين دخل في التطوع فقد صار ذلك
واجباً لازماً يجب إتمامه و إحكامه ؛ كما لو أن رجلاً أحرم بحجة
تطوعاً ، و جب عليه تمام مناسكها ، فإن أفسدها و جب عليه قضاؤها ،
و إن أصاب فيها صيداً ، و جبت عليه الكفارة ؛ و كما أن رجلاً لو صام
يوماً تطوعاً ثم أفطر / بعد العصر ، و جب عليه قضاء ذلك اليوم . فكل
تطوع دخل فيه العبد فقد لزمه و و جب عليه أدائه تماماً محكماً قضاؤه ،
لأنه حين دخل فيه فقد أوجبه على نفسه . و لو لم يدخل فيه لم يجب
١٠ عليه شيء .

١٩٤/ب

و اعلم أنه ينبغي للعاقب الصبر على الفقر ، فإن الصبر مر و عاقبته
حلاوة ، قال الشاعر :

استعمل الصبر تجني بعده العسلا و قف على الباب ليلا تبلغ الأمل
و قال الآخر :

١٥ الصبر مثل مر مذاقته لكن مذاقته أحلى من العسل
و قال الآخر :

جوهرة الصبر لها رتبة يحسدها الياقوت و الدر
و قال الآخر :

لا تسأل الدهر إنصافاً فتظلمه و اصبر عليه فلم يخلق لإنصاف

(١-١) الجملة مكررة بالنص .

(٢) في الأصل : آخر .

خذ ما تيسر و الق لهم ناحية لا بد من كدر فيه و من صاف
 لكن الفقر داء لا دواء [له] ، إن بحت به فضحك ، و إن كتمته
 قتلك . قال بعضهم : لا تخبر الناس بفقرك ، فإن الفقير لا يعأ به ، و لا
 يلتفت إليه أحد . و قال بعضهم : الفقر في العين نقر ، و في البطن بقر ،
 و في الظهر عقر . قال الجوهرى : الفقر سر المذاق ، و الغربة تكسر
 الأعناق ، و الصدقة تطفى غضب الخلاق ، ما عندكم ينفد و ما عند الله
 باق . و مما قيل :

النفس تكره أن تكون فقيرة و الفقر خير من غنى يطغيها
 فغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما فى الأرض ما يكفيها
 و قال لقمان لابنه : يا بنى ! لا تلم من لا قوت له فى طلب قوته ،
 فإن من عدم قوته عدم عقله . و قال بعضهم : عجبت لمن عدم القوت ،
 كيف يستطيع السكوت ! و قال بعضهم : ما ذل قلب قط لبارئه إلا
 أفاده نورا أو خيرا . و قال بعضهم : ألح على الكرام و إن لم تكن
 أهلا للعطاء ، فإن لهم أخلاقا جميلة .

قيل : طلب فقير بمدينة / قوص^٢ على كوم ألف دينار ، فأقام ١٥ / ٢٠٠ /
 يتمناها مدة طويلة ، فأتى إليه بعض أهلها الممولين بخسائه دينار ،
 فلم يقبلها و قال : ما آخذ إلا ألف دينار ! فتركه مدة طويلة أيضا ، و أتى
 إليه بألف دينار فأخذها منه ، فلما صارت بيد الفقير ، رفع الفقير طرف

(١) فى الأصل : النفس ، و يستقيم الوزن بما أثبتناه .

(٢) مدينة كبيرة عظيمة بالصعيد الأعلى لم يذكرها فى معجم البلدان .

سجاده و قال له : انظر ، فظن فاذا كنز ذهب تحتها ، فقال التاجر :
يا سيدي ! هذا ذهب . فقال الفقير : من يكون هذا الكنز تحته يطلب
ألف دينار ! وإنما طلبتها لأنظر هل أحد يعطيها أم لا ، فلما أعطيتها
علمت أنك من كرماء الناس ، ولكن خذها و خذ الكنز لك .
٥ وتركه الفقير و مضى إلى حال سبيله ، فأخذ الرجل الكنز و الألف ،
و بنى من ذلك الكنز مدرسة بقوص ، و صار يكرم بها الفقراء . قال
بعضهم يمدح كريما :

من عود الناس باحسانه و عم بالفضل جميع الأنام
تزدحم الناس على بابيه و المنهل العذب كثير الزحام
١٠ كتب بعض الفقراء لغنى بيتين :

و لقد قصدتك حين جربت الورى ، فوجدت مثلك بينهم معدوما
و إذا الحوادث صيرتني سائلا لا تجعلني سائلا محروما
فأحسن إليه و وصله .

سأل بعضهم بخيلا فقال : هب لي دينرا فقال المسؤل : لقد
١٥ صغرت عظيما ، أما تعلم أن الدينار عشر العشرة ، و العشرة عشر المائة .
و المائة عشر الألف ، و الألف ديتك - انصرف بسلام . فالبخيل يملأ
بطنه و هو جائع ، و يحفظ ماله و العرض ضائع .

هجا بعض المقلين رجلا متمولا متكبرا ، و ذم زمانه و نفسه
أيضا فقال :

٢٠ يتجنى بسوء خلق على الناس و نفس ظلومة كفاره

ما له ميزة على سوى أن له بغلة وما لي حماره
 شاب رأسي و ما رأست كأني زامر الحى أو صغير الحاره
 أحسب الزهد هينا و هو حرب لست منه ولا من النظاره
 /ولو أنى وحدى لكنت مريدا فى رباط أو عابدا فى مغاره
 لا تكلى على سواك فأخيا ر زمانى ما يمنحون خياره
 و وجوه القصاد فيه حديد و قلوب الأجواد فيه حجاره

قال الحسن : لم أر أشقى بماله من البخيل . فانه مهتم فى الدنيا بجمعه ،
 و فى الآخرة محاسب بمنعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى
 الآخرة من إثمه ، عيشه فى الدنيا عيش الفقراء ، و حساباه فى الآخرة
 حساب الأغنياء .

و يقال : مثل الأغنياء البخلاء كالبغال و الحمير تحمل الذهب و الفضة ،
 و تعتلف التبن و الشعير ، فان سألتهم و لم تطلب رقدم أجوك ، و إن
 سألتهم شيئا من مالهم كرهوك ، فاطلب من ربك ، فانك إن تركت
 سؤاله أبغضك ، لأنه كريم يحب من يسأله . و قالوا فى معناه :

الله يغضب إن تركت سؤاله و ابن آدم حين يسأل يغضب
 ١٥ وقال لقمان لابنه : يا بنى ! مضغ الصخر و بلع الجمر أهون مسلكا من مسالك
 الفقر ، لأن الفقر يشين الوجه الصبيح ، و يعجم اللسان الفصيح .

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى الأول .

(٢) فى الأصل : هين .

(٣) فى الأصل : شىء . (٤) فى الأصل : وبنى .

قال بعضهم :

أمر و أمضى من سموم الأرقام
وقوف في حر أديب مهذب
و كم من فتى 'حر أديب مهذب'
فلو كانت الأرزاق تأتي بحيلة
ولكنها تجرى على الخلق كلهم
يفوت الغنى من لا ينام عن السرى

وقال بعضهم :

فلو كانت الأرزاق تجرى بحيلة
ولكنها تجرى بأمر مقدر

وقال بعضهم :

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط
وما الرزق والآجال إلا مواهب
فأرزاقنا مقسومة فكاننا
١٥ فطير يطير الجو يطلب رزقه
تخط صريف الدهر كل مهذب
فيا موت زرين الحياة ذميمة

قال بعض الوعاظ :

(١ - ١) في الأصل : حرا ادبيا مهذبا .

(٢) في الأصل : لان ، وما أثبتناه يستقيم به الوزن .

كم عالم يسكن بالكري وكم جاهل له قصور و قرى
 فلما نزل "نحن قسمنا بينهم" ارتفع الجدل و المرا
 قال النبي صلى الله عليه و سلم : أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك
 المرء و إن كان محقا . و ينبغي للانسان أن لا ييأس من رحمة الله تعالى .
 فان اليأس كفر . قال بعضهم :

٥

و لا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغنى بالقليل
 و لو أن العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوى العقول
 و مما قيل فى العقل :

العقل لا يقدر أن يحده إلا إله العالمين وحده
 لانه خصيصة أودعها فى الآدمى جل من أودعها
 و كل ذى روح له إلهام تعجز عن إدراكه الأفهام
 كالنحل خص بيديع الهندسة حتى نبى بيوته مسدسة
 و هكذا خصائص الأحجار من حكمة المهيمن الجبار
 و ليست الأرزاق تجرى على قياس ، فقد يكون الجاهل كثير المال ،
 و العالم فقيرا . قال الشاعر :

١٥

كم من حمار له حمير و كم لبيب بلا حمار
 و كم سويدا لها خمار و ألف يضا بلا خمار
 فينبغى للانسان الصبر على الفقر ، فان الصبر حيلة من لا حيلة له ،
 و المسألة كسب من لا كسب له . قال بعضهم :

إذا جمعت بين امرأين صناعة و أحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع و حيث يكون الحذق فالرزق ضيق
و قال بعضهم:

كم جاهل يرفل في عزه و عالم و القوت لم يحزه
يموت موت الدود في قزه قد يرزق العاجز في عجزه
و يحرم الكيس مع فطنته

و قال بعضهم:

في مصر ألف أغنياء بجمعهم و ألوف شتى ليس تملك قوتنا
لو قسمت أرزاقهم بسوية لم نعط شيئاً فوق ما أعطيتنا
٢٠١ ب / ١٠ / و قال آخر:

أتظن رزقك تحتويه بقوة هيهات أنت باطل مشغوف
رعت النور بقوة جيف الفلا و رعى الذباب الشهيد وهو ضعيف
و قال بعضهم:

لك رزق على الإله مقدر لو تخيرت عرقه ما تأخر
١٥ فرغ الله منه من قبل هذا فاتق الله فالضمان مقرر
يا ضعيف اليقين من ذا سواه كان غذاك في الحشاء و صور
أفيساك حين أصبحت شيخاً يا ضعيف اليقين كم تضجر
فارض عنه و إن أقاتك ملحا و أقات الغنى لوزا و سكر
أنت في الحيلة التي أنت فيها ساخطا و هو بالمصالح أخبر

و قال

١٧٠

و قال بعضهم :

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشى معك أنت لا تدركه مستعجلا وإذا وليت عنه تبعك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن خالده : لا تياسا من الرزق ما تهزئت رؤسكما ، فان الولد تلده أمه لحما عليه قشر ، ثم يرزقه الله تعالى .

كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان بعيدا فقربه . وإن كان قريبا فيسره ، حتى لا أكون حريصا في تعجيل أمره ولا تأخيره . إلك على كل شيء قدير .

١٠ نقل عن الجنيد أن أصحابه أبطأ عليهم الرزق فكلموه في ذلك . فقال : إن عرفتم للرزق مكانا بعينه فاذهبوا إليه فخذوه . فقالوا : فتدعو الله و تؤمن على دعائك أن يرزقنا . فقال : إن وقع لكم أنه نسيكم فذكروه . فقالوا : فنغلق إذا الأبواب علينا و ندع الأسباب و ننتظر الأرزاق . فقال : التجربة شك . قالوا : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة .

١٥ سؤال على كلام الجنيد . إن قلت : عرض عليه أصحابه ثلاث خصال كلها محمودة في ظاهر الحال شرعا فما وجه ردها ؟ قيل : الخصلة الأولى فلا كتساب و تعاطى الأسباب ، / قد علم أن السبب سنة ، و أنه لا ينافى التوكل . قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم " .

(١) في الأصل : لحم . (٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٦٧ . وفي الأصل «كلوا» وهي من آية أخرى (٢ : ١٧٢) .

الخصلة الثانية: الدعاء ، و قد علم أنه مأمور [به] شرعا و مأمور به دنيا ، قال الله تعالى^١ : " ادعوني استجب لكم " . الخصلة الثالثة : التوكل و ترك الأسباب ، و قد علم أنه محمود و أنه حال الخواص ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو توكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم ٥ كما يرزق الطير تغدو خفاصا ، تروح بطانا . و الطير لا تكسب ، و لكنها تصادف رزقها فتأخذه بلا علاج ، لا تعب .

قال موسى عليه السلام عند مناجاته لربه : يا رب ! كيف قمت بأرزاق خلقك على اختلاف صورهم ، و كثرة عددهم ؟ فأوحى الله عز و جل إليه : يا ابن عمران ! إن الخلق في قبضتي كحبة خردل ملقاة بفلاة من الأرض ، و إن إحاطتي بهم أكثر من إحاطة الفلاة بالحبة ، أرزق البعيد و القريب ، و العظيم و الصغير ، و المؤمن و الكافر ، و لا يتعذر ذلك علي لثورة الإحاطة . قال : يا رب ! فكيف ترزقهم و لا تفنى خزائنك ؟ قال : إنى^٢ أضرب لك في ذلك مثلا ، إذا جاء الليل فمرني إسرائيل أن لا يضرموا نارا و لا يوقدوا مصباحا ، ثم اجعل مصباحا على باب خيمتك ، ١٥ و مرهم أن يقتبسوا منه . ففعل ذلك موسى ، فجعل هذا يوقد مصباحه ، و هذا شعلته ، و هذا ما يحتاج إليه . حتى أوقد الكل من سراجيه ، و بقى سراجيه على ما هو عليه . فأوحى الله إليه : يا ابن عمران ! أنقص من سراجك شيء ؟

(١) قرآن كريم سورة . ٤ آية ٦٠ .

(٢) في الأصل : ان .

قال : لا يا رب ! قال : إذا كان هذا حكم سراجك فما حكم خزان أمدها بلطفي وأحوطها بحفظي ! فقال : سبحانك إلا إله إلا أنت ، لا تنقص خزائنك ، ولا يبيد سلطانك .

قال مالك رحمه الله : من كانت له دار و خادم و كفاف فقد أوتي

ملكاً عظيماً . و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـ

انظروا إلى من هو أسفل منكم ، و لا تنظروا إلى من هو فوقكم ، / فهو أجدر [أن - '] لا تزدروا نعمة الله عليكم - خرجه مسلم . و عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول العبد : مالي مالي ا إن ما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو^٢ لبس فأبلى^٢ ، أو أعطى فأقتنى ؛ و ما سوى ذلك فهو ذاهب و تاركه للناس - خرجه مسلم . ١٠

قال سري السقطي : قلت للبهلول : إن الخبز قد غلا ، فقال : و الله

لا أبالي و لو بلغت كل حبة قمح بدينار ، علينا أن نعبده كما أمر ، و عليه أن يرزقنا كما وعد .

و اعلم أن محبة الغني مع اختيار الله تعالى لعبده الفقر سخطة ، و محبة

الفقر مع اختيار الله لعبده الغني حرج . و كل ذلك هرب من الشكر لقلة هـ

المعرفة ، و تضييع الأوقات من قصر العلم ، و ذلك أن إيمان الغني لا يصلحه

الفقر ، و إيمان الفقير لا يصلحه الغني ، كما جاء في الحديث يخبر أن الله تعالى

(١) زيد من صحيح مسلم .

(٢) من الصحيح ، وفي الأصل « و » .

يقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك. وكذلك في الصحة والسقم، فمن عرف الله لم يتهمه، ومن فهم عنه رضى بقضائه، ولو لم يكن لأهل العلم إلا هذه الآية لكفتهم، "وربك ٥ يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة" فان من صدق الله نصحه، ومن تزين لغيره فضحه، ومن توكل عليه كفاه، ومن وثق بغيره مقلته، ومن خافه أمنه، ومن شكره زاده، ومن أطاعه أكرمه، ومن آثره أحبه.

واعلم أن من سعادة المرء حسن النية فيما عند الله، والتوفيق لمجاهد^٢، ١٠ ومن أراد الله به خيرا وهب له العقل، وحبب إليه العلم، وحباه بالإشفاق، واستعمله بالرفق، وأغناه بالقناعة، وبصره عيبه. وأما ٢ / الف الزهد والقناعة / ففيهما خير كثير، وذلك أن الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة، قال بعضهم:

لو تجزيت بالقليل كفاكا وترفعت قل فيه عناكا
١٥ تجمع المال بعضه فوق [بعض-^٣] وتخليه وافرا اسواكا
واعلم أن الرزق لا يكون إلا بالجهد. ألا ترى أن يعقوب عليه السلام كان حريصا على رؤية يوسف عليه السلام، والإخوة كانوا

(١) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٦٨.

(٢) في الأصل: لمجاهد - كذا بالجميع.

(٣) سائطة من الأصل.

فيه من الزاهدين ! فالأرزاق بالتقدير لا بالتدبير . وكيف تفيد الحيل وربنا عز وجل يقول ^١ : " لكل اجل كتب " فالعاقل يقتصد و يسلم الأمر لخالقه ، يريح بدنه و قلبه ، قال بعضهم :

دعني فلن أخلق ديباجتي و ليس أبدى للورى حاجتي
منزاتي يحفظها منزلي و باجتي تحفظ ديباجتي ٥
و قال بعضهم :

لا تظهرن لحاسد أو غادر حاليك في السراء و الضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

واعلم أن الغنى غنى النفس . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه و سلم : ليس الغنى عن كثرة العرض ، لكن الغنى ١٠
غنى النفس ، و الله ما أخشى عليكم الخطأ ، و لكن أخشى عليكم العمد ،
و ما أخشى عليكم الفقر ، و لكن أخشى عليكم التكاثر . قال بعضهم :

إن الغنى هو الغنى لنفسه و لو أنه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافي فاذا قنعت فكل شيء كافي

يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : يا ابن آدم ! كل يوم ينقص ١٥

من عمرك و أنت لا تدري ، و توفي ^٢ كل يوم رزقك و أنت لا تحمد ،
فلا بالقليل تقنع ، و لا بالكثير تشبع ؛ يا ابن آدم ! ما من يوم إلا و يأتيك
من عندي رزق و تعصيني ، و أنت تدعوني أستجيب لك ، خيري إليك نازل ،

(١) قرآن كريم - سورة - آية ٣٨ .

(٢) في الأصل : توف .

و سوء عملك إلى صاعد . فنعم المولى [أنا] و بئس العبد أنت لي ! تسألني فأعطيك ، و أستر عليك فضيحة / بعد فضيحة ، و أستحي منك و أنت لا تستحي مني ، تنساني و تذكر غيري ، و تخاف مقتهم و تأمن غضبي .
 و قال الله في بعض كتبه المنزلة : يا عبدي لو أعطيتك الدنيا بخذافيرها لم ينلك^١
 ه منها إلا القوت ، فاذا أنا أعطيتك القوت و جعلت حسابها على غيرك ، فقد أحسنت إليك . قال بعض الصالحين : لأن يغنيك الله عن الدنيا خير لك من أن يغنيك بها ، فوالله ما استغنى بها أحد قط ! و كيف يستغنى بها بعد قوله تعالى^٢ : ” قل متاع الدنيا قليل “ ! قال بعضهم :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها
 ١٠ فمن طلب الأعلى من العيش لم يزل فقيرا من الدنيا أسير غبونها
 فاني رأيت النفس تتعب دائما ، و تطلب دنياها بائتلاف دينها
 قال الشبلي : الدنيا قدر تغلى ، و كيف يمتلى ، فالحذر الحذر من
 الفقراء البطالين ، الطالبين الدنيا بالدين ا فهم الذين غيروا الطريق ، و حادوا
 عن التحقيق ، و تحيلوا على اصطيادهم الدرهم و الدينار ، من الملوك
 ١٥ و الأمراء و التجار ، و من عوام الناس ، ليصيروا بذلك أغنياء بالحيلة على
 طلب الدنيا .

و سأذكر ما قيل في حيلة فقير ، حير بها فهم الكبير و الصغير ،
 لأخذه منهم الدنانير ، بالحيلة التي قيل : إنها أنفع من قبيلة . و ذلك أن
 (١) في الأصل : لم ينالك .

(٢) قرآن كريم سورة ٤ آية ٧٧ .

بعض الفقراء قال لزوجته: قد ترين^١ ما نحن فيه من الذل بسبب القل،
 وقد عزمت [أن - ٢] أعمل حيلة تحير الأفكار، فان ساعدتني عليها
 حصل لنا من المال ألف دينار. فقالت: أرشدني إليها حتى أساعدك
 عليها. قال: عزمت أن ألزم نفسي عند سارية من سوارى الجامع الذى
 بالمدينة الفلانية مدة سنة كاملة لا أفارقها ليلا ولا نهارا أصلى عندها،
 وأريد منك أن تأتى إلى الميناء المقابلة لباب الجامع، تدخلينها^٢ قبل
 الفجر فى صفة رجل، تجعلين^٣ فى ركن بيت الماء الفلانى شيئا من اللوز
 والزبيب المدقوق المعجون يكون مقدار رطل، فمن دخل بيت الماء
 قبلى ورآه، ظن أنه رجيع ابن آدم، فلا يقدم عليه، وأدخل أنا آكله
 وأشرب عليه من الماء الذى بحوضه المعد الاستنجاء، وأعود إلى مكانى^٤
 عند السارية، فاذا تم^٥ ذلك، تم الاختيار وحصلنا^٥ بحيلتنا ألف دينار.
 فاتفقا على ذلك، وسافرا من بلدهما إلى تلك المدينة، وأقاما بها مدة سنة،
 والناس ينظرون إلى صلواته واجتهاده فى العبادة، فيقولون: سبحان من

(١) فى الأصل: ترى .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى الأصل: تدخلينها .

(٤) فى الأصل: تجعلين .

(٥) فى الأصل: فاتم . - وبهامشه: لعله فاذا تم . ويستقيم بذلك المعنى . وقد
 يكون غير ذلك بسبب سقوط بعض الكلام بدليل النقص الواضح فى هذا الجزء
 من القصة .

رزقه السعادة بقوته على العبادة و الزهادة ١ و صاروا يعرضون عليه
الطعام المأكول و الماء المشروب، فأباهما بالإشارة من غير أن يسمعا منه
الكلمة الواحدة، فتحدث الناس به و اشتهر أمره، و انتشر ذكره،
فقوم يقولون: هو ساحر، و قوم يقولون: هو ولي من أولياء الله تعالى،
٥ و قوم يقولون: هو أخرس . و أجمع رأيهم على أنه ولي صالح . فلما
كان قريب السنة نطق و تكلم، و بلسانه ترجم، ففرحت الناس بكلامه .
فسئل عن عدم نطقه قبل ذلك فقال: إني دائماً صامت^٢، لا أتكلم
إلا بذكر الله في سرى، و رأيت أقواما لا يطمثون في صلاتهم، و الطمأنينة
في الصلاة ركن من أركانها، و خفت من الإثم الذي يحصل لي على
١٠ عدم تعلميهم، و كذلك مسابقتهم للإمام، فرأيت أن إعلامهم بذلك
أفضل لي من الصمت لأبرأ من الإثم . فقالوا: أيها الشيخ الصالح ا
علمنا و فهمنا، و للحق أرشدنا، فقال: افهموا عني، و اسمعوا مني، فنصت
القوم لكلامه . فقال: اعلموا أن أكثر الناس يتركون صلاتهم و هم
يصلون! قالوا: وكيف ذلك / أيها الشيخ الصالح؟ قال: لسبقهم
١٥ الإمام في السجود و الخفض و الرفع، و قد جاء في الحديث: يأتي على
الناس زمان يصلون و لا يصلون . فاتقوا الله و انظروا في صلاتكم
و صلاة من يصلي معكم، و اعلموا أن الشيخ الصالح المحاسبي قال في
كتابه: لو أن رجلاً أحسن الصلاة و أمها و أحكمها، ثم نظر إلى من

(١) في الأصل: يقولوا .

(٢) في الأصل: صامتا .

أساء في صلاته فضيعها ، و ساق الإمام و سكت عنه و لم يعلمه إساءته في صلاته و تضييعه لها ، و مسابقتها للإمام فيها ، فلم ينهه عن ذلك و لم ينصحه فيها ، كان شريكه في الإساءة و التضييع ، و كان شريكه أيضا في إثم ذلك و وزره ، و بذلك جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن أصحابه ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : من رأى من يسيء في صلاته و لم ينهه فهو شريكه في وزرها و عارها . فالمحسن في صلاته شريك المسيء في صلاته في وزرها و عارها إذا لم ينهه و لم ينصحه . و جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه ! فان تعلم الجاهل واجب على العالم لازم له ، ما كان له الويل في السكوت عنه [إلا] لتركه تعليمه ، فاتقوا الله في أموركم عامة ١٠ و في صلاتكم خاصة ، و اتقوا الله في تعليم الجاهل ، فان تعليمه واجب لازم ، و التارك لذلك مخطئ آثم ؛ فأمرُوا أهل مسجدكم بأحكام الصلاة و إتمامها ، و لا يكون تكبيرهم إلا بعد تكبير الإمام ، و لا ركوعهم و سجودهم و رفعهم و خفضهم إلا بعد فعل الإمام ، فانه جاء في الحديث أن كل راع مسؤل عن رعيته . و قد قيل : إن الإمام راع لمن يصلي ١٥ به خلفه ، فما أولى الإمام بالنصيحة لمن خلفه أن ينهاهم عن المسابقة في الركوع و السجود ، و أن يركعوا / و يسجدوا مع الإمام ، و أن يأمرهم بأن يكون ركوعهم و سجودهم و رفعهم و خفضهم بعده ، و أن يحسن آدابهم و تعليمهم ، إذ كان راعيا لهم ، فكان غدا مسؤلا عنهم .

(١) في الاصل : تمامها .

فلما سمعت الناس منه ذلك تعلقت قلوبهم به ، و ازدادوا فيه رغبة ،
وقالوا : هذا من العلماء الأولياء ، هذا من أكابر الصالحين المتقين
الورعين الزاهدين . فهرعت إليه الناس من كل جانب و مكان ،
يؤثرونه بالإحسان ، و يتقربون إلى قلبه بأعز ما كان ، و هو لا يقبل
منهم شيئاً ، فازدادوا فيه محبة و رغبة . فلما انقضت السنة قال لزوجته
في الميضاة على جارى عادته و وقت الفجر : الآن تمت الحيلة ، فاذا كان
في انصراف الناس من صلاة الصبح تأتين الجامع متبرزة و تتعلقين
بى . و علمها ما تقوله له . فلما سلم الإمام من صلاة الصبح ، أتت المرأة
و جعلت تشق بين الناس ، و الناس ينظرون و يتعجبون من أمرها .
فقيل لها في ذلك فقالت : أريد الشيخ الصامت الناطق بعد صمته . فأرشدتها
الناس إليه ، و قالوا : هذه سمعت بإصلاحه ، فأتت إليه تلمس بركته .
فلما رأته تعلقت به و صرخت و قالت : يا أهل الجامع ! هذا الزنديق
المرائى الفاجر قتل ولدى و ثمرة كبدى ، و لى سنة أطلبه فى البلاد ،
و قد دلت عليه ، و ها هو ! فتحملوه معى إلى السلطان ينصفى منه !
و ولولت و استغاثت ، و صرخت و أعولت ، فصاح الناس عليها و ضجوا
و ماجوا و قالوا : تكذابين يا عدوة الله ! تأتين لرجل من الأقطاب

(١) فى الأصل : تعلق .

(٢) فى الأصل : تانى .

(٣-٢) فى الأصل : متبرزة و تتلقى .

(٤) فى الأصل : فارشتها .

وولى الرحمن ترمينه^١ بالفجور و تكذيبين عليه ، و تسندين الباطل إليه .
 فقال لهم : دعوها تقول ما تقول ، و تفعل ما تفعل ، فان الحق معها ،
 أنا قاتل ابنها . فلما سمعوا منه ذلك تركوها و أقبلوا عليه / و قالوا : أيها
 الشيخ ! كيف قتلته و أنت ولى من أولياء الله تعالى ، ^٢ورع زاهد^٢
 فى الدنيا ، فقال : و الله ما عمدت قتله ! و إنما أمرته بالصوم لما صار
 مريدا لى طالبا طريق الفقراء ، فصام أياما كثيرة ، و صار يأكل عند
 الإفطار قليلا عن عادته ، و يتخرج بالاختصار فى الأكل ، فتغيرت عليه
 العادة ، فرق جسمه ، و نحل بدنه ، و كان رحمه الله راغبا فى الخير
 قصد أن يسير ما أنا عليه من السير ، فلم يطق ذلك فمات طائعا لله ،
 و أنا كنت السبب فى وفاته . دعوها تصنع بى ما تريد ! فأقبلوا عليها .
 و قالوا : أيتها المرأة ! الرفق أولى بك . فقالت و هى تصيح و تستغيث :
 لا أصبر و لا أريد إلا قتله كما قتل ولدى و أجمعنى فيه ، و هو واحد
 من الدنيا . قال : يا قوم ! الأمر لله ، دعوها تقتلنى ، و الله ما لى فى الدنيا
 أرب ! و إني أحب الموت شوقا إلى لقاء ربى لأتخلص من هذه الدنيا ،
 و أصير إلى جنة المأوى ، برحمة المولى ؛ ثم قال :

١٥

لو لم يلد الموت فى جبكم لم أصب نحو البرق و هو حسام
 و ما اعترضت بنار قلبى فى الهوى^٣ و لكل نار بالنسيم حرام
 صب يرى نار الصبابة أنها فى جبكم برد له و سلام

(١) فى الأصل : ترميه .

(٢) فى الأصل : ورعا زاهدا .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول .

فبكى الناس وضحجوا وماجوا [وقالوا] للمرأة : يا هذه ادعيه وعلينا دية
 ولدك . فقالت : أبدا لا أقبل فيه دية ، ولا أريد إلا قتله . فلم يزالوا
 يسألونها و يتضرعون^١ إليها إلى أن رضيت بأخذها الدية ، فجمعوا لها من
 بين التجار ألف دينار ، فلما قبضت المال ذهبت هي و هو ، فلم يعلم
 لها خبر ، ولا وقع أحد لها على أثر . فتعجب الناس من غيبته ، و علموا
 أنه أخذ ذلك المال بحيلته .

فانظر إلى فعل المرغدين : و أكلهم الدنيا بالدين ، فالمستور بأثواب
 غروره مكشوف ، و المتبهرج بدعواه يرد عليه الزيوف . قال بعضهم :

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا تكذبوا ما في زمانك جيد

فغنيهم نال الغنى بخديعة و فقيرهم بصلاته يتصيد

٢٠ / الف ١٠

و قال بعضهم :

يا فقيه اللسان يا جاهل القلب يا جميل الأقوال لا الأفعال

أنت أنت الذى جلست لتهدى من ضلال و أنت عين الضلال

باطن مظلم و لفظ مضى يا خبيثا جمعت شر الخصال

منك للخلق ظاهر مستقيم و يرى منك ضده ذو الجلال

١٥

قال سحنون : لأن أطلب الدنيا بالدف و المزمار أحب إلى أن

أطلبها بالدين . و قد تقدم ترجمة القاضى سحنون فأغنت عن الإعادة .

و قال بعضهم : يأتى على الناس وقت ، الرجل فيه أكبر همه قوت

(١) فى الأصل : يتضرعوا .

يومه . وكان القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي فقيرا ببغداد ،
لا يملك شيئا من الدنيا ، وكان محبا في الإقامة بها ، لا يريد مفارقتها ؛
فأنشأ يقول حيث قال :

بغداد دار لأهل المال طيبة وللعالميس دار الضنك والضيق
ظلت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في دار زنديق ٥
ثم أنشأ أيضا يقول :

فو الله ما فارقتها عن قلبي بها وإني بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها ولم تكن الأرزاق منها تساعف
فكانت كخيل كنت أهوى دنوّه وأخلاقه من شؤم قسّم تخالف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ارحموا ثلاثة : غنى قوم ١٠
افتقر ، و عزيز قوم ذل ، و عالما يتلاعب به الجهال . و قال الشافعي
رحمه الله : أربعة مرحوم : عزيز ذل ، و غنى قل ، و حبيب مل ،
و فقيه ضل .

ثم إن القاضي عبد الوهاب ببغداد قصد الخروج منها و التوجه
إلى مصر ، فلما انصرف عنها حول وجهه إلى جهتها و قال : يا بغداد !
لو كان لي بك رغيان في كل يوم ما خرجت منك . و سار إلى أن
أتى مصر ، فانتشر عليه بها و ظهر ، و آل أمره إلى أن صار قاضيا
بها متمولا ، و صار يدعى بالقاضي عبد الوهاب . / ثم إنه لما مرض
مرض الموت ، قالت له زوجته : كيف تجدك ؟ قال : لما عشنا متنا -

ومات من مرضه ذلك ، وكانت وفاته سنة أربع و عشرين و أربعمائة .
قال بعضهم :

وما المرء في الدنيا ، إن نال غابة من العيش إلا كالخيال الذي يسرى
كضيف أتى ليلا فخط ركابه فلما أضاء الفجر ولى مع الفجر
قال بعض الصالحين : دخل على شخص وأنا في مغارة فقال : قيل
لى : إن عندك صنعة الكيمياء ، فقلت له : أعلمها لك و لا أغادرك منها
حرفا إن كنت قابلا ، و ما أراك قابلا ، فقال : إني والله أقبل ، فقلت
له : أسقط الخلق من قلبك و اقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير
ما سبق لك ، فقال لى : ما أطيق هذا ، فقلت له : ألم أقل لك : إنك
١٠ لا تطيق ، فانصرف بسلام .

وقال بعضهم يذكر شقوته فى طلب الكيمياء و لم يحصل له منها
غير المقت من الخلق :

تعلمت علم الكيمياء لشقوتى و لم أدخل فيها قط يوما من العمل
فسودت عرضى ثم بيضت مقلتى و صفرت بين الناس وجهى من الخجل
١٥ و ما أنا ممن يجهل العلم قدره و لكننى ممن أراد و لا يصل
قال لقمان لابنه : لا تركز إلى الدنيا ، و لا تشغل قلبك بحبها ،
فإنك لم تخلق لها ، و ما خلق الله خلقا أهون عليه منها ، لأنه لم يجعل
(١) يقابلها سنة ١٠٣٢ - ١٠٣٣ م .
(٢) فى الأصل : فقلت .

نعيمها ثواباً^١ للطيعين ، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين . وأنشد بعضهم في معناه :

ولو كانت الدنيا ثواباً لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا هددت كلب الجوع عنى برغيف و كوز من الماء^٢ القراح ، فعلى الدنيا وأهلها منى الدبار^٣ .

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا يا رب ! ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرعت إليك و ذكرك ، وإذا شبعت شكرتك و حمدتك - ذكره الترمذى .

عن أبي هريرة أنه مر بقوم / بين أيديهم شاة مصلية فدعوه ، فأبى أن يأكل وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير - ذكره البخارى .

عن أنس : ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه بشعير ، ١٥
و مشيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة ، ولقد سمعته يقول : ما أصبح لآل محمد إلا صاع ، ولا أمسى وإنهم لتسعة أبيات -

(١) في الأصل : نوبا .

(٢) في الأصل : ماد .

(٣) أى الهلاك .

ذكره البخاري .

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير -
ذكره الترمذي .

٥ عن عائشة قالت : لما مات عثمان بن مظعون ، كشف النبي صلى الله عليه وسلم النوب عن وجهه ، وقبل بين عينيه ، وبكى بكاء طويلا .
فلما رفع على السرير - يعنى النعش - قال : طوبى لك يا عثمان ! لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها .

قال بعضهم : أذل الله العباد بخصلتين : الموت و الفقر ، فلو لا الموت
١٠ لما خضع كل جبار عنيد ، ولو لا الفقر لما خدمت الأحرار العبيد . قيل :
إن رجلا جاء إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال ، فقال : ارجع إلى بيتك فانظر ، فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك . وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حين عاتبه مسلمة بن عبد الملك في ولده : إني لم أمنعهم شيئا هو لهم ، وما كنت بالذى أفقر نفسى عند الله لغناهم ، إن يكونوا أتقيا
١٥ فسيجعل الله لهم مخرجا ، وأن يكونوا مكبين على الدنيا والمعاصي فما كنت بالذى أقويهم على ذلك . ثم نظر إليهم وهم بضعة عشر ذكرا فقال : أى بنى إني مثلت نفسى بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ! ويدخل الجنة أحب إلى من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله ! يعنى عمر بقوله :

(١) فى الأصل : تفتقر .

أنى إن أغنيتكم من بيت مال المسلمين ، فأكون قد ظلمت المسلمين فى ما لهم / الذى أعطىكموه حتى تستغنوا به ، فأدخل بسبب ظلمهم النار ، فاذا لم أعطكم من ما لهم شيئا أرجو أن أدخل الجنة لعدم ظلمهم و توفيره عليهم ، و إذا تركتم فقراء فالله تعالى بمنه و كرمه قسم لكم رزقا لم تموتوا حتى تنالوه .

قال بنان الحمال : كنت فى طريق مكة و معى زاد ، فجاءتني امرأة من الصالحات فقالت : يا بنان ! أنت حمال ، تحمل على ظهرك الزاد ، و تتوهم أنه لا يرزقك . قال بنان : فرميت بزادى . ثم أتى على ثلاثة أيام لم آكل فيها شيئا ، فوجدت خلخالا فى الطريق ، فقلت فى نفسى : فلعل يحىء صاحبه فيهب لى شيئا فأرده عليه ، فاذا أنا بتلك المرأة ، فقالت : يا بنان ! و أنت أيضا تاجر ، تقول : حتى يحىء صاحب الخلخال يهب لى شيئا . قال : ثم رمت إلى بدراهم و قالت : أنفقها عليك .

قال الشيخ أبو العباس المرسي : قضى الله تعالى سابق قدرته و لطيف حكمته ألا يظهر باطن لب إلا بعد إزعاج [ظاهر قشرته ، و كلما لطف اللب و خفى ، اشتد إزعاج ظاهر قشره - ٢] و قوى . كذلك ١٥ النوع الإنسانى ، لا يظهر لب حقيقته إلا بازعاج ظاهر طينته ، و على حسب علو مقامه ، و شرف ما فى وعائه ، على حسب إزعاج ظاهره و شدة بلائه ، و لهذا قلب فى الأطوار ليظهر ما فيه من كنوز الأسرار ، و لطائف

(١) فى الأصل : شىء .

(٢) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و وردت فى هامشه بقلم المصحح .

الأنوار، قال الله تعالى: "وَلَبِلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ". وقوله تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً". قال أهل التفسير: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة. وقال صلى الله عليه وسلم: القناعة كنز لا يفنى. وقال صلى الله عليه وسلم: كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن مجاورة من جاورك^٢ تكن مسلما، / وأقلل من الضحك فإن الضحك يميت القلب. وفي الزبور: القانع غني وإن كان جائعا. قال بعض الصالحين: لما خلق الله تعالى النفس والعقل، جعل لهما خزانتيين من خزان فضله، ١٠ تم أذن لهما في الإنفاق منها مدة دولتهما. ولما خلق الله القلب والروح طلب ما جعل للأولين، فقال: وعزتي وجلالي! لا جعلن لكما ما جعلت لهما، لأنكما عندي أجل رتبة منهما، وأعلى قدرا من قدرهما، ولكن أنفقا وأنا أمدكما مددا دائما سرمدا، ولا أقطع عنكما فضلي ولا عطائي أبدا، فإنكما في كنف عزي وظل قربي وجلالي، ولكما إشارة من المعنى ١٥ البلالى، أنفق قلل، ولا تخش من ذي العرش إقلال.

وقيل: رضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع: العز في الطاعة،

(١) قرآن كريم سورة ٤٧ آية ٣١.

(٢) قرآن كريم سورة ١٦ آية ٩٧.

(٣) في الأصل: جاور. (٤) كذا لرعاية السجع.

و الذل في المعصية ، و الهيبة في قيام الليل ، و الحكمة في البطن الخالي ،
و الغنى في القناعة . و قيل : لما نطق موسى بذكر الطمع ، و قال للخضر :
” لو شئت لتخذت عليه اجرا “ - يعنى في إقامة الجدار الذى أراد أن
ينقض^٢ ، قال الخضر له : هذا فراق بينى و بينك . قال البوصيرى في
قصيدة له :

و أقسم منقض الجدار و تحته كذب الوصول إلى المقام السرمد
فلهن جمعا في الفراق و وصله من قاطع و ترقيا من مخلد
و قيل : لما قال موسى للخضر : ” لو شئت لتخذت عليه اجرا “ -
يعنى في إقامة الجدار ، وقف بين موسى و الخضر ظي ، و كانا جائعين ،
فأما الجانب الذى يلي موسى فغير مشوى ، و الجانب الذى يلي الخضر ١٠
مشوى - انتهى .

نعود - و اعلم أن الذى هو أشد من الفقر السؤال ، فإن السؤال
سم قاتل ، و موت عاجل . قال بعضهم :
بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم سوى^٢ غادر : الغدر ملء إهابه

(١) قرآن كريم سورة ١٨ آية ٧٧ .

(٢) زيد في هامشه هنا بخط المراجع : وقف بين موسى و الخضر ظي و كان
جانبين فأما الجانب الذى يلي موسى فغير مشوى و الجانب الذى يلي الخضر
مشوى - انتهى « و بالعبرة في النص و الهامش هموض بسبب النقص فيها و ربما
وضح المعنى فيما تلا ذلك من القول .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

فجرت من غمد القناعة صارما
فلا ذا يراني واقفا في طريقه
قطعت رجائي منهم بذبابه
ولا ذا يراني جالسا عند بابيه

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : المسألة طوق المذلة ، تسلب العزيز عزه ،
والحسيب حسبه . وقال بعضهم : حسبك من السؤال أنه يضعف لسان
المتكلم ، ويكسر قلب الشجاع البطل ، ويوقف الكريم / موقف العبد
الذليل ، ويذهب بنضرة اللون ، ويمحو الحسب ، ويحجب الموت ، ويمقت
الحياة ، فالقناعة باليسير مع الإقلال ، أحسن من الكثير يتبعه ذل السؤال .
وأنشدوا في معناه حيث قالوا :

عزیز النفس من طلب القناعة
كففت يدي عن الأطماع طرا
ولم يكشف لمخاوق قناعه
وقلت لفاقتي سمعا و طاعة
و لبعضهم :

هي القناعة فالزمها تكن ملكا
لو لم ينالك إلا راحة البدن
و لبعضهم :

رأيت القناعة أصل الغنى
فألبسي عزها خلعة
فصرت غنيا بلا درهم
يمر الزمان ولا أنهتك
أمر على الناس شبه الملك
و لبعضهم :

كم فاقة مخفية بمروءة
وكم ابتسام تحته قلب شج
لو سود لهم الملابس لا تجرد
و ضرورة مستورة بتحمل
قد خامرته لوعة لا تنجلي
بيض الثياب على امرئ في محفل

و لبعضهم ١٩٠

و لبعضهم :

قنعت بالقوت في زمانى فصرت في العز و الأمان
 وقد تركت السؤال دهرى و عشت حرا بلا هوان
 مخافة الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان
 من كنت عن ماله غنيا رأيتته بالذى يرانى ٥

و قال عثمان الموصلى :

تقنع بما يكفيك و استعمل الرضى فانك لا تدري أ تصبح أم تسمى
 و ليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى و الفقر من قبل النفس

و لبعضهم :

لا تحسبن الموت صوت البلى و إنما الموت سؤال الرجال ١٠
 كلاهما موت و لكن ذا أشد من ذاك على كل حال

وقف أعرابي رزىء الحال بأبي الأسود الدؤلى وهو يأكل تمرا ،

فسأله شيئا ، فازدراه أبو الأسود و ظن أنه من جهلة / العوام . فقال

الأعرابي : إني وافد محتاج ، و ابن سبيل ماض ، قد أكلتى الفقر ،

و أذلنى الدهر ، فأعن ضعيفا ، و أسعف ماؤفا ، فرمى إليه بتمرة ١٥

أخرى ، فضرب بها الأعرابي وجهه أبى الأسود و قال : جعلها الله

حظك من عنده ، و ألك إلى مثلك كما ألكى إليك ، ليلوك كما

(١) يقرأ باسكان اللام لاستقامة الوزن .

أبلائي . ثم قال : عطية القوم على [قدر - ١] أقدارهم ، ثم انصرف وتركه . فحجل أبو الأسود منه انصاحته و بلاغته في سؤاله و جوابه ، و لم يكن معه في ذلك الوقت ما يعطيه لحسن كلامه .

قال النبي صلى الله عليه و سلم : أحب الأعمال إلى الله عز و جل ه سرور يدخله المؤمن على مؤمن ، يطرد عنه جوعته ، و يكشف عنه كربته . يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : الأغنياء خزنتي ، و الفقراء عائلتي . فو عزتي و جلالتي ! لئن جاءت عائلتي لأعذبن خزنتي .

حكى الشيخ الفقيه أبو إسحاق بن الرشيد ، قال : كنت جالسا عند بعض الرؤساء في بستانه ، و الخدمة بالمسحاة يخدمون ، فلما جلسوا للغداء ، ١٠ جلس رجلان منهم أندلسيان ناحية ، و أخرج أحدهما غداه الخبز وحده ، و أخرج الآخر خبزا و جبنا ، فسأل الذي ليس عنده جبن صاحبه أن يعطيه من جبنه ، فأعطاه شيئا يسيرا جدا ، فقال له بعد أن أخذ : عطية القوم على قدر أقدارهم . فقال له المعطي : صدقت . فقال له الآخر : ليس هذا مذهب سيبويه . قال الشيخ أبو إسحاق : فعلت ١٥ أنهما من طلبة العلم ، فكلمت صاحب البستان فيهما ، فأحسن إليهما .

و بين الشيخ أبو إسحاق قولها ذلك . فقال : أراد الآخذ للخبز أن عطية مصدر مضاف إلى الفاعل ، فالمعطي إنما أعطى / على قدره ، لا على قدر الآخذ ، و لما كان اللفظ غير صريح في هذا ، بل يحتمل أن المصدر

(١) ساقطة من الأصل و ورد بهامشه « اعله : على قدر أقدارهم » .

مضاف إلى المفعول ، صدقة المعطى بناءً منه على إرادة هذا المعنى الثاني
أنه مضاف إلى المفعول ، فقال له الآخذ : ليس هذا مذهب سيبويه -
يعنى أن حمله على الإضافة إلى الفاعل هو الراجح عند سيبويه . وإنما
حكاه الشيخ أبو إسحاق تنبيهاً منه على أن كثيراً مما يعتقد فيه الجهل ظاهراً
يكون في الباطن على خلافه - انتهى -

قال حسن الخياط : كنت عند بشر الحافي ، فجاء نفر فسلبوا عليه ،
فقال : من أتم ؟ قالوا : نحن من الشام ، جئنا لنسلم عليك ، ونريد الحج .
فقال : نشكر الله لكم . فقالوا : تخرج معنا ؟ فقال : بثلاث شرائط :
لا نحمل معنا شيئاً ، ولا نسأل أحداً شيئاً ، وإن أعطى أحد شيئاً
لا يقبل . فقالوا : لا تقدر على هذا . فقال : أراكم خرجتم متوكلين على
زاد الحجيج لا متوكلين على الله ، ثم قال الحسن : الفقراء ثلاثة : فقير
لا يسأل ، وإن أعطى لا يأخذ ، فذاك من جملة الروحانيين ، و فقير
لا يسأل وإن أعطى قبل ، فذاك يوضع له موائد في حظائر القدس ،
و فقير يسأل ، وإن أعطى أخذ بقدر الكفاية ، فكفارته صدقة .

قال أبو حمزة الصوفي : عاهدت الله تعالى أن لا أكل أمرى إلا إليه ، ١٥
فحجبت سنة من السنين ، فبينما أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر ،
فنازعتني نفسي أن أستغيث ، فذكرت العهد الذي بيني وبين الله أن لا
أستغيث . قال : فما استتممت كلامي بهذا الخاطر حتى مر براس البئر

(١) في الأصل : شيء .

رجلان . فقال أحدهما لصاحبه : تعال حتى نسد يا أخى هذا البئر لئلا يقع فيه أحد . قال : فأتيا بقصب و تراب ، / و طموا رأس البئر . قال : فهممت أن أصبح . ثم قلت فى نفسى : أستغيث بمن هو أقرب إلى من حبل الوريد . قال : فسكت . قال : فبينما أنا بعد ساعة إذا بشيء قد جاء فنبش عن رأس البئر و دلى لى رجله ، يشير إلى أن أمسكها حتى أطلعك منها ، فإذا هى رجل أسد فتعلقت بها فرفعى و تركنى و مضى ، و إذا بهاتف يهتف بى : يا أبا حمزة ! نجيناك من التلف بالتلف . فأنشدت أقول :

نهائى حياى منك أن أكشف الهوى

فأغنىتنى بالفهم منك عن الكشف

١٠

تلطفت فى أمرى فأبدت شاهدى

إلى غايتى و اللطف يدرك باللطف

ترأيت لى بالغيب حتى كأنما

تبشرنى بالغيب أنك فى الكف

كتب الشبلى إلى ابن يزدانيار أن ابعث لنا شيئا من دنياك . فكتب

١٥

إليه ابن يزدانيار : سل دنياك من مولاك . فكتب إليه الشبلى : دنياك

حقيرة ، و أنت حقير ، و إنما أطلب الحقير من الحقير ، و لا أطلب

(١) زيد هنا فى الأصل : ماذا مليح - و لا محل لذلك فى الجملة و المعنى

فقدناها .

من مولاي غير مولاي - انتهى .

نعود إلى ذكر المعاش والحرف إن شاء الله تعالى - اعلم أن المعاش والحرف محمودة . قال بعضهم :

طلب المعاش فريضة يغنى الوجوه عن السؤال

و يعود بالنزر اليسير على الكثير من العيال

قال الأصمعي : كان أعرابيان متواخين بالبادية ، فطلب أحدهما

المعاش ، فاستوطن الريف ، و اختلف إلى باب الحجاج بن يوسف الثقفي

وسعى عنده فاستعمله على أصبهان فوليها ، فكثر ماله ، و جلس على

سرير ، و جعل يحكم بين الناس ، فسمع به مواخيه الذي بالبادية ، فسعى

إليه لينال منه خيرا ، فأقام يسابه حيناً لا يصل إليه ، فحمل على نفسه ١٠

من ذلك و قال : ما أقبح ذل السؤال ! ثم أذن له في الدخول ، فأخذه

الحاجب ، فمشى به و جعل يوصيه و يقول له : سلم على الأمير زيدا

بأتم سلام . فلم يلتفت الأعرابي لقوله ، و لما رأى زيدا جالسا على

السرير لم يبدأه بسلام ، و لا خاطبه بكلام ، دون أن أنشده :

١٥ و است مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الأمير

فقال زيد : إذا ما أبالي . فقال الأعرابي :

/ أتذكر إذ لحافك جلد شاة و إذ نعلاك من جلد البعير

٢١٠/ ب

فقال زيد : إني لا أذكر ذلك . فقال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكا و علمك الجلوس على السرير

(١) في الأصل : زيدا .

فقال زيد: بحمد الله لا بحمدك، وأمر له ببغل و صرفه، فركب الأعرابي ذلك البغل وانطلق، فاذا ببغل نفور. فبينما هو كذلك، وإذا هو قد نفر ورعى الأعرابي لصرعه، فلما أفاق من صرعه، أنشأ يقول:

أقول للبغل لما كاد يقتلني لا بارك الله في زيد وما وهبا

٥ إذ جاء بالبغل لما جئت سائله وأمسك الفضة البيضاء والذهبا

قال الأصمعي: كنت في حلقة فيها سروات الناس، إذ وقف

أعرابي ومعه ابنتان كأنهما ظببتان. فقال للكبرى منهما: ارفعي برقعك

ليظهر وجهك، وأسألي أعمامك. فأسفرت عن وجه كأنه الشمس

حسنا وجمالا، وقالت بصوت رخيم، وفصاحة منطلق:

١٠ هل عندكم شيء^١ تواسونا به لله والرغبة في ثوابه

فقد رمانا الدهر بانقلابه بمدهفات من شيا أنيابه

فلم يعطها أحد شيئا. فجلست واندفعت تبكي. فقال للصغرى: يا ابنتي

ارفعي برقعك وأسألي أعمامك. فرفعت برقعها عن وجه كالقمر في ليلة

أربع عشرة^٢ وبكت وقالت:

١٥ والله لو لا قلة النبات وعدم من دهرنا لم نأت

ولم ير الشيخ مع النبات نمد أيدينا بهات بهات

فلم يعطهم أحد شيئا. فأخذ الشيخ بأيديها، وضمها إليه وقال:

بُسَيْتِي اتبعا أباكما إنكما بعين من يراكما

(١) في الأصل: شيئا. (٢) في الأصل: أربعة عشر.

إن تبكيا فالدمر قد أبكا كما لو شاء ربى عنهم أغنا كما

فقال الأصمعي : لقد طرح عليهم من الثياب ما حال بينى و بينهم ،
و من الدراهم ما استغنوا بها . و قالوا لأبيهما : ما أخرجنا عنكم العطاء
إلا لنسمع حسن منطقتيها ، و حلاوة مسألتيها ، و فصاحة منطقتك
أيضا ، فحمل أبوهما ما اجتمع له و انصرفوا .

وقف أعرابي على قوم يسترفدهم ، و قال : أخ فى كتاب الله ،
و جار فى بلاد الله ، و طالب خير من عند الله ، فهل أخ مواس فى الله ؟
فأحسنوا إليه لحسن سؤاله .

/ سأل بعض الصالحين رجلا عن رجل ، و كان المسؤل يكره
ذلك ، و السائل لا يعلم كراهته . فقال : هو يأكل الحرام ، و يأكل
ما لا يحل له ، فكره السائل منه قوله ذلك ، و قال : لعله يأكل السمك
الطافى و هو حرام عند قوم ، و حلال عند قوم آخرين ، منهم الشافعى
و غيره . و قد رأى بعض العلماء أن أخذ السمك من البحر ذكاته ،
بخلاف ما يؤخذ منه ميتا فإنه لا يؤكل ، و فرق آخرون فيما يؤخذ
ميتا بين الطافى و غيره ، فمنعوا أكل الطافى ، و أباحوا ما عداه . فقال
الرجل : يا سيدى ! إنه يأكل المحرمات ، خبيث المطعم ، فكره أيضا منه قوله
ذلك و قال : عسى أنه يأكل الذبيحة التى ترك الذابح لها تسمية الله تعالى عليها

(١) فى الأصل : منطقتين .

(٢) فى الأصل : مسألتيها .

عامدا، وهذا حرام عند جماعة من أهل العلم، وحلال عند غيرهم منهم الشافعي، ويحتمل أيضا أنه يأكل هوام الأرض، وهي محرمة عند جماعة من الفقهاء ومحلاة عند المالكية. ثم قال الرجل: وهو يحب الغلمان، فقال: لعله يحب مذك الغلمان يتجمل بهم، ويتقوى بجمعهم، ويحتمل أن يكون فيه رقة، يجب من أجلها الصبيان رحمة لهم ورقة عليهم، لأنهم ما عصوا الله عز وجل. فقال الرجل: ما أنا إلا كلما ذكرت حاله، تأملت له الخير. قال: وما ينبغي أن يتأول للعلم إلا الخير، فإن الشفقة على خلق الله تعظيم الأمر.

قال الواقدي: كنت معلما لأولاد الخلفاء، فلما ولي أحدهم الخلافة كتبت قصة أشكو إليه غلبة الدين، ولزوم الغرماء بياني، فوقع على ظاهرها: أما بعد، فإن الله قد جعل فيك خلتين^١، وهما الحياء والسخاء، أما الحياء فهو الذي منعك أن تطلعنا على حقيقة حالك، وأما السخاء فهو الذي أوجب ذهاب ما ملكت يمينك، وقد أمرنا لك بمال، فإن كنا قد أصبنا مقدار بغيتهك، وإلا فزد في بسط يدك، فإن خزائن الله بالرفق مملوءة، بيده بالخير مبسوطة، / و كنت أخبرتنى فيما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله سبحانه وتعالى ينزل أرزاق

(١) في الأصل: تعظيما.

(٢) في الأصل: خلتان.

(٣) في الأصل: فيمن.

العباد على قدر نفقاتهم ، فمن قَلل قَلل له ، و من كثر كثر له . قال الواقدي : و قد كنت نسيت هذا الحديث ، فكان تذكاره لي أحب إلى من الجائزة التي أمر لي بها .

و قال بعضهم : المعونة على قدر المؤنة . و اعلم أن من ضيق

العيش شراء الخبز من السوق ، و التنقل من منزل إلى منزل . رأى قوم ه رجلا نصف لحيته بيضاء و نصفها سوداء . فسألوه عن ذلك ، فقال : الجانب الأبيض تسارنى جاريتى منه فى وقت فراغ الدقيق فتقول لى فى مجلسى الذى أجلس فيه مع قومى فى أذنى : قد فرغ الدقيق ، فتحملى هم فراغه من كثرة سؤاها إباد ، و تكلفى لشرائه مع الفاقة ، بيض^١ جانب لحيتى . قال بعضهم فى هذا المعنى :

١٠

من عدم الخبز بداره مكتوى من حر ناره

و تقوم الأهل حقا و بنوه^٢ و جواره

و ينادون عليه بالعشاء^٣ و فى نهاره

هات يا هذا دقيقا ناعما [لى - ٤] من حجاره

(١) فى الأصل : ابيض .

(٢) فى الأصل : و بنيه .

(٣) نقلناها من الشطر الأول .

(٤) زيد لانتقاة الميزان .

نخبز الخبز سريعا في التهاب بشراره
 تشبع المعدة منه برضى منك و كاره
 إن منعت الخبز شحا تلتقى منا المكاره

قال بعض العلماء شعرا في حال فقره و هو :

ه لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة أقمت بها في حيرة و شتات
 فان بحت بالشكواء^٢ هلكت مروتي و إن لم أبح بالفقر خفت عمتي
 فأعظم به من نازل بملمة يزل حياتي أو يزيل حياتي
 و قال بعضهم :

إن عضك الدهر فانتظر فرجا فانه نازل بمنتظره
 ١٠ أو مسك العسر و ابتليت به فاصبر فان الرخاء في إثره

كان بعضهم به حاجة شديدة ، و فاقة و عرى ، و كان ذا مروءة
 و نخوة ، فقال : إن كدّيت فضحت نفسي ، و إن لم أفعل أمت جوعا ، و إن
 حملت نفسي على الكدية كيف أخرج عريانا ، فقطع رجاءه و أقام
 بيته . فبينما هو في الليل مضطجع على جنبه ، و عيناه لم تناما من شدة
 ١٥ جوعه ، و إذا بسارق دخل بيته ، فوضع كارة كان سرقها ، و أتى بها
 بيت الرجل ليزداد عليها سرقة أيضا ، و كان ملتحفا بملحفة دكناه ،
 فخلها و نشرها في البيت ، و صار عريانا يلتمس في حالك الظلام ما يضعه
 فيها . فالتمس فلم يجد في البيت ما يأخذه ، فأخذ صاحب البيت هراوة

كانت إلى جنبه ، ضربه بها ضربة أزعجته ، فلم يجد له سبيلا غير الهرب ، فعند ذلك أخذ صاحب البيت الملاحفة ستر بها نفسه ، وقش الكارة فوجد بها دراهم كثيرة ، فرمى بالثياب والملاء في شارع غير شارعه لئلا تعرف عليه ، وأصبح غنيا بالدراهم بعد أن أمسى فقيرا . ومضى السارق خاسرا حقيرا . فاستعار من جاره ما ستر به عورته ، وسد جوعته .

واعلم أن بسط اليد للكدية سبب مذموم ، وليته يبسط يده للكدية خاصة . لكن يقول : أنا رجل صالح فأعطوني . ترى ما ذا يبيعهم حتى يعطوه^٢ ! إن باعهم عمله ، فبيع الدين بالدنيا كبيع الثمرة قبل بدء صلاحها ، يخشى عليها من جائحة الخاتمة حتى يطلب بالثمن . وما هناك حبس إلا جهنم ، فيقعد مفلسا ، فالحبس أولى به .

قال الغزالي يحدث : خصلتان خسيستان : اللصوصية والكدية ، يقصدان أن يأكل^٢ مما سعى فيه غيرهما ، وقال أيضا : الكدية تزيد على الألفين - يعني بذلك طرقها ، وكل ذلك استنبط بدليل الفكر لأجل المعيشة ، وإنما جرهم إلى ذلك جائحة المطعم والملبس والملس . واعلم أنه ليس بالفقر والتصوف سوى بالعلم والحلم والعرض النقي والتعفف والمحاولة بسبب يغنى به نفسه وينفع ببعضه غيره ، كما قال الشيخ عبد العزيز الديريني :

/ وليس الفقر مسبحة ودلق و سجاد و لا ثوب شتى

(١) في الأصل : جرعته .

(٢) في الأصل : حتى يعطونه .

(٣) في الأصل : يا كلان .

ولا بمذبة و بلباس شعر و لا ليف و لا جلد زنى^١
 و لا طير و دبوس و سيف و شربوش كهيئة تونسي
 و حلق الذقن تقبيح و جهل و ليس الجهل فعلة مهتدي
 و يحلق رأسه مع حاجبيه لكي يدعى بذاك قرندلي^٢
 فليس الفقر و الرحمن هذا و لا التصريف بالفعل البطي
 سوى علم و آداب و حلم و إمساك عن الفعل الردي
 و كم دلق مرقع فوق تيس بلا علم و لا عرض نقي
 له لذع يذوب الصخر منه و كف ياقط الفجم الحمي
 فكم تحت^٣ التصافي صافيات^٤ و تحت الزى شيطان غوى

١٠ قيل : إن بعض الواعظات بالإسكندرية كانت تعظ النسوان ،
 فاذا فرغت من وعظها نزلت عن كرسياها ، و تمد طرف مقنعتها ،
 و تلمسكن ، و تطوف عليهن و تقول بحلاوة كلامها : رقت ساداتي ،
 أطلب منهم عاداتي ، فما تطيب أوقاتي ، إلا بقولي : شيء لله . و ترقص
 لهن ، و تمشخر فيضحكن منها ، و يمددنها برفقهن و إحسانهن ، فقيل لها
 ١٥ في ذلك ، فتقول : ما الحسن في لف الحلق ، الحسن في حل الخرق ،

(١) في الأصل : زاني . و ينكسر الوزن بها ، و يستقيم بما أثبتناه بمعنى : ضيق .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣ - ٣) في الأصل : التصافيات صافي . - و بذلك ينكسر الشطر ، و يستقيم

الوزن باعتكاس الكلمتين مع عدم المساس بالمعنى .

(٤) في الأصل : تطب .

وما تنحل خرقهن ، لأخذي منهن دراهمهن ، إلا لتمسخرى لهن ،
[لحفة عقلهن - انتهى قولها لهن - ١] .

فلنذكر الآن أهل الرياء المظهرين للتقشف وإفراط التنسك ومواظبة

الصلاة والصيام وكثرة التسييح ، والقيام بين الخواص والعوام ،

يلقونهم بالبشر والسلام ، ويغشون أبواب الملوك والأمراء على صفة ٥

التهانى فى الأعياد ، ولما يأتى من الأولاد ، وبالآوبة من الأسفار ،

والسلامة من الأخطار ، ويجعلون الدين سلماً إلى الدنيا ، وأكثر

أغراضهم أن تودع عندهم الأموال ، وتجلهم العوام وتقبل شهادتهم

القضاة والحكام ، وهؤلاء أشد من اللصوص ، وتشبه / هؤلاء بأهل الخير ، ١/٢١٣

يحمل الناس على الاعتزاز بهم ، فاذا أسروا ، بطروا وتكبروا وتجبروا ١٠

وتبلسوا^٢ ، فليس لمثل هؤلاء دواء غير الفقر وعدم الإعطاء ، ليحصل لهم

بذلك الذل والمسكنة ، ويستريح العالم من شرورهم و بطرهم . قال الشاعر :

قوم إذا أسروا فى الناس قد بطروا

فأوجب الأمر أن يضحوا تعا كيسا

١٥ الفقر يمنعهم عن كل منحسة

لو لا تمنعهم كانوا أباليسا

(١) العبارة المحجورة ساقطة من النص ووردت بالهامش بخط المراجع .

(٢) الفعل من إبليس .

فلنذكر الآن الفقراء المخلصين^١ . و أما الفقراء المخلصون المتقون ،
 فنطقهم الصواب ، و ملبسهم الاقتصاد ، و مشيهم التواضع ، أجسادهم
 نحيفة ، و أنفسهم عفيفة ، أرادتهم الدنيا و لم يريدوها ، و أسرتهم فقدوا
 أنفسهم منها ، أما النهار فخلباء أبرار ، أما الليل فقائمون^٢ على أقدام الجد
 و الذكر ، فمن علامة أحدهم أن ترى له قوة في دين ، و حزمًا في لين ،
 و إيمانًا في يقين ، و حرصًا في علم ، و حكمة في حلم ، و قصدا في غنى ،
 و خشوعًا في عبادة ، و تجملًا في فاقة ، و صبرًا في شدة ، و طلبًا في
 حلال ، و نشاطًا في هدى ، و تخرجًا في طمع ، يعمل الأعمال الصالحة
 و هو على وجل ، يمسي و همه الشكر ، و يصبح و همه الذكر ، نفسه
 ١٠ منه في غنى ، و الناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، و أراح الناس
 من نفسه . فهؤلاء الفقراء ملوك الآخرة الذين يدخلون الجنة قبل
 الأغنياء بخمسة عشر عام ، و هؤلاء الذين^٣ ينبغي مواساتهم ، و إدخال
 السرور عليهم .

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
 ١٥ إدخال السرور على محبينا و طالبي طريقتنا أفضل عند الله من ألف حجة
 و عمرة و مائة نسمة تعتق من ولد إسماعيل .

قيل : كان بالبصرة عجوز صالحة تعرف بالماوردية ، تكتب و تقرأ

(١) في الأصل : المخلصون .

(٢) في الأصل : قائمين .

(٣) في الأصل : الذي .

و تعظ النساء، و لا تأخذ منهن شيئا، / و مكثت خمسين سنة من عمرها
لا تفطر نهارا، و لا تنام ليلا، و لا تقتات إلا بخبز الفول، و تأكل
من التين اليابس شيئا يسيرا، و شيئا يسيرا من العنب و الزبيب، و ربما
أكلت من اللحم اليسير . و حين توفيت تبع أكثر أهل البصرة
جنازتها، و دفنت في مقابر الصالحين .

قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور : رأيت امرأة كبيرة الشأن
يعظمها الأولياء والعلماء، مغربية يقال لها ست الملوك، زارت بيت المقدس
فى وقت ' الشيخ الولى الكبير الشأن على بن عباس اليمنى'. قال الشيخ
على المذكور : كنت بيت المقدس، و إذا أنا أشاهد جبل نور مدلى
من السماء إلى قبة كانت فى المسجد، ففضيت إلى القبة، فوجدت فيها ١٠
هذه المرأة، و قد ظهر عليها الهيبة، فطلبت منها الدعاء. فدعت لى
و انصرفت .

و كانت بنت الشيخ أبى العباس الجزار على وجهها نور لا يخفى
على أحد، أخبرت بموتها فى الوقت الفلانى، فلما حضرته الوفاة كانت
تقول لنفسها: "يايتها النفس المطمئنة ه ارجعى الى ربك راضية مرضية". ١٥
و تكرر ذلك حتى خرجت روحها . فهذا شأن العباد المؤمنين الذين
قال الله فى حقهم: "و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين". و هذه الهيبة التى
جعلها الحق فى قلوب العباد لأولياته سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع
عليهم . ألم تسمع قوله صلى الله عليه و سلم: و نصرت بالرعب مسيرة

(١) ورد بعده بياض بالأصل بقدر كلمتين من غير إخلال بالسياق .

شهر . ألبسهم الحق ملابس هيبته ، و أظهر عليهم إجلال عظمته ، كلما نزلوا إلى أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية ، فهم الملوك وإن لم تخفق عليهم البنود ، و الأعزاء و إن لم تسر أمامهم الجنود ، فهؤلاء عباد المسلمين / الأولياء الصالحين .

٢/ الف

[ما قيل في رجال الهند الكافرين - ١]

٥

فلنذكر الآن ما قيل في رجال الهند الكافرين الذين^٢ يفعلون بأنفسهم ما لا تفعله المجانين - اعلم أن كفار الهند لهم رسوم و سنن قد جرت عاداتهم عليها ، منها ما يدينون به ، و منها ما قد اصطالحوا عليه ، و منها ما تنفرد به فرقة دون فرقة . و كل ذلك اتفاقا عقليا ، ١٠ و من سننهم حرق أنفسهم بالنار ، فإذا أراد الواحد حرق نفسه فتوة أو مخاطرة أو غضبا أو رسم الملك بذلك ، طاف المدينة ثلاثة أيام و معه طبول و ناس حوله ، و أهله معه و من يتعصب له و يقوى عزمه ، فإذا كان اليوم الثالث و قدت نار بحطب و دخلها ، فإن خاف و أراد الخروج منها ، رده أهله إليها بالحرايب ، لأن هذا عندهم عار للحي . ١٥ ثم يقال له : تقرأ على فلان السلام و فلان و فلانة . و هم قوم يعتقدون التناسخ ، و عندهم أن الإنسان ترجع بعد أربعين يوم روجه إلى هيكل غير هيكله ، إما لكلب أو حمار أو بقرة أو غير ذلك .

(١) العنوان مشتق من النص ، و ليس بالهامش .

(٢) في الأصل : الذي .

قال عبد الله بن عبد العزيز : رأيت رجلا من التناسخية من يقول :
 إن الأرواح تنتقل إلى عالم آخر ، و بين يديه كلبة و هو يحدثها و كأنها
 تصغي إليه . فقلت : ويحك ! ما هذه الكلبة ؟ قال : هي أمى عافاك الله .
 فقلت : و ما قصتها ؟ قال : كانت عاقبة لأبى ، فدعا عليها ، فلما ماتت
 انتقلت روحها إلى هذه الكلبة . قلت : فما تحدثها ؟ قال : أحدثها ما جرى ه
 بعدها . قال : فتفهم عنك ذلك . قال : نعم تفهم . قال : فتفهم أنت
 عنها ما تقول هي . قال : لا . قال : فما المسموح إلا أنت .

و أما التناسخية فاعلم أن النسخ في اللغة يراد به أمران : أحدهما

الإزالة له ، و ذلك قوله : نسخت الشمس الظل ، / و نسخت الريح آثار
 القوم ، بمعنى : أزالتها ؛ و الآخر النقل ، يقولون : نسخت الكتاب - ١٠
 إذا نقلت ما فيه .

و الهنود مطاوعون^١ لملكهم كثيرا ، يرون ذلك أصل دينهم .
 و ربما قال الملك لواحد منهم : مُرّ لبيتك ، و وجّهه لى رأسك .
 فيخرج من بين يديه و يمضى ، فيجذب غصنا من شجرة أو رأس قناة ،
 و يشد شعره بها^٢ ، و معه سكين ماضية مثل الماء فيضع حد السكين ١٥
 على رقبته ، و نصابها في يده اليمنى ، و يضع يساره على طرف السكين
 و يمضيها بقوته ، فينفك رأسه مع غصن الشجرة ، و يبقى جسمه مطروحا
 بالأرض . و لكل ملك من ملوك الهند جماعة يختص بهم ، فان مات

(١) في الأصل : مطاوعين .

(٢) في الأصل : لها .

ماتوا كلهم ، ولو انكسر أو طارت عينه أو جرح ، فعلوا كذلك مثله .
 وحكى عن رجل هندي كان يطوف بمدينة صندابور^١ و معه
 طول و خدم و خلق كثير ، وقد قرر وسط قحف رأسه ، و قلبه
 على قحفه ، وقد فيه فتيلة ، وقد تقد بدهن رأسه مثل الشمعة ، و جعل
 عليها قليل دهن لتقد جيدا ، و دور برأسه صفيحة حديد و سمرها بمسامير
 من حديد ، و هو يمشى و يغنى و يمضغ التنبيل ، فلما كان في اليوم الثالث
 مات و مضى إلى النار ، و بش القرار !

وقيل إن ملكا من ملوك الهند مات ، فأحرق عليه أربعة آلاف
 رجل من رجاله أنفسهم بأيديهم . و حدث بعضهم ، قال : عاينت بأرض
 الهند رجلا قد أخذه الملك بجناية ، و كان لصا فأحضره ، و طلى بدنه
 بالنورة ، و شدوا أربع خشبات كبيرة ، فمدوه عليها مثل المكدة ،
 و جاء رجل جزار معه ساطور كبير قاطع ، و اللص يغنى ، فجذت
 يده و وضعت على الخشبة ، و ضربها الجزار بالساطور فقطع / الأصابع ،
 ثم ضربه أخرى فقطع الكف ، ثم ضربه أخرى على قصبة الذراع ،
 ١٥ ثم ضربه أخرى على المرفق ، هكذا بيديه جميعا و رجله جميعا ، و أنا
 أنظر ، و هو يتأوه و لا ينطق بكلمة ، و يلتقم التنبيل فياأكله ، ثم انقطع
 تأوؤه ، و غارت عيناه ، و تلفت نفسه . فحسبت أن الجزار قطعه اثنتين^٢

(١) صندا بور - جاءت « صندا بور » في ابن بطوطة (ص ٥٥٧ - ٥٧١) من مدن
 الهند الشرقية في حكم الإسلام .

(٢) في الأصل : اثنين .

و ثلاثين قطعة ، و أوقد نارا عظيمة ، و طرحوه فيها . و هذا جلد عظيم ، و قدرة على البلاء .

و قيل : إن ببلاد الهند لصوصا تجيء إلى البلد منهم جماعة ، فيعيّنون رجلا تاجرا ، فيقبضون عليه في بيته أو في السوق أو في الطريق ، و يجرّدون في وجهه خناجرهم ، و يقولون : أعطنا كذا و كذا من المال و إلا قتلناك . فان جاء أحد يمنعهم عنه قتلوا الرجل التاجر و قتلوا أنفسهم بخناجرهم التي بأيديهم بعده . فهم إذا أخذوا رجلا تاجرا و طالبوه بالمال ، لم يترك أحدا يكلمهم خوفا على نفسه منهم . ثم يأخذون الرجل و يخرجون به خارج البلد حتى يفتدى منهم بما يشتهون^١ و يسلمه إليهم و حينئذ يتركونه^٢ .

١٠

و قيل : إن اثني عشر نقيبا من هذه الطائفة اللصوص الملعونة جاءوا إلى مدينة صيمور^٣ من أرض الهند ، فقبضوا على شاب من أبناء التجار هندي ، و له أب من مشايخ الهنود مليء الذمة ، و هو يحب هذا الولد حبا شديدا ، و ليس له ولد غيره ، فقبضوا عليه في جوف داره ،

(١) في الأصل : و طلبوه .

(٢) في الأصل : يشتهوا .

(٣) في الأصل : يتركوه .

(٤) صيمور - وردت في معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٤٤٤) من بلاد الهند الملاصقة للسند قرب الديبل فيها مسلمون و يليها مسلم .

و طالبوه بعشرة آلاف دينار، و هو بعض ما يملكه أبوه من المال،
فوجه إليه ابنه يعرفه ما نزل به، و يسأله أن يخلصه من أيديهم،
فجاءه والده مع الناس، و كلهم ورفق بهم ليقطع أمرهم على ألف
دينار، فأبوا و وقفوا على العشرة آلاف دينار، لا يحطون منها شيئاً،
٢١٤ ب ٥ فلما / عين الرجل ذلك، مضى إلى الملك و عرفه الصورة، و قال: هذا
داء لا دواء له، و إن لم تقطع هذه المادة لم يقدر أحد يسكن هذه
البلاد مع هؤلاء و جنسهم. و يتطرق إلى هذا الفعل كل من في بلدنا
من وغد و نذل، فقال الملك: كيف نصنع؟ و إن كلناهم قتلوا ابنك.
فقال له: كيف العمل؟ فقال الملك: قتلهم على حين، و إنما أخاف
١٠ أن يقتلوا ابنك، و ليس لك ولد غيره. قال: ما أبالي، هؤلاء يطلبون مالا
عظيماً، و لا يجوز لي أن أفقر نفسي و أنخلص ولدي. اعزم أيها الملك
على أن تدور على الدار التي هم بها الحطب، و تسد بابها و تضرمها
عليهم ناراً. فقال له: يحترق ابنك و عيالك معهم. فقال: إحرقهم
أهون على من ذهاب مالي، و أيضاً في ذلك موعظة لغيرهم، كيلا
١٥ يتطرق غيرهم لمثل فعلهم هذا. فقال الملك: و أنت راض بما ذكرت
من ذهاب بلدك و عيالك؟ قال: نعم، فوجه الملك رجاله و فعل ما
أمره به صاحب الدار، و أطلق فيها النار، فاحترق كل من فيها من
اللصوص و الولد و العيال.

(١-١) في الأصل: أنا ندور.

[كسرى و المزدقة - ١]

و قد ظهر فى ملك كسرى قباد^٢ بن فيروز أبى^٣ أنوشروان
مزدق^٤ الزنديق ، فقال مزدق للملك قباذان : الله عز و جل جعل الأرض
للعباد ، فتظالم الناس ، و استأثر بعضهم على بعض . و انضم إلى مزدق
جماعة ، فقالوا : نحن نقسم بين الناس و نرد على الفقراء حقوقهم من
الأغنياء . فكانوا يدخلون على الرجل فيغلبونه على أمواله و نسائه ،
فوثب رجل من أشرف الفرس يعرف بابن شوجرا فى جماعة من
أصحابه على مزدق فقتله ، فسعى بقاتل مزدق إلى الملك قباد حتى قتل
قاتل مزدق ، فانتثر بعد ذلك أمر قباد و أدبر ، و لم تبق ناحية إلا
خرج فيها خارجى ، ثم هلك قباد على ذلك ، و ملك بعده ابنه كسرى^٥
أنوشروان^٥ بن قباد . فنفى رؤس المزدقة ، و قطع آثارهم
و محام - انتهى .

[ما قيل فى العسر و اليسر و غير ذلك - ١]

ذكر ما قيل فى اليسر و العسر و الكرم و البخل و إقبال الدنيا

- (١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .
- (٢) كسرى قباد (Kavad, Chosroes Kobad) حكم فارس من ٤٨٧ إلى ٥٢٠ .
- (٣) فى الأصل : ابو .
- (٤) مزدق - مبتدع الديانة المزدقية بفارس ، انتشرت أيام كسرى قباد
و اضطهدده و قضى على قوتهم أنوشروان .
- (٥) كسرى أنوشروان خلف أباه كسرى قباد سنة ٥٣١ حتى ظهور العرب .

٢١٦/ الف و إدارها و غير ذلك - قال الأصمعي : رمت بنا / الأيام إلى حي من أحياء
 النميريين ، فلما قربنا من بيوت القوم ، ظهر لنا غلام شاب كالغصن الباسق ،
 يرفل في مطرف خز ، فسلم ثم أقسم بالله : لنزنان ، فنزلنا ، فوالله ما استقرت
 بنا الأرض في فناءه حتى دخل بيته ، ثم خرج و في يده مديّة كالنجم
 ٥ الثاقب ، فعمد بها إلى ناقة من إبله فنحرها ، فأقبلت عليه أمه تلومه و تعذله ،
 و نحن نسمع كلامها ، فكان مما قالت له : أي بني ! ارفق بمالك ، فانه
 حقن دمك ، و ستر دينك ، و جنة عرضك ، و اعلم أن الفقر هو الموت
 الأول ، و الحاجة هي المذلة و السكون إلى الدهر غرور ، و ركوب الشهوة
 خطر ، و القصد خير من التفريط ، و قد ساءني ما رأيت من طول يدك
 ١٠ في مالك ، و أنت في زمن نكد ، فانظر لنفسك و لي فقد نصحتك إن
 قبلت نصحي . فأشأ الغلام يقول لها هذين البيتين^٢ :

لا تسرفي في ملامى ان في أذنى وقرأ فلومك لي من أعظم الخطل
 ما كنت منتقلا باللوم عن خلقى حتى يوسدني بعض الثرى أجلى
 فقالت له :

١٥ أرى ذا الغنى و الناس يسعون حوله فان قال قولا تابعوه و صدقوا
 كذلك دأب الناس ما دام موسرا فان زال عنه المال يوما تفرقوا

(١) في الأصل : و في . و الواو زائدة مخذفاها .

(٢) في الأصل : الايات .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

افعل يا بنى ما بدا لك فقد نصحتك ثم قالت :

ما الناس إلا مع الدنيا و صاحبها فكيفها انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا و إن وثبت عليه يوما بما لا يشتهي و ثبوا

أما سمعت يا بنى قول القائل :

إن الفقير الطويل الذيل ممتهن فكيف حال فقير ما له قوت
يمسى و يصبح في هم و في نكد بين الأخلاء مرفوض و ممقوت

و اعلم يا بنى أن الفقير مأخوذ من فقار الظهر ، و المعنى أنه انكسر

فقاره ، فالفقير الذى يسأل ، و المسكين الذى لا يعلم به . قال النبي صلى الله

عليه و سلم : الفقير الذى ترده اللقمة و اللقمتان ، لكن للمسكين الذى

لا يعلم به / فيتصدق عليه . فقال لها : صدقت فيما قلت ، و لكن قال ١٠ / ٢١٦ ب
بعضهم حيث قال :

فلا تحزن إذا ما ضاق عيش فتحرم رتبة الرجل اللبيب

فكم لطف خفى فى كفاف و كم لله من سر غريب

ألم تجر له الشديان رزقا و عرفه التناول للنصيب

ألم ينعم^٢ عليه عهد لطف و أعطاه مودات القلوب ١٥

فقالت : صدق القائل فيما قال ، و لكن قد قيل :

لولا دراهمه التى فى جيبه لرأته أسوأ البرية حالا

(١) فى الأصل : ألم تجرى له الشديان .

(٢) فى الأصل : ألم تنعم .

يا بني ! إن الفقير إذا كان شجاعا قيل : أهوج ، وإن كان سخيا قيل : متلاف^٢ ، وإن كان حليما قيل : ضعيف ، وإن كان وقورا قيل : بليد ، وإن كان فصيحاً قيل : مهذار ، وإن كان مميزاً قيل : عبي . وهو كما قال الشاعر :

٥ إذا افتقر الإنسان قل صديقه وأعرض عنه خله و شقيقه
ولم يستمع منه الحديث جليسه وهانت على كل الرجال حقوقه
ويصبح مرفوضاً لقله ماله وإن شرفت أنسابه و عروقه
وقال الآخر :

١٠ ترى المال محبوباً إلى الناس كلهم وذو الفقير مبغوض إلى الناس جانبه
ومن يفتقر يوماً يراه صديقه بمؤخر عين و ازورر حواجه
وقال حكيم الهند : إنه لا يكون الأهل و الإخوان ، و التبع و الأعوان ،
و الأصداق و الحشم إلا مع المال ، و لا الرأي و القوة إلا بالمال ،
و لا المروءة يظهرها إلا المال ، و من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً
قعد به العدم عما يريد ، فبقي مقصراً عما أراد ، كالماء الذي يبقى في الأودية^٣
١٥ من ماء المطر ، فلا يتم إلى بحر و لا إلى نهر ، بل يبقى مكانه حتى تنشفه
الأرض ، فمن لا مال له لا شيء له ، لأن الرجل إذا ابتلى بالفقر رفضه

(١) في الأصل : كان .

(٢) جميع هذه الألفاظ وردت في آخرها بألف التنوين في الأصل .

(٣) في الأصل : تبقى في الأودية .

إخوانه ، و قطعه ذوو رحمه ، فلا شيء أشد من الفقر ، و الشجرة النابتة
 في السباخ ، المأكولة من كل جانب ، أحسن حالا من الفقير المحتاج إلى
 ما في أيدي الناس ، و الفقر داعية صاحبه / إلى مقت الناس ، و مسلبة
 للعقل و المروعة ، و معدن للتهمة ، و مجمعة للبلايا . و ليس من خلة هي
 للغنى مدح إلا هي للفقير عيب . فالموت أهون من الفاقة التي يضطر
 صاحبها إلى مسألة الأشقاء و اللئام . قال أبو يعلى بن الهبارية :

	إن الفقير ممتحن	مستقبح منه الحسن
	جميعه عيوب	وكله ذنوب
	ووجهه ممقوت	و جده مكبوت
١٠	إحسانه إساءه	علاؤه دناءه
	سماحه تدير	تديره تدمير
	عفته فسوق	و بره عقوق
	صوابه خطأ	صلاته رياء
	عطاسه ضراط	رفعه انحطاط
١٥	إن قال لم يصدق	إن رام لم يوفق
	إن زار رد و حجب	إن لم يزر قيل غضب
	راحه كالأعزل	و راحه كالمعزل
	أعراسه آتم	ليس له ملام

ألم تر إلى قول بعض الفقراء يذم نفسه حيث قال :

(١) في أصل : أبو العباس ، و التصحيح من كشف الظنون - راجع فيه قاليفه
 الصادح و الباغم . (٢) في الأصل : و ان .

العنكبوت بنت بيتا على وهن تأوى إليه و ما لي مثله وطن
والخنفساء لها من جنسها سكن و ليس لي مثلها ألف و لا سكن
فلما ذكرت أم الفتى ما ذكرت له ، قال لها : أقصرى عما ذكرت
فلمست أفعل إلا كما قال القائل :

٥ إذا ما رؤوس قد سلين من الأذى فما المال إلا مثل قص الأظافر
أى إذا قص الظفر يطول ، وكذلك الإنسان لم يزل رزقه جاريا عليه
إلى أن يموت - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في الغريب المتمول :

١٠ وقالوا غريب الدار قلت فكيسه فقالوا به جزء من المال وافر
فقلت لهم هذا مؤهل حيثما يقيم بلا شك و حيث يسافر
و قال بعضهم :

و ليس غريب الدار من كان موسرا و كيف و كل الناس بالمال يفرح
و لكن ذاك الإفلاس صاحب غربة و إن كان بين الناس يمسى و يصبح
و الدنيا لها إقبال و إدبار . قال بعضهم : خذ من إقبال الدنيا لإدبارها ،
١٥ فان الله تبارك [و] تعالى يرزق في يوم للأيام أكثر ما يكتسب الإنسان
فيها . قال الشاعر :

تقنع بما يكفيك و استعمل الرضى فانك لا تدري أتصبح أم تمسى

/ و ليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى و الفقر من قبل النفس

٢١/ب

و قال بعضهم :

٢٠ إذا أقبلت كادت تقاد بشعرة و إن أدبرت كادت تعد السلاسل

(١) في الأصل : ذووا .

(٢) في الأصل : اذا .

و قال

(٥٤)

٢١٦

و قال الآخر :

إذا أقبلت باض الحمام على الوتد و إن أدبرت فر الحمام من البلد

و قال الآخر :

إذا أقبلت باض الحمام على الوتد و إن أدبرت بال الحمار على الأسد

فالزهد في الدنيا فيه كل الراحة ، و الرغبة في الدنيا فيها كل

التعب . كان عيسى عليه السلام يمشى دائما على رجله من غير أن يركب

دابة . فقيل له : لو اتخذت حمارا تركبه ! قال أنا أكرم على الله من أن

يجعلني خادما لحمار ، فدابتى رجلاى ، و بنتى كهوف الأرض ، و شرابى

من أنهارها . أى غنى أكثر من هذا يا بنى إسرائيل ! كلوا من خبز الشعير

و البصل البرى ، و إياكم و خبز الحنطة ! فانكم لا تقومون بشكره . ١٠

عن كعب بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

و سلم : [ما - ١] ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص

المرء على المال و الشرف لدينه .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا

ابن آدم و هذا أجله - و وضع يده عند قفاه ثم بسطها^٢ و قال : ١٥

و ثم أمله .

و عن عبد الله قال : خط رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا مربعا

فقال : هذا الأجل . و خط في وسطه خطا فقال : هذا الإنسان .

(١) من مسند الإمام أحمد ٣/٤٦٠ ، و في الأصل بياض .

(٢) في الأصل : بسطه .

و خط في عرضه خطوطا فقال : هذه الأعراض . ثم خط خطا خارجا فقال : هذا الأمل ، والعروض تنهشه ، وعينه إلى الأمل .

وعن عبد الله بن عمرو قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصيا ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا : قد وهى ، فنحن نصلحه .

٢/الف ٥ فقال : ما أرى / الأمر إلا أعجل من ذلك - رواه الترمذى . واعلم أن طالب الدنيا لم يزل فقيرا . قال بعضهم :

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل فقيرا من الدنيا أسير غبونها
واعلم أن الأجساد الهرمة قريبة من الموت والبلى . كذلك الأمور

التي يخرج منها أكثر ما يستفاد قريبة من الفناء . كان بعضهم غنيا .
١٠ بماله ، فعدمه و صار فقيرا ، فقال :

مجلوة صفرا تخيرتها ، تعمدا من سكة الهند

لكنها أمست ولا والذي أحلف به ما أصبحت عندي

و قال بعضهم في قلة ما بيده :

جميع الحروف تلتقط ونا كالألف رحدى

١٥ ونا من شقا بختي لا فوقى ولا تحى

و لبعضهم في عدم لبث الدراهم عنده :

ما يأنف الدرهم المضروب صرتنا إلا يمر عليها وهو منطلق

عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المعونة

تأتى من الله على قدر المؤنة ، وإن الصبر يأتى على قدر البلاء . عن علي

ابن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل ، و انتظر الفرج من الله عبادة .
كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! إن كان رزقي في السماء فأنزله ، و إن كان في الأرض فأخرجه ، و إن كان بعيدا فقربه ، و إن كان قريبا فيسره . حتى لا أكون حريصا في تعجيل أمره و لا تأخيره ، إنك على كل شيء قدير .

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حوسب رجل كان قبلكم فلم يجد له حسنة ، إلا أنه كان يخالط الناس و يقضى حوائجهم ، و كان موسرا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، فقال الله عز و جل : أنا أحق بذلك . / فتجاوز عنه و غفر له . ١٠ / ٢١٨ ب
وقال الشاعر :

و أسعد الناس في أيامه رجل تقضى على يده للناس حاجات
الناس بالناس ما دامت حياتهم و لا غنى عنهم إلا إذا ماتوا

[ذكر النساء و أخبارهن - ١]

ذكر النساء و أخبارهن ، و التفريس فيهن ، و الغيرة عليهن ، و ما قيل ١٥ فيهن ، و معرفة أحوالهن في الخواتم بهن ، و غير ذلك من الواردات المستطردات - سميت الفراسة فراسة تمثيلا باقتراس الأسد لسرعة حورثه بقوة ، فلم يفلته لفرط تحققه فيه . و الغيلون الفيلسوف كتاب في الفراسة

(١) العنوان من النص الكامل في أول الباب .

(٢) وامله : فيلون (Philon) ، هو فيلسوف يهودي والد بالإسكندرية .

يختص بالنسوان ، و منفعتة جليلة في تقدمة المعرفة بأخبار من يضطر الإنسان إلى مخالطته من زوجة أو سرية أو صاحب و مملوك ، ليصير على بصيرة من أمره ، وهذا العلم معتبر في الشرع . قال الله تعالى : " ان في ذلك لآية للمتوسمين " و قال الله تعالى : " تعرفهم بسيماهم " . و قال النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله . و يقرب من هذا العلم قياقة الأثر و قياقة البشر ، وليست علوما اكتسابية ، إنما هي تخمينات حسية ، و كذلك النظر في غضون الكف و أسارير الجبهة و نحوها .

و اعلم أن أطيب عيش الرجل هو أن يكون عنده مال يكفيه ،

١٠ و دار توويه ، و جاه يحميه ، و زوجة ترضيه . قال بعضهم :

سعادة المرء أن يكون له ظهر جواد و كسوة حسنة

و زوجة حرة موافقة موصوفة بالجمال مؤتمنه

و رزقه جاريا عليه و لا يعدل عن أهله و عن وطنه

فذاك ان عاش عمره سنة كأنما عاش ألف سنة

١٥ و يستحب للرجل أن يتزوج بكرا يستحسنها ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

النساء لعب ، فاذا اتخذ أحدكم لعبة فليستحسنها . و الحذر الحذر من

تزويجك / لعجوز فانية ، ففي مشور الحكم : المرأة ريحانة لا قهرمانة .

قال بعضهم في عجوز :

(١) قرآن كريم سورة ١٥ آية ٧٥ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٧٣ .

عجوز عمرها سبعون عاما وعشرون أو عشرين في الحساب
مقلعة الضواحك و الشنايا من الأنياب إلا فرد ناب
يلوح بفكها 'ضرس فريدا' شبيه الوتد^٢ في دار خراب
و يستحب للرجل أن يتزوج المرأة ذات العقل و الدين . قال النبي صلى الله
عليه و سلم : عليك بذات الدين تربت يداك ! فإذا كانت المرأة زينة ه
صينة جميلة ، كان زوجها قائم الجاه بين الناس ، خاليا من الفكرة
و الوسواس ، و مع ذلك ينبغي أن يغار عليها ، فان النبي صلى الله عليه
و سلم قال : إني لغيور ، و ما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب .
و قال النبي صلى الله عليه و سلم : إن لله ليغار ، و من غيرته حرّم الفواحش
ما ظهر منها و ما بطن . عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال ١٠
رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا علي ! كن غيورا ، فان الله يحب الغيور .
و روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن المؤمن
يغار . فنسب الغيرة إلى الإيمان بقوله : إن المؤمن يغار . عن ابن عباس
قال : كان الفضل بن عباس ردف رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فجاءت
امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل ينظر إليها و تنظر إليه ، فجعل ١٥
رسول الله صلى الله عليه و سلم يهرف وجه الفضل الى الشق الآخر .

(١) في الأصل : عشرا .

(٢-٢) في الأصل : ضرسا فريدا .

(٣) بتسكين تاء « الوتد » لاستقامة الوزن .

(٤) في الأصل : خال .

فقلت: يا رسول الله! إن فريضة الله على عباده الحج، أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة فأحج عنه؟ قال: نعم - خرج مسلم .

و الطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل الرجل على زوجته الرجال،

ولا تخرج هي إلى الأسواق . قال النبي صلى الله عليه وسلم / لابنته فاطمة

٢١٩/ب

٥ رضى الله عنها: أى شىء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلا ولا يراها

رجل . فضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وقال: " ذرية بعضها

من بعض " . واستحسن قولها . وأم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

وسلم خديجة بنت خويلد، تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغ

خمسا وعشرين سنة ولها أربعون سنة، وأصدقها خمسمائة درهم، وولى

١٠ تزويجها عمرو بن أسد عم خديجة، وقام أبو طالب عم النبي صلى الله

عليه وسلم خطيبا فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

إسماعيل، وجعل مسكننا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا حكاما

على الناس أجمعين . ثم إن ابن أخى هذا لا يوزن برجل إلا رجح عليه!

وإن له لخطبا جليلا، وثناء جميلا وإن كان مقلا فى المال، فإن المال

١٥ رزق حائل، وظل مائل، فقد خطب إليكم رغبة فى خديجتكم، وقد

بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا - والسلام علينا وعليكم .

فلنذكر الآن ما قيل فى اشتقاق الخطبة إن شاء الله تعالى - الخطبة

بالكسر اشتقاقها من الخطب بمعنى الأمر والبيان، قال: " ما خطبك "،

أى ما شأنك . وخطب فلان فلانة، أى سألتها أمرا وشأنا فى نفسها.

(١) فى الأصل: وحرمتنا .

وقيل : ان أصل الخطبة من الخطاب الذي هو الكلام ، لان الخطبة تستلزم الخطاب في أمر المرأة . و أما الخطبة بالضم فهو الكلام المؤلف في الزجر و الوعظ و ما في معنى ذلك - انتهى :

نعود - فلما خطب أبو طالب و تم العقد ، أرسلت خديجة حينئذ

إلى النبي صلى الله عليه وسلم حلة يمنية ، فأخذها فألقاها على عم خديجة ه

فقبلها و تم النكاح ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمها : أين

تريد يا محمد؟ قال : إلى منزل عمي . قال : قيل مع أهلك و دع عمك

ينحر بكرة و يطعم الناس . ففعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم و قال

مع خديجة و قد / أقر الله عينه . ففرح أبو طالب فرحا شديدا ، فقال : ٢٢٠/

الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ، و دفع عنا الغم . ثم إن خديجة ١٠

أحبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدت بمحبتها له القرب و الإسلام ،

و النجاة من عبادة الأصنام ، فعصت عذالها ، و أنفقت عليه مالها ،

و كانت أول من أسلم من نساء عصرها ، و بشرها الملاك بقصرها .

قال أبو هريرة : أتى جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك^١ و معها إناء فيه ماء و طعام ، فاذا ١٥

أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها و مني ، و بشرها بيت في الجنة من

قصب ، لا صخب فيه و لا نصب - ذكره مسلم بن الحجاج في صحيحه ،

و القصب هنا اللؤلؤ المجوف .

و قالت عائشة رضي الله عنها : ما غرت على واحدة من نساء النبي

(١) من صحيح مسلم - الفضائل ، و في الأصل : اتت .

صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، و ما رأيتها و لكن لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، و ربما ذبح الشاة و لم يقطع لها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فر بما قلت له : كأن لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت و كانت ، و كان لى منها ولد - ذكره مسلم . و قالت عائشة رضى الله عنها : استأذنت هالة يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذكر استئذان خديجة فقال : اللهم هالة ! فقلت له : ما تذكر لعجوز حمراء الشدقين ملكت فى الدهر الأول ، أبدلك الله خيرا منها - ذكره مسلم .

و قالت عائشة أيضا : دخلت عجوز يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ فقالت : حسانة المدينة . فقال : بلى أنت حسانة المدينة ، كيف حالكم ؟ كيف أنتم بعدنا ؟ قالت : بخير يا رسول الله ! فلما خرجت فقلت : على مثل هذه العجوز تقبل هذا الإقبال . و تسأل هذا السؤال ؟ . فقال : يا عائشة ! إنها كانت تأتينا فى أيام خديجة ، و حسن العهد من الإيمان - انتهى .

١٥ نعود إلى ما قيل فى الغيرة - و كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الطيقان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال . و رأى معاذ امرأته تتطلع من طاق فضربها ، و رآها رافعت إلى غلام قد أكلت بعضها ،

(١) من الإصابة فى معرفة الصحابة ، و فى الأصل : الزنية .

(٢-٢) العبارة قد اعتورها الغموض ، ولعلها : رافعة إلى غلام بعضها قد أطلت .

فَضْرِبُهَا . وَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَعْرَوْا النِّسَاءَ يَلْزَمُنَ الْحِجَابَ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرِغِبُونَ فِي الْخُرُوجِ فِي الْحَيْثَةِ الرَّثِيَّةِ .

- ٢٢٠/ب
 ٥
 ١٠
 ١٥
- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَابٌ ، كَذَابٌ ، قَالَتْ بَعْضُ الرِّوَاةِ : تَعْنِي قَصِيرَةً . فَقَالَتْ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مَرَّجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَّجَتْهُ . مَعْنَى مَرَّجَتْهُ أَي خَالَصَتْهُ مَخَالَطَةً تَغْيِرُ بِهَا طَعْمَهُ وَرِيحَهُ لَشِدَّةِ لَذْنِهَا وَرِقَبِهَا . وَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ بُرَاهِنِ عِنِّ الْغَيْبَةِ . وَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْأَحَادِيثِ يَبْلُغُ فِي الذَّمِّ لَهَا هَذَا الْمَدْحُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ " . وَ هُوَ الْوَحْيُ الْوَحْيُ الْوَحْيُ . وَ يَخْشَى أَنْ يَظُنَّ ظَنًّا مِنْ أَعْرَابٍ مَا لَا يَبِيقُ بِمَنْ قَالَ فِي حَقِّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَضْلٌ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ . فَان قِيلَ : كَيْفَ صَدَرَ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ اخْتِصَتْ مِنْ النِّسَاءِ بِالْأَفْضَلِيَّةِ فِي حَقِّ صَفِيَّةٍ ؟ قِيلَ : إِنَّمَا صَدَرَ ذَلِكَ مِنْهَا لِفَرْطِ الْغَيْرَةِ الْعَرِيزِيَّةِ الَّتِي جَبَلَتْ عَلَيْهَا الْقُلُوبَ الْبَشَرِيَّةَ . وَ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي كِتَابِ « الْإِكْمَالِ » [٤] فِي حَدِيثٍ فِيهِ مِثْلُ هَذَا الْإِشْكَالِ : يَعْنِي عَنِ النِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ لِأَجْلِ ١٥

(١) زيد هنا : وأعظمها - والكلمة مكررة فحذفناها بلامس للمعنى .

(٢) قرآن كريم سورة ٣٠ آية ٣ و ٤ .

(٣) في الأصل : عن .

(٤) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في هامشه بخط المراجع .

الغيرة حتى ذهب [مالك وغيره من العلماء إلى إسقاط الحد عن المرأة خشية إذا رمت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة . قال : واحتج لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ما تدرى الغيراء أعلى الوادى من أسفله - انتهى .

٥ فلنذكر الآن ما قيل في العفاف و خدع النساء و مكرهن و حيلهن و عيوبهن إن شاء الله تعالى . قالت امرأة من العرب لبعها : ما هذه الغيرة التي أراها بك ؟ قال : أغار على حمقاء مثلك ، تأتي بولد من غيري ، فتقذفينه في حجري . قال بعض الحكماء لولده : يا بني ! تمسك بالمرأة العفيفة و احبأها في عينك ، و لا تمسك بالمرأة الفاجرة ، فان من تمسك بها ١٠ فهو فاجر جاهل ، و من عدم المرأة الحرة عدم الخير . قال بعضهم :

و توق من خدع النساء حباثلا إن النساء حباثل الشيطان

و قال الآخر :

ذر الدنيا و إن راقتك حسا و لا يغسرك ربات الحجال

فليست فتنة في الأرض تخشى أضر من النساء على الرجال

١٥ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما ذكر عنده النساء : ما العجب

من فسادهن ، بل العجب من صلاحهن . إن المرأة إذا رأتك / غنيا

سأبتك ، و إن رأتك فقيرا هجرتك ، و إن جاءت أكلتك بأسنانها ، و إن

شبعت قرضتك بلسانها . إن هي إلا عورات تجتمع ، و حياء يرتفع ، تخرج

من بعد ذلك ما شنع . فذلك كله على الولد إن جاع كد ، و إن مات

(١) في الأصل : فتقذفه .

هد ، فاللذة بهن يسيرة ، والهموم^١ بهن طويلة تورث الحيرة ، فلا تأمنوا النساء على مال ، ولا تكلوهن إلى تدبير العيال فانهن لا مروءة لهن ، عند دواعي شهواتهن ، ولا صبر لهن عند إرادتهن ، بل جوعوهن جوعاً لا يضرهن^٢ ، وأعروهن عرياً لا يضرهن ، فأنهن إن جعن وعرين قررن في البيوت . قال الله تعالى^٣ : ” وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية “ .

فلنذكر الآن ما قيل في جواز النظر إلى النساء و عدم جوازه ، قال أبو شجاع أحمد بن الحسن الشافعي رحمه الله تعالى : نظر الرجل إلى المرأة على سبعة أضرب : أحدها [نظره - ٤] إلى الأجنبية لغير حاجة فغير جائز ، والثاني نظره إلى زوجته و أمته فجائز خلا^٥ فرجها ،^٦ لأنه يورث الطمس ،^{١٠} و [قيل] له أن ينظر إلى فرجها ، و قاسوه كسائر بدنها . قال أبو عمرو ابن الحاجب المالكي في مختصره : و الملك و النكاح يبيح نظر الفرج من الجانبين ، يريد أن عقد النكاح يبيح لكل واحد من الزوجين أن ينظر إلى فرج الآخر ، و كذلك الرجل مع جاريتته . عن معاوية بن حمزة قال : قلت : يا رسول الله ! عوراتنا ما نأبئ منها وما نذر . قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك و ما مملكت^{١٥} يمينك . قلت : يا رسول الله ! فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال :

(١) في الأصل : و الهم . (٢) في الأصل : يضر بهن .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٣ آيه ٣٣ .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) في الأصل : خلاف . (٦) زيد في الأصل : فقيل .

إن استطعت أن لا يرى أحد نورك فافس . قلت : فإذا كان أحد خائياً؟ قال : الله أحق أن يستحي منه . و أما [١] وقع الاستماع و مش : أيجوز للرجل أن ينظر إلى فرج مرأته؟ قال : نعم ، و أحسنه بلسانه . قال بعض الشيوخ : إنك لو اد به تحقيق إباحة النظر ، و ليس من مكارم الأخلاق أن يلاحظ بلسانه و يميل في النكاح كل الاستماع من الحر و الزامة في كل موضع منها إلا الإتيان في اللبس فإنه لا يحل . قوله تعالى ٢ : " نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم " ففهم الجمهور أن الحرث في المرأه مستعار من الحرث في الأرض . و أن المطلق من كل واحد منهما السماء . و ذلك لا يتم إلا إذا كان الوطء في الليل . ١٠ و جعلوا " أني " بمعنى كيف ، بقوله تعالى : " ان يكون له ولد " و " أني " أن يكون لي ولد " و يقويه ما في الصحيح من حديث جابر قال : كانت اليهود تقول : إن أني الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول . فقلت " نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم " قال جابر : إن شاء محبته . و إن شاء [غير - ٥] محبته غير أن ذلك في صوم واحد . و لا يعزل عن الحرث ١٥ إلا بأذنها - انتهى .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٢٣ .

(٣) قرآن كريم سورة ١٠١ آية ١٠١ و سورة ٣ آية ٤٧ .

(٤) من صحيح مسلم - النكاح ، وفي الأصل : بحبته .

(٥) زيد من الصحيح .

نعود إلى ما ذكره أبو شجاع أحمد بن الحسن ، قال : و الثالث نظره إلى ذوات محارمه / أو أمته المزوجة فيما عدا بين السرة و الركبة . و الرابع النظر لأجل النكاح ، فيجوز النظر للوجه و الكفين . و الخامس النظر للدأوة ، فيجوز إلى الموضوع الذي يحتاج إليه . و السادس النظر لشهادة أو معاملة ، فيجوز إلى الوجه خاصة . و السابع نظر الأمة لاشترائها ، فيجوز إلى الموضوع الذي يحتاج إليه في تقلبها . قال بعضهم :

مَنْ الْعَقْلُ عَنْ لِحْظَةٍ فِي هَوَى فَانِ الْبَصِيرَةَ طَوَّعَ الْبَصْرَ
و غَضَّ الْجَفُونَ عَلَى عَفَا فَانِ زِنَاهُ الْعَيُونَ النَّظْرَ

و قد يحصل من العبد الوقيح ، ما يفضى بنظره إلى الفعل القبيح . و ذلك أنه كان لبعض العرب عبد يقال يسار الكواعب ، و كان من حديثه أنه كان لسيده بنات حسان ، فأحبهن حبا شديدا ، قد أفنته بحسنهن و جمالهن ، فجعل يحذ النظر فيهن ، و يتعرض لهن بمشاكلته لهن ، فصرن يكلمنه بلين محادثتهن له ، فطمع فيهن ، فعملن الحيلة عليه ، و صرن يتقرن إليه ، فكثير طمعه فيهن ، فقلن له : يا يسار ! إنا نريد أن نبخرك بعود رطب ، فأمكننا من ذلك ، ففرح بقولهن ، و أمكن نفسه منهن بكشف ١٥ سوءته لهن ، و قال في نفسه : قد أحببتني و اشتهيتني ، فلما كشف لهن عن غرموله ، و كن أعددن له موسى فعدون عليه ، فقطعنه بخصيته ، و قد ذكره الفيزدق الشاعر في شعره فقال :

فهل أنت إن جاءت أتانك راكب

٢٠ إلى آل بسطام بن قيس نخطاب

(١) من مان يمون ! احتمال المؤنة .

ولو مثلك اختار الدنو إليهم

اللاقى كما لاقى يسار الكواعب^١

واعلم أنه يباح للعبد أن يرى من سيده ما يراه ذو المحرم، إلا أن يكون له منظر فيكره أن يرى ما عدا وجهها، ولها أن تتواكله إذا كان غير وغد يؤمن منه التلذذ برؤيتها، بخلاف من لا يؤمن ذلك منه، ولا يدخل الخصى على المرأة إلا أن يكون عبدها، واستخف إذا كان عنه زوجها للشفقة الداخلة عليها في استئثارها منه.

[ذكر الفرزدق مع النوار -^٢]

وإذ قد ذكر الفرزدق، فلنذكر خبره مع النوار إن شاء الله

١٠ - تعالى - اعلم أنه ما من أحد له طبع سليم يرى جمالا فائقا إلا ويميل

إليه طبعه، وأن الفرزدق مال طبعه إلى نوار، فعمل عليها الحيلة لفقده

٢/ الف

وغناها، ودمايته وحسنها، إلى أن تزوج بها. وذلك أن الفرزدق

واسمه إمام بن غالب الدارمي، والفرزدق لقب له لجهومة وجهه

وغلظه وعدم حسنه، والفرزدق أيضا قطعة^٣ عجيب، وقيل: الرغيف

١٥ الضخم، والنوار بنت عم الفرزدق. وخبره معها أنه كان وليها، إذ

كان ابن عمها، فأمرته أن يزوجهما من كفوء لما صاحب أصل في العرب

(١) وورد البيهقي في الأغاني باختلاف كثير.

(٢) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش.

(٣) في الأصل: قطع.

و حسن في المال . فقال : إن بالشام من هو أقرب إليك مني ، ولا آمن
 أن يقدم منهم قادم ، فينكر ذلك عليّ ، فأشهدي أنك جعلت أمرك
 إليّ . فأشهدت علي نفسها بذلك . و جعلت له أمرها أن يزوجها من
 رأى . فقال لها بعد مدة قريبة : أرسلني إلى القوم أزوجك من خطبك
 مني . فلما غص مسجد بني مجاشع ببني تميم ، جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى
 عليه ، ثم قال : لقد علمتم أن لنوار قد وثقتني أمرها ، وأشبهكم أني قد
 زوجتها من نفسي . فلما أخبرت نوار بذلك نشرت عليه وبأفاته من
 البصرة إلى أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بمكة ، وكانت إذ ذاك
 سلطان مكة . حين أعيانها أمر من بالبصرة أن يطلقوها منه ، وأعيانها
 شهود أن يشهدوا بما خوفوا من شره و هجوه . إذ كان شاعرا مطبقا .
 و الهجاء يصير به المهجور سبة بين قبائل العرب ، كما قيل :

لو هجى المسك و هو أهل لكل مدح لصار جيفة

و لم يقدم أحد على حملها لمكة ، حتى تجهز قوم من بني عدي يقال لهم
 بنو نسير^١ إلى مكة ، فصحبهم نوار ، فقال الفرزدق :

و قد سخطت مني النوار الذي ارتضى

به قبلها الأزواج حاب رحيلها

(١) في الأصل : حسنا .

(٢) في الأصل : المهجور .

(٣) من الأغاني - أخبار الفرزدق ، وفي الأصل : بنو بشير .

(٤) نقلاً من الكلمة من الشطر الأول للثاني .

أطاعت نبي أم النسير فأصبحت

أعلى شارف^١ ، رقاء صعب ذلوها

وإن امرأ يسعى ليفسد زوجتي

كساع إلى أسد الشرى بسيلها

/ ومن دون أحوال^٢ الأسود بسالة

٢٢/ب ٥

وبسطة أمر يمنع الضيم طولها

وإن أمير المؤمنين لعالم

بنا ، بما رضى العباد رسولها

ثم ارتحل في إثرها حتى وصلا مكة ، فبرلت النوار عى بنت منظور بن

١٠ زبان زوجه عبد الله بن الزبير ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة بن عبد الله

ابن الزبير ، وقال هذه الأبيات :

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي

إن المنوة باسمه الموثوق

بأبي عمارة خير من وطئ الحصى

وجرت له فى الصالحين عروق

١٥

بين الحوارى^٣ الأغر وهاشم

تم الخليفة بعد والصدق

يعنى بالحوارى الزبير بن العوام وهاشم بن عبد مناف ، ومعنى الحوارى

الخالصة ، فكان ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق عند والده عبد الله

٢٠ ابن الزبير نهارا ، أفسدته بنت منظور امرأة عبد الله بن الزبير ليلا ،

(١ - ١) نقلنا « على شارف » من الشطر الأول للثانى .

(٢) فى الأغانى : أبوالها .

حتى غلبت النوار على الفرزدق فقال الفرزدق :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم

وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتك مكتسيا

مثل الشفيع الذي يأتك عريانا ٥

فلما سمع ابن الزبير شعره هذا توقف في أمره ، فلقبه يوما بباب المسجد ،

فضمه إلى الحائط ، فكادت تزهر روح الفرزدق ، و كان ابن الزبير

في غاية من القوة ، ثم هده و تركه خائفا ، ثم دخل على النوار فقال

لها : إما [أن - ١] تنمي زواج ابن عمك و إلا قتلته و أرحمت المسلمين

من شر لسانه . فقالت : و لا بد أن تقتله . قال : و لا بد ! فعطفتها ١٠

عليه رحم القرابة و قالت : لا والله [ما - ١] أدعه للقتل ، قد رضيته

زوجا لي . فحك عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم . فسأل

الفرزدق : هل بمكة أحد يعينه ؟ فنزل على سلم بن زياد ، و كان عبد الله بن

الزبير حبسه ، فقال فيه قصيدة منها :

دعى مقفلي^٢ الأبواب دون فعاهم ١٥

و مرى^٣ تمشى^٢ القاصدون إلى سلم

إلى من يرى المعروف سهلا سبيله

و يفعل أفعال الكرام التي تنمي

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) من الأثاني ، و في الأصل : مقفل .

(٣-٣) من المراجع ، و في الأصل : و منزل يمشى . و الشطر في المراجع :

و مرى تمشى بنى عبلت إلى سلم .

ثم دخل على سلم فأنشده القصيدة و قال له : إن ابن الزبير طلب مني المهر للنوار عشرة آلاف درهم . فقال سلم : هي لك ، و مثلها لنفقتك . فقبض عشرين الفا ، فدفع مهرها عشرة آلاف ، و دخل بالنوار و أحبلها قبل أن يخرج من مكة . ثم خرج بها و هما عديلان في محمل ، فكانت أبا تسبه و تخالفه لأنها كانت صاحبة الدين كاسمها . لأن هذا الاسم في لغة العرب نفور من الريبة .

و كان الفرزدق ردىء الدين زانيا قاذفا للحصنات . و من ملح أخبارها أنه أراد امرأة شريفة على نفسها فامتعت عليه ، فتهدها بأن يهجوها . فاستعادت بزوجته النوار ، فقالت لها النوار : واعدية ليلا ثم أعلميني . و خرجت المرأة من حجبتها ، و بادر الفرزدق الحجلة و النوار فيها ، و هو لا يشك أنها الشريفة صاحبة الحجلة ، و ذلك في الظلام . فواقعها ، فلما فرغ منها قالت : يا عدو الله ! يا فاسق ! فعرفها و علم أنه خدع ، فقال لها : أنت هي ، سبحان الله ! ما أطيبك حراما و أبردك حلالا ! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها . فحدث أبو معبد راويته قال : قال لي الفرزدق يوما : امض بنا إلى حلقة الحسن البصرى ، فاني أريد أن أطلق النوار . فقلت له : إنى أخاف أن تتبعها نفسك ، و يشهد عليك الحسن و أصحابه . فقال : امض بنا . فحجنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال له الفرزدق : كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير . ثم قال الحسن للفرزدق : كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال : تعلم أن نوار منى طالق ثلاثا .

(١) و رد مثله في الأغاني و نضه : فكانت لا تزال تشاره و تخالفه لأنها كانت صاحبة حسنة الدين و كانت تكره كثيرا من أمره .

فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا . قال أبو معبد : فقال الفرزدق : يا هذا !
إن في قلبى من النوار شيئاً ، فقلت : قد حذرتك ، فقال :

٢٢٢ / ب

ندمت ندامة الكسعى / لما غدت منى مطلقاً نوار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدي ونفسي لكان علىّ للقدر اختيار
وكنت كفاقى عينه عمداً فاصبح ما يضىء له نهار

و مات الفرزدق سنة عشر و مائة للهجرة ، و فيها مات جرير بن الخطفي^٢
و محمد^٣ بن سيرين و الحسن البصرى . فقالت امرأة بصرية : كيف يصلح
بلد مات فقيهاه و شاعراه ؟ و الحسن هو أبو سعيد بن أبى الحسن البصرى
و اسم أبى الحسن يسار مولى الأنصار ، و ولد الحسن لسنتين بتيماً من خلافة
عمر بن الخطاب^٤ ، و مات بالبصرة سنة عشر و مائة للهجرة و هو ابن ثمان
و ثمانين سنة .

و روى أن أمه كانت خادمةً لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه
و سلم ، و ربما بعثتها فى حاجة ، فيبكي الحسن ، فتنازله ثديها ، فرأوا أن
تلك الحكم التى رزقها الحسن من بركات ذلك .

١٥ و روى أن أم سلمة أخرجته^٥ إلى عمر بن الخطاب فدعا له فقال :
اللهم ! فقهه فى الدين ، وحببه إلى الناس . و سئل أنس بن مالك عن^٦ مسألة
فقال : سلوا مولانا الحسن ، فإنه سمع و سمعنا ، فحفظ و نسينا - انتهى .

(١) يقابلها سنة ٧٢٨ - ٧٢٩ م . (٢) فى الأصل : الخطفا .

(٣) فى الأصل : الحسن ، و التصحيح من الأعلام للزركلى .

(٤) انظر حاشية سابقة ، راجع الفهارس .

(٥) فى الأصل : أخرجت .

(٦-٦) فى الأصل : مسألة فقالوا - كذا .

[قصة الكسعي - ']

نعود إلى قول الفرزدق في شعره حين طلق زوجته النوار :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار

وذلك أن الكسعي رجل منسوب إلى كسع قبيلة باليمن ، واسمه

٥ محارب بن قيس ، وبندامته يضرب المثل ، يقال : أندم من الكسعي .

ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بواد كثير العشب والخط ، فبينما

هو يرعاها إذ بصر بنبعة في صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً .

فجعل يتعاهدها وبقومها حتى أدركت فقتلها ، فلما جفت أخذ منها قوساً ،

وأنشأ يقول :

١٠ يا رب وفقني لنحت قوسى فإنها من لذى لنفسى^٢

و انفع بقوسى ولدى و عرسى ، أنحتها صفراء مثل الورد

/ الورد منابت كعب ابريسم يجلب من الحبشة ، يصيغ به الثياب الصفرة

١٢٢٤ / الف

الحرير ، و كان ثم دهنها و خطمها بوتر ، و أخذ من برايتها خمسة أسهم ،

و جعل يقلبها بكفه و ينشد :

١٥ هن ورنى أسهم حسان تلذ للرامى بها البنان

كأنما قوامها^٣ ميزان فأشروا بالخصب يا صبيان

إن لم يعقني الشؤم و الحرمان

(١) ليس العنوان ناله مش و لكنه مشتق من النص .

(٢) من لسان العرب ، و فى الأصل : و نفسى .

(٣) فى اللسان : قومها .

ثم أتى موارد جمّة ، فكمن فيها ليلاً ، فمر به قطيع ، فرمى حمار وحش
 بسهم فأصابه السهم ، و خرج منه وأصاب الجبل ، فقدح منه نارا ،
 فظن أنه أخطأ . ثم مر به قطيع آخر ، فرمى بالسهم الثاني حمار وحش
 فأخطه بالسهم و مضى إلى الجبل فأورى نارا كالأول . ثم مر به قطيع وحش
 فرمى 'بالسهم الثالث' حمارا منه فأخطه و صنع صنيعه^٢ الأول و الثاني . ٥
 ثم مر به قطيع رابع [فرمى بالسهم الرابع حمار وحش - ٣] فخرقه السهم
 و مر إلى الجبل فقدح نارا . ثم مر به قطيع خامس ، فرمى بالسهم
 الخامس حمار وحش ففرق من الحمار و ركز في الجبل ، قدح منه النار ،
 وهو لا يعلم باصابة الأسهم لشيء من الوحش لشدة الظلمة ،
 فأنشأ يقول :

١٠

أبعد خمس قد حفظت عدها أمسك قوسي و أريد ردها
 أخزى الإله لينها و شدها و الله لا تسلم^٣ عندي بعدها
 و لا أرجى ما حيت ردها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر ، و بات بقية ليلته ، فلما أصبح
 أبصر الحمير الخمسة مطرحة حوله ، و أسهمه بالدماء مضرجة . فأسف ١٥
 و ندم على كسره القوس و عض إبهامه فقطعها تلهفا ، و أنشأ يقول :
 ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذا لقطعت خمسي

(١ - ١) في الأصل : به . (٢) في الأصل : صنيعه .

(٣) زيدت العبارة لا كجمال الجملة .

(٤) من اللسان ، و في الأصل : لا يسلم .

تبيّن لي سفاه الرأي مني لعمر أليك حين كسرت قوسي

- انتهى .

[في الغيرة وأخبار النساء - ١]

نعود إلى ما قيل في الغيرة - ذكروا أن الغيرة من أكبر مروءات

الرجال . قيل : إن أمير المؤمنين / عبد الملك بن مروان^٢ كتب إلى

عامله الحجاج يأمره بطلب رجل ، فبلغ الرجل ذلك ، فجمع نساءه وحرمة

وهرب بهن إلى دير هند ، فأخبر الحجاج بذلك ، فهجم عليه شرطة ذلك

الدير ، أخرجوا منه تسعاً من نسائه وأخواته وبناته ، وهرب الرجل

من الشرطة . فلما أخرج الشرطة النسوة من الدير ليمضوا بهن إلى الحجاج ،

١٠ فسمع رجل من الناس الضجة ، وإحداهن تنشد و تقول :

خارجات تُسَقِّن من دير هند ، غايات بذلة وهوان

يتمنين أن يرين كريماً طيب الخيم من بني غطفان

ليت شعري أول الهرج هذا أم محم الدهر غيرة الفتيان

فلما سمع الرجل ذلك منها ، شد على شرط الحجاج ، وأخذ سيف واحد

١٥ منهم . وخلص النسوة بعد أن قتل منهم واحداً وهرب . فبلغ الحجاج

ذلك ، فأمر بالقبض على من كان حاضراً في ذلك الوقت عند تخليصهن

من الشرطة ليقتلوا إن لم يحضر الرجل . فسمع الرجل بذلك ، فجاء

إلى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير ! أنا صاحب الجنابة ، نخل من قد

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بهامشه .

(٢) انظر حاشية سابقة . و راجع الفهارس . (٣) في الأصل : تسعة .

أخذت بسببي من الناس الذين كانوا حاضرين حين خلصت النسوة من الشرط، نفخى الحجاج عنهم، ثم قال له الحجاج: ما حملك على ما صنعت؟ عصيت ربك، وخالفت أميرك، وقتلت النفس التي حرم الله تعالى [قتلها - ٢]، قال: سمعت امرأةٍ منهن تقول كذا وكذا، وأنشده الشعر، فلم أتمالك أن فعلت ما فعلت. فقال له: فأمنت عقوبتي؟ قال: والله ما أمنتها ولا كان ذلك مني إلا على بصيرة وغيره على النساء. قال: فأعجب الحجاج مقالته، وعظم في عينه، وأمر له بكسوةٍ، وما زال في جملته إلى أن مات. وما قيل في المعنى:

وللقادير أسرار فان ظهرت تعجب الخلق منها حين تنتشر

وكل شيء له حد سيبلغه فيذهب الكرب والمظلوم ينتصر ١٠

وقال صالح بن سليمان: ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض، إلا ما كان من الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية، فان عقولهما كانت ترجع على عقول الناس. قال ابن شوذب: ما رأى أحد مثل الحجاج لمن أطاعه، ولا مثله لمن عصاه، وقد تقدم من أخبار الحجاج لمع^٢ في مواضع متفرقة / من هذا الكتاب .

١٥ ٢٢٥

(١) في الأصل: الذي .

(٢) في الأصل: النساء، وهو خطأ لفظي يصححه السياق .

(٣) في الأصل: لمعا .

فلنرجع إلى ذكر ما قيل من أخبار الذنوان ، من الإساءة
و الإحسان ، إن شاء الله تعالى - ذكروا أن امرأة كانت بصنعاء اليمن
لها ربيب ، فعاب زوجها ، وكان ربيبها عندها ، وكان عندها خليل لها ، يحضر
أصحابه معه عندها . فقالت لهم : إن ربي فاضحنا . فمالوا عليه وهم سبعة
٥ فقتلوه و ألقوه في بئر عمدان . فمر على البئر رجل بعد أيام ، فإذا هو
بذباب أخضر يطلع من البئر و يهبط ، فأتى الأمير يعلى عامل أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب عن صنعاء ، فأخبره بذلك ، فخرج يعلى بالناس حتى
وقفوا على البئر ، فشموا رائحة منقنة . فقال الرجل صديق المرأة :
دلوني ، فدلوه ، فأخذ تلام و غيبه في سرب في البئر ، فطلع و قال :
١٠ لم أقدر على شيء ، و لا رأيت شيئا . فقال القوم : الريح الآن أشد
منها حين جئنا . فقال رجل : أنزلوني البئر . فلما أرادوا أن ينزلوه ،
أخذ صديق المرأة الرعدة ، فاستوثقوا منه و دلوا صاحبهم ، فاستخرجه
و رفعه إليهم ، فقرر صديق المرأة ، فاعترف و اعترفوا كلهم ، فكتب
فيهم يعلى إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن يقتلهم ، فلو تمالأ عليه أهل
١٥ صنعاء لقتلتهم به ، فقتلهم يعلى .

قال العلماء : تقتل الجماعة بالواحد إذا تعدوا الجناية عليه . قال
الله تعالى : " و لكم في القصص حياة " - الآية . و لو لم تقتل الجماعة

(١) في الأصل : عليهم .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٧٩ .

'بالواحد لزال' معنى الردع ، وكان في ذلك تضييع الدماء . و السكران
 إن قُتل قُتل ، هذا إذا سكر من محرم ، لأن القلم غير مرفوع عنه
 بسكره . والذي يسكر من اللبن لا يلزمه شيء ، وكذلك الذي يسكر
 من شرب دواء . و القتل بغير حق حرام ، و هو من الكبائر العظام ،
 فيقتل المسلم بالمسلم ، و الذمي بالذمي ، و الحر بالحر ، و العبد بالعبد ، و لا يجب
 القود على المسلم بقتل الكافر ، و لا على الحر بقتل العبد ، و لا على
 الوالد بقتل الولد . فان قتل ذمي ذمياً ثم أسلم القاتل ، لم يسقط عنه
 القود ، فان أمر الأمير رجلاً بقتل رجل بغير حق ، فحكم القتل يتعلق
 بالأمير دون المأمور ، لأن طاعته واجبة عليه - انتهى .

قال السنزالي بن سبرة : أنا لمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٠
 / بمنى ، و إذا بامرأة ضخمة و هي تبكى . فقال لها عمر : ما يبكيك ؟ إن
 المرأة ربما استكرهت فقالت : إني امرأة ثقيلة النوم ، و كان الله عز و جل
 يرزقني من الليل ما شاء أن يرزقني ، فصليت و ردى و نمت ، فوالله
 ما استيقظت إلا و رجل قد ركبنى و مضى ، و ما أدري أى خلق الله
 هو ! فقال : عمر : لو قتلت هذه خفت على ما بين الأخشيين النار ! ١٥
 ثم كتب إلى ولاته [أن] لا يقتلوا أحداً إلا بأذنه . و لما لك رحمه الله
 سقوط الغسل عن المكروهة و النائمة . و أخذ منه ابن القصار سقوط
 قضاء الصوم كمنذهب الشافعي رحمه الله . و إذا جامع الرجل زوجته

(١-١) في الأصل : فالواحد ازال .

مكرهة ، ففسد حجها ، وجب عليه أن يحجها من ماله و أن يهدى عنها من ماله ، وسواء بقيت في عصمته أو طلقها فتزوجت غيره أو لم تتزوج ، وكذلك لو أكره أجنبية ، لأنه من باب الغرامة ، ولا شك إن طوعته فان ذلك في مالها خاصة ، وقال أبو حنيفة : إن أكرهها حجت من مالها ، ولا ترجع به عليه . هذا حكم الملى ، وأما العديم فروى عيسى عن ابن القاسم : ليس عليها هي حج ولا صيام وإن كانت ملية ، وذكر ابن المواز عن ابن القاسم أنها تحج وتهدى وترجع به عليه . قال بعضهم بالأصل من ثمن الهدى أو من قيمته - هذا حكم الحرية ، وأما الأمة بطؤها سيدها ، فان كانت مكرهة فحكمه بين ما تقدم ، وإن كانت طائفة فهل يكون إكراهها في الحكم أو طوعاً حقيقة ، فيه قولان ، فاذا قيل : إنه ليس باكراه ، فإن عليها القضاء إذا عتقت ، وإذا قيل : إنه إكراه ، أو أكرهها ابتداء ، لزمه إحجاجها ، وهل يجوز له أن يبيعها قبل أن يحجها - فيه قولان ، وإذا قلنا : يجوز بيعها ، فلا بد من بيان ذلك وإلا فهو عيب ، للشترى ردها ، وفي السلمانية : إذا لم يحجها فليبيعها ممن يحجها ، واعلم أن وجوب الصداق للمكرهة على الزنى أقوى منه لغير العالمة به لظنها أنه زوجها ، ولم يكن زوجها ، لأنها وإن اشتركا^٢ في العقد المسقط للحد ، إلا أن^٣ غير العالمة سلطت على نفسها جهلاً ، وقد علمت حكم المساط على ماله مسع احتمال / أنها لو علمت

١/ الف

(١) زيد في الأصح : «أبي» ، ولم تكن الزيادة فيما سيأتي فحذفناها .

(٢) في الأصل : اشتركت .

(٣) في الأصل : عن .

لقدرت على المدافعة ، بخلاف المكرهه في ذلك ، و إذا علمت المرأة أن
 زوجها طلقها ثلاثا و لا بينة لها ، إنه لا يسعها المقام معه ، فهي كمن
 طلقت ثلاثا و لا بينة لها ، فلا تهين له و لا يرى لها شعرا و لا وجهها ،
 و إن قدرت و لا يأتيها إلا مكرهه منها فرافعته للحاكم و لا يمين عليه
 إلا بشاهد إذ لا تنفعها كراهيتها فيما بينها و بين الله تعالى ، و إنما ينفعها
 أن تكون مكرهه على ذلك . قال ابن المواز : و لتفقد منه بما قدرت
 عليه [من - ١] ضربه أو قتله ، إذا أراد وطأها فلتفعل ذلك من ضرب
 و قتل ، كأنه كالعادي في المحارب . و قال ابن سحنون : لا تقتله و لا تقتل
 نفسها ، و أنكرو قياس ابن المواز هذه المسألة على مسألة الحرابة ، فإن
 شرط القياس أن يثبت في الفرع مثل حكم الأصل ، و هذه المسألة
 غير حاصله ها هنا لأن الحكم في الحرابة التخير بين ممانعة المحارب أو تسليم
 المال له ، و الحكم ها هنا يحتم الممانعة . و أما القتل في مسألة الزوجة فلا سبيل
 إليه ، لأنه قبل الوطء لم يستحق ما يوجب القتل ، و بعد الوطء
 فالواجب الحد ، و ذلك إلى الأئمة لا إلى المرأة ، و أجيب باختيار القسم
 الأول ، و هي أن لها أن تقتله قبل الوطء لأجل المدافعة إذ لا يمكنها
 مدافعة عن نفسها إلا بذلك ، كما لو أراد قطع عضو من أعضائها
 و لم يمكنها مدافعته إلا على هذا الوجه . و أجيب عن اعتراضه على أصل
 القياس أولا بأن مراد ابن المواز هنا الاستدلال الذي هو محاولة الدليل
 من القواعد الشرعية ، لا حقيقة القياس بخصوصية ، و ذلك أن حرمة
 (١) ساقطة من الأصل .

الفروج في نظر الشرع أكد و أقوى من حرمة المال ، فإذا جازت المدافعة عن المال بالقتل فلائذ يجوز عن الفروج أولى - انتهى .

في العينة : سئل مالك فقيل : إني تزوجت امرأة فأذنت لي بالدخول عليها و السكنى و المبيت معها قبل أن أعطي صداقها و أنفق عليها ،

٢٢٦ ب ٥ فان اضطجع معها إلى جنبها في اللحاف تمنعني نفسها / حتى أعطيها

صداقها و ليس عندي ؟ فقال له : ذلك ! أرضها من مهرها ، استعن

عليها ببعض جاراتها ، فأما النفقة عليها فذلك لها عليك . و ظاهر هذا

أن المرأة تمنع نفسها حتى تقبض ما اتفقا عليه من صداقها المعجل ،

و لأنها لو رضيت بالدخول من غير قبض الصداق و لا قبض شيء منه

١٠ فجاز كالبيع ، و الشكاح مبنى على المكارمة ، و لا يجوز فيه الهبة ، و البيع

مبنى على المكايسة و المشاحة و يجوز فيه الهبة ، و الجمع بينهما متناقض ،

و في العينة عن ابن القاسم و سئل عن الرجل ينكح المرأة فيهدى لها :

هل ترى أنه يدخل بها بتلك الهدية حتى يقدم عليها من صداقها ربع

دينار ، لأن الهدية ليست من الصداق ، قيل : فهل يدخل بها إذا رهنها

١٥ بصداقها رهنا ؟ قال : نعم ، يدخل بالرهن - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في حق الزوجة على زوجها و حقه أيضا

عليها - اعلم أن الواجب للزوجة على الزوج النفقة ، إذا سلمت إليه

و هي من أهل الاستمتاع ، و نقلها حيث يريد ، و جب عليه نفقتها ،

فيجب على المومر بمال أو كسب مداناً من قوت البلد ، و على المتوسط

(١) زيد في الأصل : « و » .

مد و نصف، و على المعسر مد، و يجب لها [من - ١] الإدام ما تحتاج إليه من أدم البلد من الزيت و الشيرج و اللحم و أجرة الحمام، و لا يلزمه في مرضها الأدوية و أجرة الطبيب، لأن المرأة كالدار المستأجرة، إذا تهدم منها شيء لزم المالك بناؤه. و يلزم الزوج الكسوة إذا كان موسراً من مرتفع ما يلبس في البلد من القطن و الكتان و الخز و الإبريسم، و لامرأة المعسر من غليظ القطن و الكتان، و لامرأة المتوسط ما بينها، و أقل ما يجب لها قميص و سراويل و مقنعة و مداس للرجل، و في الشتاء / جبة، و يجب لها ملحفة و كساء و وسادة و مضربة محشوة للنوم، و زلية أو لبد أو حصير بالنهار، و يجب لها السكن على حسب حاله كالنفقة. فان كانت المرأة من لا تخدم نفسها، و يجب لها ١٠ جارية واحدة، و نفقة الجارية في حق الموسر مد و نصف، و في حق غيره مد، و لا يجب للجارية سراويل و لا مشط و لا دهن، فان كانت الجارية من تخرج إلى الحاجات و يجب لها خف أو سقمان. و يجب للزوج أن يدفع للزوجة نفقتها في كل يوم إذا طلع الشمس، و الكسوة في كل ستة أشهر، فان أعسر الزوج بنفقة المعسر، ثبت لها فسخ ١٥ النكاح. و لا تمتنع المرأة من تمكين زوجها من نفسها فيما يلزمها بذله، لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه [فأبت - ٢] فباتت وهو عليها ساخط لعنها الله و لعنتها الملائكة حتى

(١) ساقطة من الأصل. (٢) زيد من صحيح البخارى.

تصبح ، وله السفر بها ، و لا تخرج من منزله بغير إذنه و لو إلى المسجد ،
 لما روى أن امرأة قالت : يا رسول الله ! ما حق الرجل على زوجته ؟
 فقال : حقه عليها أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فان فعلت لعنها الله
 و ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب حتى تتوب أو ترجع ، قالت :
 ه يا رسول الله ! وإن كان ظلما لها ؟ قال : وإن كان ظلما لها ،
 و لا يجب على المرأة خدمة زوجها في طبخ و لا غسل و لا غيره . و لا
 يجمع بين امرأتين في موضع واحد إلا برضاها ، و يقسم بينهما لكل
 واحدة منهما ليلة ليلة مع يومها . و قال بعض العلماء : إذا مرضت الزوجة
 فقل أكلها أو خرجت قليلة الأكل ، فطلبت قوتا كاملا ، هل يقضى
 ١٠ لها به أو لا يقضى لها إلا بقدر كفايتها ؟ و أما إذا خرجت أكولا ،
 فقال : يفرض لها ما يكفيها ، و هي مصيبة نزلت بالزوج - انتهى .

[خبر البنت الإسرائيلية و حكايات أخرى - ١]

فلنذكر الآن / خبر البنت الإسرائيلية التي طلبت من أبيها أن
 يزوجه لرجل في حياته ، إذ كانت أمها قد ماتت - ذكروا أنه كان
 ١٥ في بني إسرائيل رجل كثير المال ، فلم يكن له ولد سوى ابنة ، فلما كبر
 قال : أي بنية ! اقترحي على حاجة حتى أؤضيها لك . قالت : يا أبت !
 أعظم حاجتي عندي أن تزوجني من رجل صالح ليسكون لي سترا .
 فاغتاظ والدها من قولها و حلف : إن زوجتك إلا من استقبلني غدا

(١) هذا عنوان شامل لبعض القصص فيما يلي و ليس بالهامش .

عند خروجي من داري . فلما أصبح استقبله ملك من الملائكة في صورة
ذئب قعد على عتبة داره . و كان في ذلك الزمان السباع و الوحوش
و الهوام و نحوها يكلمون الناس . قال النبي صلى الله عليه و سلم : حدثوا
عن بني إسرائيل و لا حرج فقد كان فيهم العجائب . فلما خرج الرجل
من داره رأى ذلك الذئب قائما بين يديه ^١ . فقال له الذئب : إنك قد
عهدت عهدا بأنك تزوج ابنتك من أول من يستقبلك ، فأنا ذلك .
فقال : اصبر حتى أصلي في المسجد و أشاور الجماعة في ذلك . فذهب
الذئب إلى باب المسجد حتى فرغوا من الصلاة . فقال الرجل للجماعة :
جرى لي البارحة كذا و كذا - و أخبرهم بالقصة - فما ذا تشيرون علي ؟
فقال واحد من الجماعة : هل يزوج عاقل ^٢ ابنته من ذئب ؟ فنخذ العصا ^{١٠}
و اضرب رأس الذئب . و تكلم كل واحد بما قال ، فقال كبيرهم و كان
رجلا صالحا : أيها الرجل ! أوف بما عاهدت الله عليه . فامثل الرجل
قوله خوفا من نقض العهد ، فأخرج الرجل ابنته و سلمها للذئب . فقال
له الذئب : إن اشتقت إلى رؤية ابنتك فتجيء في البرية الفلانية فنحن
هناك . و مضى الذئب بها ، فبعد أيام اشتاق الرجل إلى ابنته فقال : ^{١٥}
قد ريت بنتا كذا و كذا سنة و قد سلمتها للذئب ، فأقوم أزورها و أبصر
حالتها ، فقام و قصد تلك البرية التي دله الذئب عليها ، فلما بلغ ذلك

(١) في الأصل : ايديه .

(٢) في الأصل : عاقلا .

الموضع رأى شابا جميلا مليح الصورة فسلم عليه ، فقال : و عليك السلام يا صهرى ! فقال : أتسخر منى و أنا قد زوجت ابنتى من ذئب و أنت شاب حسن ؟ فكيف تكون صهرى ! فقال : أنا ذلك الذئب ، و أنا ملك بعشى الله عز و جل إليك لأنظر إليك هل توفى بعهد الله عز و جل أم لا ! فحين أوفيت بالعهد فان الله عز و جل قد غفر ذنوبك ، و جعلك من أوليائه ، فان الله لا يضيع أجر المحسنين ، و هذه ابنتك نخذها و زوجها من رجل صالح ، و لا تغضب عليها فى قولها لك ذلك ، فانها اختارت لنفسها العصمة به و هى من الصالحات . فأخذ الرجل ابنته و مضى بها إلى وطنه ، و اختار لها رجلا صالحا زوجها منه .

١٠ و كان عمران بن حطان رجلا ذميا^١ قبيح المنظر ، و كانت زوجته فائقة الجمال ، فدخرا عليها يوما ، فجعل يطيل النظر إليها ، فقالت ما بالك تطيل النظر إلى ؟ فقال : لقد أصبحت و الله جميلة ! فقالت : أبشر فانى و إياك فى الجنة . قال لها : و من أين علمت ذلك ؟^٢ قالت : لأنك^٢ أعطيت مثلى فشكرت ، و أعطيت مثلك فصبرت ، و الصابر ١٥ و الشاكر فى الجنة .

قال الأصمى : دخلت حيا من أحياء العرب ، فاذا أنا بجارية قد أعجبنى حسننها و جمالها ، فقلت فى نفسى : و من تكون هذه له ؟ و إذا

(١) فى الأصل : ذميا .

(٢-٢) فى الأصل : قال لك .

برجل أقبح الناس منظرا قد أتى إليها وأمر عليها ونهى بنفس عال
ثم ولى . فقلت لها : ما هذا يكون منك ؟ قالت : هو بعلى . فقلت : أرضيت
لهذا الوجه المليح بهذا الوجه القبيح ؟ فقالت : بنسأ قلت يا هذا ! و قد
يكون أحسن ما بينه و بين مولاه / فكنت ثوابه ، ولعلى أنا أسأت
فيما بينى و بين الله مولاي فيكون هو عقوبتى فى الدنيا ، فالحمد لله على
ما حكم و قسم .

و قال الأصمى : دخلت البادية فاذا أنا بامرأة عليها قميص
أحمر و هى محتضبة و يدها سبحة ، فقلت لها : ما أبعد هذا من هذا !
فقالت :

١٠ و لله منى جانب لا أضيعه و لله منى و البطالة جانب
فقلت : إنها امرأة سالحة ، و إن لها زوجا تزين له .
قيل : كانت امرأة ماشطة متزوجة لمرأواى . فقالت النسوة لها :
أنت تزين النساء و زوجك يزين الرجال . فقالت : الحمد لله الذى لم أكن
غاسلة و لا زوجى غاسلا للوتى ، بل جعلنا الله تعالى للزين فى الفرح ،
لا للحزن و الترح .

١٥

قال أبو عمرو العدوى : أتيت بادية لبنى تميم فى بعض الأيام من
آخر النهار ، فقصدت بيتا رحبا فاذا بفنائه امرأة جالسة ما رأيت قبلها
(١) مراوات - وردت فى دوزى (ج ٢ ص ٥٨٥) بمعنى قطع الصفيح و المعدن
التي تستعمل فى عمل سروج الخيل . فيكون المراواتى إذن السروجى .

و لا بعدها أحسن صورة منها ، و بين يديها صبي يلعب ، فعلت أنه ابنها .
 فسلمت فردت و حيّيت . و قلت : ضيف . فقالت : انزل ، و أمرت جارية
 لها فجاءتني بقري ، فجلست آكل إذ أقبل إلينا رجل بسوق أباعر ،
 فنظرت إليه غير متعمد ، فاذا هو من أقبح الناس منظرا من رجل دميم^١
 الخلاق شديد الأدمة أعور العين اليمى ، قد درس آثار الجدرى معالم
 و وجهه حتى كأنما أحرق بالنار . فقلت : إنه أجبر لها في رعاية الإبل .
 فلما انتهى إلينا هس له الصبي و أسرع نحوه فاحتمله و ضمه إلى صدره و جعل
 يقبله ، فعلت أنه أبوه ، فضمه^٢ ذلك في نفسى حتى أمسكت عن الطعام
 و صرفت وجهى إليه أتأمله و إياها . و أعجب من جمالها و من قبحه ،
 ١٠ و أقول في نفسى : ليت شعرى كيف اجتمع هذان ! و كيف طابت نفس
 أيها و أهلها يدفعونها إلى مثله ! قال : فنظن لى فقال : ما شأن ضيفنا
 قد شغله النظر إلينا عن الطعام ؟ ثم أقبل على فقال : كأنى بك و أنت تتول
 فى نفسك : كيف اجتمع هذان ! و تعجب من جمالها و من قبحى . قال :
 فاستحييت عند ذلك منه و تبسمت و قلت : و الله ما أخطأت فى ظنك !
 فقال : إنك إذا فرغت / من شأنك أخبرتك بأمرى و أمرها . قال :
 فأقبلت على الطعام حتى نلت منه حاجتى ، و أقبل هو على إصلاح مواشيه
 و عبده حتى إذا فرغ فقال : اسمع يا أخا العرب ! أخبرك بالعجب ، إني
 كنت سابع سبعة إخوة لأبى ، و كان أبى يحبهم و يبغضنى ، و يصلهم
 و يقطعنى ، و يكرمهم و يهينى . و يصرونهم و يمتهنى . فلما كان ذات ليلة
 (١) فى الأصل : دميم . (٢) كذا فى الأصل ، و لعله تصحيف « نعظم » .

شردت لأبي أباعر، فذهبت في ظلمة الليل، فلما أصبح قال لي: انطلق في طلبها. وكانت غداة شديدة البرد. فقلت: يا أبت! ما تصفني؟ قال: وما ذاك؟ فقلت: إذا حضرك الطعام الطيب واللبن الخالص والخير الكثير فهو لك ولبنيك، وإذا كان طلب الضوال^١ وما يثقل من الأعمال خصصتني به. ألا تبعث غيري في آثار هذه الأباعر؟ فقال: إنه لآخر أيامك من ضرب شديد! انطلق فعن الله بك وفعال! قال: فانطلقت فرعا مرعوبا، وأنا من أسوأ الناس حالا فسعيت يومى كله، واشتد بي الجوع والبرد، فأشرفت من آخر النهار على حى عظيم، فقصدته فلما انتهيت إليه تيممت أعظم بيت، وأملت أن يكون أخصب البيوت قرى وأوسعها خيرا، فاذا بفنائها امرأة ضخمة جالسة، وإذا هذه المرأة التي تراها جالسة معها [جارية - ٢]، فعلمت أنها ابنتها، فسلمت فردت السلام، فاشتكيت لها حالى، فأمرت ابنتها هذه فأنتنى بطعام ونار أتدفا بها، وجعلت هذه تهزأ منى فتقول: ما أجملك! ما أحسن وجهك! ما أتم قامتك! وأنا أقول لها: إليك عنى! فانى عما أنت فيه بمعزل. وإذا قد أقبل شيخ دونها وسألى عن حالى، وأوصى بنى خيرا، ودخل هو وبنوه. فلما كان عند ١٥ آخر الأمر قالت هذه - وأشار بأصبعه إليها: إذا نام الناس أن تأتيني. قال: فظننت أن ذلك منها حق، فلما شبعت من القرى ودفت من الاصطلام سولت لى نفسى أن آتيتها، وقد رأيت موضعها من البيت، فانتظرت

(١) جمع ضالة أى الإبل الشاردة.

(٢) زيادة يقتضيه السياق.

حتى استثقل أبوها وأمها وإخوتها نوماً، ثم أتيتها فحسستها بيدي: فاستيقظت مذعورة وقالت / : من هذا؟ قلت: الضيف. قالت: ابعده، زادك الله قبحا. وزجرتني، كل ذلك منها بكلام خفي، فخرجت من البيت فزعا مرعوباً وثارني كلب لهم ينبخني، فزاد ذلك في روعتي، وخفت أباهما ٥ وإخوتها أن يحسوا بي وجعلت أمشي القهقهري وأتقي الكلب حتى صرت في ظهر البيت، وإذا هناك بئر واسعة عميقة لا ماء فيها ولا أشعر بها حتى سقطت، فصرت في قعرها، وسقط الكلب في إزري، فسمعت هي الوجبة فعرفت القصة، وليس منهم بمستيقظ غيرها، فجاءت حتى وقفت على البئر فقالت: أنت هاهنا! قبحك الله! فقلت: نعم والكلب معي فأنقذيني. ١٠ فانطلقت فجاءت بحبل فأدلته إلى وقالت: تعلق به واصعد. فتعلقت به، فلما استقللت وثقلت عليها انهال ما تحت رجليها من التراب فسقطت في البئر، فصرنا فيها ثلاثة، كل واحد منا مبعوض لقرب صاحبه، فأحس أهلها بذلك فتنبهوا ونهضوا وأخذوا الأثر حتى انتهوا إلى البئر فاستخرجونا، فقال الشيخ لبنيه: قد ترون ما أرى فما عندكم؟ قالوا: أنقتلها جميعاً؟ فقال: ١٥ كلا! والله ما ابنتي عندي بمتهمة! قالوا: فنقتله دونها ونخفي أثره. قال: إن ذلك لا يخفى، وإن فعلناه ليظهرن أمره، ولتحدثن بنا العرب. ثم أقبل على فقال: هل فيك من خير؟ فقلت: نعم والله! قال: قد زوجتكها على مائة بعير. فقلت: قد قبلت. فأعادوني إلى البيت حتى أصبحت، زودوني وانطلقت حتى أتيت أبي، فلما رأني لم آت به إلا بأعراض الضالة أقبل على يشتمني فقلت: ٢٠ مهلاً! فاني محدثك بحديث. وأخبرته الخبر كله، فأكثر التعجب وقال:

(١) في الأصل: نقتلها.

فان الله عز وجل قد أدى عنك ، دونك و الإبل ! فسق صداق أهلك
 و انقلها إليك . قال : فسقت الصداق و نقلتها و ما هي عندي ، و هي
 الآن راضية بي بعد أن كانت كارهة لي . فهذا ما كان من شأني و شأنها .
 قال أبو عمرو العدوي : فلما شرح لي قصته معها ، تعجبت من أمره
 و أمرها ، و تذكرت قول الشاعر حيث يقول في مثلها :

٥

٢٣٠ / الف

هويت من العرب الحسان خلوب / لها أسهم للعاشقين تصيب
 إذا أسفرت تسي العقول بحسنها / و من نورها كل البدر تغيب
 عروس لها وجه حكي^١ البدر في الضيا / و طلعة حسن أبرزته غريب
 حوت بهجة حسناء يحكي شعاعها / كواكب در واقعات لهيب
 بخرتها البيضاء أنارت فأشرقت / بضوء جبين مزهر و عجيب
 بشعر حكي الليل البهيم سواده / و فرق أراد الفجر منه هروب
 لها أعين دُعبج مراض نواعس / هن فتور للقلوب يذيب^٢
 حدود لها كالورد عند اقتطافه / على الوجنات الزاهرات ضروب
 و في ثغرها الحاوي لآلى تناثرت / و راح و شهد^٣ بالرضاب شنيب
 لها عنق من جوهر صيغ فتنه / و صدر به الرمان و هو خصيب
 و قد أبرزت منها كفوفا نواعما / على المعصمين الرايين ركوب
 و بطن حوى أعكان^٤ فيه وسرة / كشمع من اللبس للطف يدوب

(١) في الأصل : كما ، و التصحيح من نفس الأبيات التي ترد ضمن قصة مجنون ليلى .

(٢) في الأصل : تذيب .

(٣-٣) في الأصل : و راحا و شهدا .

(٤) في الأصل : حكي ، و التصحيح مما سيأتي من نفس الأبيات .

(٥) في الأصل : أعكانا ، و حذف ألف التنوين بحكم وزن الشعر .

و خصر نحيل زانها فيه رقة بلين وشاح قد علاه كئيب
 و ساقان كالقضبان أضخوا فواتنا فكم أنفس أسرى لها و قلوب
 بقدر شبيه بالغصون كأنه قضيب من الخبزور و هو رطيب
 إذا خطرت تهتز عجباً و عزة يظل بها قلب المحب كئيب
 ٥ تهتك عشاقا لها بجمالها و من حسن رؤياها النفوس تطيب
 هي السؤال و هي القصد يحيي بوصلها و من مثل الليلى للسقام طيب
 ترى هدفتي يا صاح أحظى بقربها و تجمع شمل بالوصال قريب
 على رغم حسادي و عدالي الوشاة و في غفلة من حاسد و رقيب

كان بالمدينة عبد أسود يقال له : مغيث ، تزوج بجارية تسمى بريرة ،
 ١٠ فاشترتها عائشة رضي الله عنها و أعتقتها ، فغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في أن تقيم معه أو تفارقه ، فاخترت فراقه . قال ابن عباس : ذاتي أنظر
 إليه خلفها يطوف و يبكي و دموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم : لو راجعته ! قالت : يا رسول الله ! تأمرني . قال : إنما أنا
 أشفع . قالت : فلا حاجة لي فيه . وقالت عائشة أيضا : إن بريرة عتقت ،
 ١٥ و هي عند مغيث عبد لآل أبي أحمد . فغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 و قال : إن قربك فلا خيار لك . فلما سمعت هذا الكلام من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم علمت بالحكم ، و هي عالمة / مع ذلك بالعتق ، فان
 مكنت الممتقة نفسها من زوجها العبد مع حصول القيدین معا فلا خيار لها ،

ب / ٢٢

(١-١) في الأصل : إلى المسقام . و التصحيح مما سيأتي .

(٢) الهدفة - بكسر الهاء : الجماعة من الناس و البيوت يقيمون و يظعنون .

(٣) في الأصل : راجعته .

فان ادعى الزوج أنه وطئها بعد عتقها وأنكرت هي ، فالقول قولها ، إلا أن يكون خلا بها فالقول قوله ، وإن أنكرت الخلوه فالقول قولها مع يمينها ، وإن تقاررا على الوطء ، وادعت الإكراه فالقول قوله مع يمينه . وإذا أعتقت الأمة تحت العبد واختارت نفسها وتزوجت ، وقدم زوجها العبد إن كان غائبا وقدم سيده أو قدما معا وثبت بالبينة أنه كان قد عتق قبل أن تختار هي ، فالحكم هنا كالحكم في مسألة المفقود ، ثم ينظر في قدوم الزوج و ثبوت عتقه ، فاما أن يكون بعد العتق وقبل الدخول أو بعدهما ، والله أعلم - انتهى .

فلنذكر ما قيل في العشق - قال حكيم لتليذ له عشق جارية : هل

تشك في أنه لا بد من فراقها يوما ما ؟ فقال : نعم . قال : فاجعل تلك المرأة المنخرعة في ذلك اليوم في يومك هذا ، واربح ما بينهما . وقيل : العشق مجاوزة الحد في المحبة . قيل لبعض الحكماء : ما العشق ؟ فقال : جنون لا يؤثر صاحبه عليه . وسئل آخر عنه فقال : مرض نفس فارغة لا همة لها . وقال آخر : هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة - انتهى .

وقيل : كان لمك بن متوشلح بن إدريس عليه السلام ذا^١ بطش^{١٥} وقوة ، وكان يقتلع الشجرة العظيمة من أصلها بيده ، وكان يكتم إيمانه عن قومه ، فخرج ذات يوم إلى البرية ، فاذا هو بامرأة في نهاية الحسن والجمال ، وبين يديها غنم ترعاها . قال : فعجب منها وسألها عن اسمها ونسبها ، فقالت : أنا فينوش^٢ ابنة أكيد بن عرييل بن لامك بن قابيل بن

(١) في الأصل : ذو .

(٢) وقد يكون هذا الاسم (Venus) المشهورة بجمالها في الأدب اللاتيني .

آدم عليه السلام ، فقال : ألك زوج ؟ فقالت : لا . فقال لها : فكم لك من العمر ؟ / فقالت : مائة وثمانون سنة . فقال لها : لو كنت بالغة تزوجت بك ! وكان البلوغ فيهم في ذلك الزمان إلى استيفاء مائتي سنة . فقالت له : و من أنت ؟ فلم يقل لها : إني من أولاد شيث بن آدم ، للعدواة التي بين أولاد شيث و أولاد قابيل بن آدم ، ولكن قال : أنا من أولاد من لا يحل لهم الحرام . فقالت له : اعتقدت أنك تريد أن تفضحني ، أما إذا أردت أن تتزوج بي ، فإني بلغت ، وإني على مائتي سنة و عشر سنين . فاخطبني من أبي . فمضى و خطبها منه ، و أرغبه^٢ في المال ، و تزوج بها فولدت له نوح عليه السلام . فلما كان وقت ولادتها ، وضعته في غار خوفا على نفسها و على ولدها من ملك كان في ذلك الزمان يقتل الغلمان . فلما وضعته و أرادت أن تنصرف ، نادى : و انوحاه ! فكلما نوح و قال : لا تخافي علي يا أمه ! فان الذي خلقني يحفظني . فانصرفت أمه إلى منزلها . و أقام نوح عليه السلام في ذلك المكان أربعين^٣ يوما ، ثم مات أبوه ، فاحتملته الملائكة حتى وضعته بين يدي أمه مزيئا مكحلا ، ففرحت به و أخذت في تربيته بعد أن سمته نوحا . و اتفق عن أمره ما هو مشروح - انتهى .

[خبر السفاح و أم سلمة زوجته -^٤]

فلنذكر الآن خبر السفاح^٥ حين تزوج بأم سلمة إن شاء الله تعالى -

(١) في الأصل : ثمانين . (٢) في الأصل : اربعة .

(٣) في الأصل : اربعون . (٤) العنوان مشتق من النص ، و ليس باطامش .

(٥) خلافته ١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م .

و ذلك أن أبا العباس السفاح تزوج بأم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله . و كانت قبله عند [عبد العزيز بن - ١] الوليد بن عبد الملك ، و كان لها مال عظيم و جواد و حشم . و لما دخل عليها أول ليلة و جدها قد كلت كل عضو من أعضائها بالجواهر ، و كان زواجه إياها قبل أن يلي الخلافة ، فخطبت عنده ، و حلف لها أن لا يتزوج عليها ٥ و لا يتسرى ، فغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمرا / إلا بمشورتها . فجلس عنده يوما خالد بن صفوان بعد أن ولي السفاح / الخلافة ، و كان خاليا ، و كان خالد من أهل الفصاحة و البلاغة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! إني فكرت في أمرك و سعة ملكك ، و أنك قد ملكت نفسك امرأة واحدة و اقتصرت عليها ، فإن مرضت مرضت ، و حرمت ١٠ نفسك التلذذ باستطراف الجوارى و معرفة اختلاف حالاتهن ، و التمتع بما تشتهي منهن ، إذ منهن الطويلة الغداء ، و الفضة البيضاء ، و العتيقة الأدماء ، و الدقيقة السمراء ، و البربرية العجزاء ، من مولدات المدينة ، تفتن بمجاورتها ، و تلتذ بلحوتتها . و أين أمير المؤمنين من بنات الأحرار ، و النظر إلى ما عندهن من التحفز و التعطر و حسن الخدمة ، ١٥

(١) زيد من الدر المنثور في ربات الخدور ص ٥٨ ، و انظر حاشية سابقة للخلافة الوليد و راجع الفهارس .

(٢) من الدر المنثور ، و في الأصل : النفع .

(٣) من الدر المنثور ، و في الأصل : البضعة .

(٤) في الأصل : تفتن .

و طيب النعمة . و جعل خالد يطيب الوصف بفصاحته ، و عذوبة منطقته .
فوقع كلامه من أبي العباس السفاح موقعا عظيما ، فلما فرغ خالد من كلامه
استعاده أبو العباس فحسن موقعه منه . و تلهذ بما سمعه من وصفه .
ثم قال لخالد : انصرف . و بقي أبو العباس مفكرا بما سمع ، فدخلت
ه زوجته أم سلمة ، فأنكرت ما رأت من فكره . و قلة بشره . و قد كان
و في لها بما شرط لها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ! هل حدث أمر
تكرهه ، أو أتاك خبر ارتعت له ؟ قال : لا ، و الحمد لله . فلم تزل به
حتى أخبرها بمقالة خالد . فقالت له : فما قلت لابن الزانية ؟ قال :
سبحان الله . أ ينصحنى و أزجره ! فأرسلت أم سلمة مواليتها من النخارية
١٠ إلى خالد و قالت لهم : اضربوه بالقارعة حتى يموت . قال خالد : و خرجت
مسرورا بما رأيت من أمير المؤمنين و إعجابه بما سمع من وصفى له .
و لم أشك في الجائزه . فبينما أنا ماش في بعض الطريق ، إذا بالعبيد يسألون
عنى ، فحقت اتصاله ، فقلت : ها أنذا ! / فأهوى إلى أحدهم بهراوة ،
فأيقنت بالشر ، فحثت برذونى ، و ضرب أحدهم كفله ، و تعادى الباكون
١٥ خلفى . ففتتهم^٢ ركضا . و ما كدت أبحو ، فأتيت منزلى ، فاخفيت فيه ،
فلم أشعر بعد أيام إلا و قوم قد هجموا على و قالوا : أجب أمير المؤمنين !
فركبت إلى أمير المؤمنين و أنا يائس من الحياة ، فدخلت عليه فى بيت
فيه ستور مرخاة فى ناحية من البيت . فقال لى : يا خالد ! أين كنت ؟
قلت : متضعف . قال : إنك و صفت لى من أمر النساء صفة آخر

٢٢ / الف

(١) فى الأصل : فحثت . (٢) من الفوات أى سبقتهم .

مرة رأيتك فأعدها لي . وسمعت حركة من خلف الستر ، فعلمت أنه أمر مصنوع . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! حدثتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر . قال : لم يكن هذا حديثك . قلت : وحدثتك أن الثلاث نسوة للرجل كالأثافي ، القدر تغلي عليها ، وأخبرتكم أن الأربعة نسوة شر مجموع لمن كن عنده ، يقهرنه و يهرمنه . قال : ما سمعت ه هذا منك . قلت : بلى ، بهذا حدثتك . قال : أفكذبني اقلت : أفقتلني؟ [قال : مر في حديثك ، قلت - ١] و أخبرتك أن أبكار النساء رجال إلا أنهم لا خصي لهم . قال : فسمعت ضحكا من خلف الستر . قلت : نعم ، و أخبرتك أن بني مخزوم ريحانة قريش ، و أن عندك ريحانة من الرياحين ، و أنت تطمح بعينيك إلى حرائر النساء . و غيرهن من الإماء ! ١٠ فسكت أبو العباس متعجبا ، و قيل من وراء الستر : صدقت يا عماء و بررت ! بهذا حدثته و لكنه غير حديثك و نطق على لسانك . قال : فانسلمت و خرجت ، فبعثت إلى أم سلمة بعشرة آلاف درهم و تحت ثياب و بردون . قال : فكان أبو العباس إذا رآني تبسم - انتهى .

[خبر لواء الملك بن سيف التيجان وزواجه بالدعجاء - ٢] ١٥

فلنذكر الآن خبر تزويج لواء الملك بن سيف التيجان بالدعجاء بنت الهيمان إن شاء الله تعالى - قيل : فبينما الملك سيف التيجان بن سبا

(١) زيد من سياق الدر المنثور .

(٢) العنوان مقتبس من النص ، و ليس بالهامش . و القصة مثل أحاديث ألف ليلة و ليلة .

ابن عبد شمس جالس في قصره، إذ دخلت عليه زوجته / قانصة الليوث
 أم لواء الملك، قالت له: أيها الملك! أنت قد أعطيت السعادة في ولدك
 لواء الملك، فانظر في تزويجه بجمارية حسنة من بنات الملوك ممن يكون
 لها جمال فائق، وحسن رائق، إذ أنت ملك الدنيا بخذايرها. قال
 لها: نعم، ننظر في ذلك إن شاء الله تعالى. وخرجت من عنده. فدعا
 بأرباب دولته، وأهل مشورته، وقال لهم: أريد أن أزوج ابني لواء
 الملك من جمارية لها جمال بارع. فلم يجبه أحد، فعز عليه ذلك حين
 لم يجبه أحد، فرد رأسه مغضبا عليهم نحو البحر، وإذا بشيء يلوح في
 البحر، يعلو تارة وينخفض تارة، فأمر مائكة أن يدخلوا البحر في
 ١٠ زروق لينظروا ما هو ذلك ويأتوا به إليه، فدخلوه فاذا هم بتابوت عليه
 قفل من ذهب، فمثل بين يديه، فأمر بفتحه، وإذا بنور قد سطع
 من جوف التابوت كاد يخطف الأبصار، وإذا به حجر ياقوت، فأخرج
 الحجر، وإذا بازائه حلة مقيمة منسوجة بالذهب. فلما فتح الحلة وجد
 في وسطها صورة جمارية ما رأى الراون أجمل منها، فافتن في جمال
 ١٥ تلك الصورة، وعلى رأسها 'سطران مكتوبان' بالذهب وهذه أمانة الله
 لا تلتقى إلا بيد الملك سيف التيجان بن سبا بن عبد شمس. فقال
 لوزرائه: فيكم من يعرف هذه الجمارية؟ فلم يجبه أحد. فقام إليه شيخ
 يقال له غدير فقال: أيها الملك! أنا أعرف الناس بهذه الجمارية وأبيها.
 قال له: ومن أبوها؟ قال له: أما الجمارية فاسمها فائضة الجمال بنت
 (١-١) في الأصل: سطران مكتوبين.

مصباح العلي صاحب جزائر الياقوت ، و إنه يملك جزيرة طولها مسيرة أشهر ، فلما سمع ذلك سيف التيجان و ابنه لواء الملك ، وقع في قلب لواء الملك من حبها حر ، لا تطفئه السبعة أبحر .

عند ذلك عطف سيف التيجان على ابنه / لواء الملك و قال له :
يا بني ! أقسمت قسما : لأسيرن في طلب هذه الجارية ولو أنها تصعد
مصعد الشمس ، أو تغيب مغيب الرمس ، لا بد أن آتيك بها . ثم أمر
بسفينة أن تعمر بأنواع السلاح و العدد و الرجال و القطائع ، و تعمر
القطائع أيضا فعمرت ، و اتخذ هدية عظيمة من الجواهر و الزمرد ،
و حشائش الهند ، و طرائف اليمن ، و ثياب صنعاء ، و حلل عدن ،
و قباطي مصر ، و الطنافس الغوالي ، و نوافج المسك ، و كروش العنبر ١٠
و الزعفران و الفلفل و الزنجبيل و الكافور و الصندل و الحصالبان الجاوي
و العود القهاري و السند^١ و الغوالي ، و ثلاثمائة جارية عليهن الحلل
و الحلل . و أدخل القطائع الرجال في أحسن زى و أكمل عدة ، و أمر
على القطائع حسام المنايا صهره ، و على السفن الزبرقان بن رومان
صهره أيضا ، و دخل هو في سفينة فيها لبود و صواري عالية و قلع ١٥
بيض ، و تودع من ابنه و أمه أم لواء الملك ، و سار في أكباد البحر ،
و القلاع قد دارت به مثل النجوم بالبدر ، فأقام سائرا عشرين يوما .
فلما كان في الليلة الحادية و العشرين ، أرسل الله عليهم^٢ ريحا عاصفا^٢

(١) في الأصل : السند . و السند نوع من الثياب اليمينية المخططة .

(٢-٢) في الأصل : ريح عاصف .

ففرقهم ولم تجتمع مركب مع مركب ، فلما أصبح الله بالصباح ، نظر سيف التيجان فلم ير للقطائع أثرا ، فعند ذلك عطف على مقدم سفينه ، وقال له : أين نحن من البحر؟ قال له : يا مولانا ! ليتنا لم ندخل البحر ولم نره ولم نركبه ! والله لا عشنا أبدا ! قال له : وكيف ذلك؟ قال : ألا تنظر إلى ذلك الجبل الذي أمامنا . قال له : نعم ، قال له : هذا جبل تخرج منه ريح سوداء ، فتدور السفينة كدوران الرحي ، وتغيب تحت الماء . ولا ينجو منها من يخبر الخبر ، وهذا هو جبل الغمام ، ما قرب منه / أحد و نظر بطرفه إلى السماء أبدا ، بل يموت تحت الماء . قال : فبينما هم يتكلمون و إذا بالريح قد هبت عليهم ١٠ من الجبل . فلما رآها سيف التيجان ، تقلبت منه العينان ، و خلع ما كان عليه من أثوابه ، و بقى في سراويله ، و إذا بالسفينة^٢ تدور بهم حتى تناثرت ألواحها على وجه الماء و غرق كل من فيها . و أما سيف التيجان فانه عام على وجه الماء ، و الأمواج تارة ترفعه و تارة تضعه ، حتى قرب من الجبل ، فتعلق به حتى استوى^٣ على سفحه ، فصار ١٥ الماء تارة يضربه إلى ركبتيه و تارة إلى محزومه . فنظر إلى جبل كأنما نشر^٤ بمنشار أو نقر بمنقار ، قد انقطع من الماء ، و تعلق بأعنان السماء ، فلم يجد له حيله و أيقن بالهلاك . فبينما هو كذلك إذ

(١) في الأصل : اثر .
(٢) في الأصل : السفينة .
(٣) زيد هنا في الأصل : عليه فتعلق به حتى استوى .
(٤) في الأصل : ينشر .

سمع دويًا نازلًا عليه من أعلى الجبل ، فتأمل وإذا بجارية قد سدلت شعرها المصفور ، وهو ثمانية وعشرون ذؤابة ، وإذا بها جنية فقالت له : اقتحمت بنفسك المهالك ياسيف التيجان ! هلا أقت بمكانك ، وأرسلت بأجنادك ! ألم تعلم أن الملك مثل الرأس في الجسد ، فإذا عدم الرأس هلك الجسد ، لكن أمسك بصفائري . فقال لها : ما اسمك ؟
 قالت له : اسمي الدعجاء بنت الهيمان بن شعثنان بن مرة بن إبليس الأكبر . فتعلق بصفائرها حتى صعدت به أعلى الجبل ، وأنزلته في وسط رحبة عظيمة ، في وسط الرحبة شجرة عادية . وعين من الماء جارية . وتركته حتى رجع إليه وهمه ، وزال عنه روعه . ثم عطفت عليه وقالت له :
 لو لا أني أحببتك لتركتك تموت في لجج البحار ! ثم إنها أتت به إلى مغارة عظيمة مقورة في الحجر الصلد ، وألقت يدها في يده ، وهبطت به في صالة^٢ عظيمة قد قامت على سوارى الرخام / ساعة ، وانفرج له الضياء عن قصر و دسكرة ما رأى الراؤن مثلها . قيل : الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت . وجمعها دساكر . أي قصور حولها بيوت .
 وذلك القصر فيه مجالس . أرضها زجاج و سماؤها مزخرف بالذهب ، وفي وسط القصر قبة عليها مطبق من النحاس ، فأنت به القبة وأدارت لولبا و رفعت المطبق . ونزلت به أدراج ، وأخرجته إلى مغارة خلف الجبل ، فنظر إلى جزيرة عظيمة لم ير الراؤن أجمل منها . نباتها العود

(١) في الأصل : نازل .

(٢) في الأصل : صابة .

الربط و القرنفل و الزعفران و الأبنوس و الزان و صنوف الثمار،
 و مياه تطرد، و طيور تغرد، في وسط الأرض قصران، يحير في بنائيهما
 العقل، بنيانهما مرصوص بعضه في بعض، قد قام القصران في الهواء،
 و بينهما نهر عظيم له انحدار مهول كالفضة البيضاء، و حول القصرين
 ٥ عبيد قد لبسوا الثياب الحسان، و عمام مختلفات الألوان، و وجوه على
 صفات مختلفات. فلما رأوا الجارية قاموا لها إجلالا و تعظيما، فأدخلت
 الجارية سيف التيجان في ذلك القصر و أرتة عزا و ملكا، و قالت له:
 انظر ما نحن فيه من الملك، و أنت لا يقربك قرار عن ركوب الخيل،
 و خوض الليل، و الحروب حتى ينهزم شبابك، و يزول ضياؤك في
 ١٠ بلادك، و أنا ملكة من ملوك الجن، و قد هويتك، و أريد زواجك،
 لأنك ملك و ابن ملك، و بطل من الأبطال، و أهب لك ملكي.
 ثم دعت مشايخ الجن من أهلها، و أشهدتهم على زواجها إياه، و اشترطت
 [عليه أن لا يتزوج عليها جنية، و يتزوج من الإنسيات ما أراد. فقال
 نعم، و اشترطت هي أيضا - ١] على نفسها أن لا تألف إنسيا و لا جنيا
 ١٥ طول حياته، و لا بعد وفاته، و أن تخبره بأخبار الملوك حيث ما كانوا
 من مشارق الأرض و مغاربها، و أن تكون معه في شدائده. فشهد
 المشايخ عليها بحضرة أيها / و أهلها، و دفع لها خاتمه في مهرها،
 و دخل بها، فوجدها بكرًا عذراء، و وجد منها من اللذة و التمتع
 ما لا يجده في الإنسيات، و بقي معها في عيش هنيء، و قطع اليأس من

٢٣٤/ب

(١) الجملة المحجوزة وردت بالهامش بخط الناسخ.

أهله وملكه . هذا ما جرى للملك سيف التيجان . و أما أصحاب الهدية
والقطائع لما تفرقوا من سفينة سيف التيجان في البحار ، أخرجتهم الرياح
إلى أرض الرعد . ثم إن لواء الملك بن سيف التيجان قال لجدته عبد شمس :
يا جدي ! أنا ما يهنا لي عيش حتى يجمع الله بيني وبين أبي ، إذ قد طالت
سفرته . و أمر بعارة سفن و قطائع ، و تودع من جده و سار في أكباد
البحر مدة خمسة و عشرين يوما ، لا يرى برا و لا جبلا و لا جزيرة .
فعطف لواء الملك على مقدم السفينة و قال له : اصعد على الصاري ، لعلك
أن ترى برا ناوى إليه . فطلع ثم نزل و هو فرح مسرور ، فقال له لواء
الملك : ما الذى رأيت ؟ قال له : البشارة أيها الملك ! قد وصلنا جزيرة
الياقوت . فلم تكن إلا ساعة و إذا هم على الجزيرة . فأرسل صاحب الجزيرة
إلى الملك مصباح العلي و أعلمه أن لواء الملك بن سيف التيجان
قد وصل . ففرح الملك فرحا شديدا ، و أمر بالقباب فضربت ، و بالإبل
فنجرت ، و بالبقر فعقرت ، و بالغنم فذبحت و نزل لواء الملك مع
أصحابه فى القباب ، و خرج إليه أهل المدينة : و صنعوا له بروزا عظيما .
و أخرج له الملك مصباح العلي هدية عظيمة ، و مطايا و جوار عليها ،
و أمر بالجيش فلبسوا أحسن زيهم ، و زينهم أحسن زينة ، قد لبسوا
أقوية الديباج المذهبة ، من ورائهم الفيلة . أمامها فيل أبيض ، عليه قبة
من الذهب الأحمر ، فى أطرافها أحجار الياقوت على قضبان الذهب .
/ و الملك مصباح العلي راكب على الفيل ، و قد دار بالفيل ألف فارس ،

كالليوث العواسب ، يقومون في الحديد ، لا يخافون الفوت ، ولا يجزعون
من الموت ، من ورائهم ألف مطية ، عليها قباب من الوشى
المثقل و الديباج المدثر ، في كل قبة جارية تعاند الشمس في
الجمال . قـ لبسن الحلى و الحلال المثقلة ، في أعناقهن السلوك ، و الأسورة
٥ في معاصمهن ، و الخلاخيل في أقدامهن . و أعناق المطايا فيها أجراس
الذهب و الفضة ، يسمع لها دوى و جلبة ، و هن يضربن بالعيدان ، و المزاهر
و الشيزان ، فرأى لواء الملك ما يزيد على ثلاثمائة ألف ضارب سيف ،
و رأى ملكا عظيما ، و ضرب للملك مصباح العلى قبة مكللة بالدر و الياقوت
و الزمرد ، و قد دار بالقبة ألف قبة على أعلاها أحجار اليواقيت ، تكاد
١٠ تخطف الأبصار من شدة لمعانها ، و الجيوش قد دارت بالقباب من كل
جانب و مكان . ثم دعا الملك مصباح العلى بالملك لواء الملك بن الملك
سيف التيجان ، فلما دخل عليه ، قام له إجلالا و رحب به و صنع له
وليمة عظيمة . و سار الملك مصباح العلى إلى مدينته . و دعا بوزير له يقال
له سالم ، و وجهه إلى لواء الملك ليصل به إلى القصر . فأقبل إليه لواء
١٥ الملك و بين يديه حسام المنايا جده و الزرقان ، و ساروا حتى وصلوا إلى
القصر ، فرأى قسرا تكلم عنه السنة الواصفين ، على باب القصر نحو
خمسة مملوك بأيديهم الدبايس ، قد لبسوا أقبية الديباج ، و تمنطقوا
بمناطق محكمة مرصعة درا و ياقوتا . فدخل سالم بمن معه من الوزراء

(١) في الأصل : تكن .

قدم لواء الملك و أصحابه إلى أن وصلوا إلى باب النحاس ، و إذا على الباب
 خمسمائة جارية / قد لبسن^١ القباطى المحكمة ، و فى أوساطهن^٢ المناطق
 المرصعة بأحجار اليواقيت . ثم دخل من ذلك الباب إلى وسط قصر
 ما رأت العيون مثله ، فى وسطه صهريج من الماء ، قد دارت عليه أربعون
 قبة من الزجاج الملون قد قامت على قضبان النحاس ، على كل قبة هلال
 من الذهب فيه حجر ياقوت ، و بين القباب مجلس قد قام على أعمدة
 من الرخام الساطع البياض . و المجلس مفتوح على ثلاثة أبواب من
 العاج و الأبنوس مصفحة بصفائح الذهب ، و أمامه قبة فى وسطها لولب
 تقابله قبة من الناحية الأخرى بلوالب أيضا . فلما رأى لواء الملك ذلك
 قال لسالم : كيف يجاز إلى تلك الناحية ؟ قال له الوزير : مهلا عليك أيها
 الملك ! ثم أخذ بيده و أتى به إلى اللولب الذى كان فى القبة ، أداره
 و إذا بصورة جارية كأنها البدر ، قد قامت وسط القبة التى أمام المجلس
 و إذا هو بطلمس^٣ مما صنعتها الفلاسفة المتقدمون ، قد أسدلت ثمانى
 عشرة^٤ ذؤابة ، فأقبلت تحرق الصهريج حتى قربت من لواء الملك ،
 و أقبلت بهما راجعة حتى وصلت بهما إلى باب المجلس ، فمد يده لسالم^٥

(١) فى الأصل : لبسوا .

(٢) فى الأصل : أوساطهم .

(٣) فى الأصل : طلسم .

(٤) فى الأصل : ثمانية عشر .

الوزير إلى رأس الجارية وأدار لولبا، وإذا بها قد أسحرت^١ حتى وضعتها في باب المجلس وغابت تحت الماء، ودخلوا للمجلس فنظروا إلى مجلس يحير فيه الوصف، عليه ستور الحرير وشباك الجواهر، قد فرش بالديباج المدثر ولبسود الطيلسان^٢، ونمارق الخسروان، ووسائد الأرجوان،
 ٥ وعلى يمين المجلس سرير تكل في وصفه الألسن، وعليه الملك مصباح العلي بن بدر الدجى، عليه حلة عظيمة، وعلى رأسه تاج مرصع^٣ درا وياقوتا وزمردا^٤، والتاج معلق من سمك المجلس بسلسلة من ذهب مدبر في لوالب؛ تدور على رأس الملك حينما ما دار، / يخيل للناظر أن الملك يمسكه على رأسه. فلما دخل لواء الملك على الملك مصباح العلي هو وأصحابه سلموا عليه، فرد عليهم السلام، بتحية وإكرام، وأنزلهم في مراتب قد أعدها لهم. وأما لواء الملك فأجلسه معه على سريريه. ثم كلم وزيره سالما بكلام غير مفهوم، وإذا بباب انفتح في وسط المجلس، وإذا بعشرة من المشايخ وأشراف قومه وساداتهم قد خرجوا من ذلك الباب، عليهم الثياب الرقاق، وعلى رؤسهم العمام
 ١٥ المصفحة بالذهب، لهم اللحى البيض، كأنها سبائك فضة، فسلموا على

الف / ٢

(١) في الأصل: أسحرت .

(٢) في الأصل: الطيلقان .

(٣-٤) في الأصل: در وياقوت وزمرد .

(٤) في الأصل: لوليب .

الملك مصباح العلي، وعلى لواء الملك وأصحابه، وجلسوا في مراتب قد أعدت لهم. فلما استقر بهم الجلوس، وإذا بستر قد ارتفع من جانب المجلس، وخرجت جارية بيدها طست من الذهب مملوءة مسكا وكافورا قد حل في ماء الورد، وعلى رأس الجارية طائر على شبه العصفور. فسلمت بسلام أعذب من الغنى بعد الفقر، ونظرت نحو الطائر وتكلمت بكلام، والطائر ينظر في وجه الجارية يسمع كلامها حتى فرغت منه، وإذا الطائر قد قام على رأسها ورُفرف ونزل برفق في الطست وانغمس في وسطه حتى استوعب جميع ما كان فيه من الكافور والمسك وماء الورد في ريشه، ثم سار إلى الملك مصباح العلي ورُفرف عليه وهو ينفض برفق، حتى فرغ ما كان في ريشه من ذلك الطيب، ثم عاد إلى الطست و فعل كفعله الأول، ١٠ و عاد إلى لواء الملك و فعل به كما فعل بالملك مصباح العلي، فما زال ينغمس و يصنع بهم كذلك واحدا بعد واحد حتى فرغ منهم. ثم نزل على قضيب خيزران و غرد تغريدا حسنا بفصاحة لم يسمع بمثل تغريده. ثم عاد الطائر على رأس الجارية، فرجعت إلى المكان الذي منه خرجت. ١٥ ثم عطف الملك مصباح العلي على أولئك المشايخ العشرة و الوزراء وقال لهم: هذا لواء الملك ابن ملك الدنيا بأطرافها سيف التيجان. أتاني ليتزوج بابنتي فائضة الجمال، أشهدكم أني قد وهبتها له و زوجته لياه. فقبل لواء الملك التزويج على صداق معين، و كتب الصداق، و صنعت الولاثم، و ضربت الطبول، و زعقت الأبواق، و صنع مهرجان عظيم. فلما جن

الليل من ذلك اليوم ، و إذا برسول الملك أتى إلى لواء الملك و قال :
يا مولاي ! إن الملك يدعوك . فسار إليه معه إلى أن أتيا إلى قصر
عظيم ، ففرع الرسول الباب قرعا خفيفا ، و إذا بباب القصر قد فتح ،
و مقدار عشرين جارية عليهن زينتهن سلمن على لواء الملك ، بأيديهن
الشموع المزهرة . ثم دخلن من دهليز إلى دهليز حتى دخلن به إلى قصر
شاهق بكل عن حسنه الوصف ، قد دارت به أربعة مجالس ، أمام كل مجلس
قبة من الزجاج الملون ، قد قامت على أربعة أعمدة من النحاس ، في وسط
كل قبة صهرج من الماء ، في كل صهرج أربعة أعمدة من الرخام ، فيه
طلاسم و تماثيل ، ترمى الماء على أنواع ، و هي أعجب من كل عجب ،
١٠ قد خلصت من خالص الذهب ، في وسط القصر بستان ، فيه أنواع
من الثمار ، و أشجار و أنهار و أطيار ، تغرد من كل جانب و مكان ،
على أعلى القصر شبك الحرير ، و نواعير من الأبنوس و العاج ، لها
أصوات تطرب الأسماع ، و الماء يخترق القصر على تماثيل تُزلزل
الهموم . و تطردن الغموم . و تلك النواعير تحن و تنن ، كما قال
١٥ الشاعر في ناعورة :

و باكية و ليس لها خليل و قد منعت من الدمع الكلام

فحمل لواء الملك إلى مجلس سماؤه ذهب و أرضه زجاج ، يحير فيه الطرف ،
و يعجز عن حسنه الوصف ، عن يمين المجلس سرير قد قام على أربعة
قوائم من الذهب مرصعا درا و ياقوتا و جوهرًا ، و سرير ثانٍ عن يسار

المجلس ، عليه من الديباج المدثر ، و نمارق الخسروان ، و مساند الحرير
المحاكية الأتقوان ، و الشموع^١ مركوزة في شمعدانات الذهب . فما استقر
بلواء الملك الجلوس حتى سمع صلصلة الخلاخيل على الرخام ، كأنها وقع
البرد على الصفا ، / و إذا بهن ثلاثمائة جارية كالبدزر الطلع و الكواكب
الدرية ، عليهن أنواع الحلى و الحلل . يبسمن عن ثغور كالأقاح ، كأنهن
قضبان يمسن على كشيان ، بينهن جارية غضة الشباب ، نقيه الجلباب ،
صافية الأديم . عاطرة النسيم . قد كسيت الحسن و الجمال ، إن رنت
بطرفها أمات العمام عن الرؤس ، و إن تبسمت رقص الحيا^٢ب في الكؤوس ،
ترفل في حلة كذنب الطاوس ، كأنها صنم تجسد من النور ، و تكون
من صفاء البلور ، إن مشت تثنت ، و إن تكلمت فتنت ، على رأسها^٣ ١٠
تاج من الذهب الوهاج ، مكلل بأنواع الجواهر و اليواقيت . فعند ما
قرب الجوارى^٤ من باب المجلس ، اندفعت بحملتها المزامير و العيدان ،
و الطنابير و الدفوف و الشيزان . و دخلت الجارية على لواء الملك . فلما
وقعت عينها عليه ، سلمت و وقفت بين يديه ، و أرمأت بيدها إلى
الجوارى^٥ ، ففضت كل واحدة إلى مقصورتها . فعند ذلك قام لواء الملك ١٥
إليها ، و قبل ما بين عينيها ، فرأى منها جمالا فائقا بارعا ، كاد أن يغشى
عليه من نور وجهها عند ضمها لها . فاعتنقها و حملها على السرير . فعند

(١) في الأصل : و الشماع .

(٢) في الأصل : الجبان .

(٣) في الأصل : الجوار .

(٤) في الأصل : اومت .

ذلك نزع تاجها عن رأسها ، و الحلال التي على بدنها ، و بقيت في غلالة شفافة ، يظهر باطنها من ظاهرها ، فبدأ له من تحت الغلالة صدر كلوح من رخام ، و نهدان كأنهما أحقاق عاج ، كما قال فيهما بعض واصفيهما :
 و قاتلتى بفتور الجفون و مستوفزين^١ على منبر
 كحقين من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر

فدخل بها فوجدها بكرًا عذراء ، فبقي معها مدة . ثم بعد ذلك اجتمع بصهره الملك مصباح العلي ، و قال له : أيها الملك السعيد ! إني آليت على نفسي أن^٢ أبحث عن أبي سيف التيجان ، حتى أعرف خبره أو أموت في طلبه ، و إني أريد أن أسير أطلبه . فأذن له في ذلك ، فودع / صهره ،
 ١٠ و أخذ زوجته في هودج على نجيب ، و جواربها^٣ أركبهن المطايا .
 و سار في رجاله الذين خرج بهم من المراكب ، و سار يستفتح الجزائر في طريقه - هذا ما جرى هنا .

و أما خبر الملك سيف التيجان ، لما اختطفته الدعجاء بنت الهيمان الجنية من لجج البحار ، و أتت به إلى قصرها و تزوجها ، و بقي معها مدة ١٥ إلى أن اشتاق إلى أهله و وطنه ، فاستأذنها في ذلك ، فقالت له : نعم ، فاخرج معي إلى البحر . فخرج معها إلى شاطئ البحر ، و إذا فيه عبدان مقبلان بزورق لهما ، فركبه بعد أن ودعها ، و جذف العبدان^٤ به ساعة ، و إذا به قد طرح بالبر ، و تركاه و رجعا ، فصار يمشي في البرية ، يهيم كما يهيم النعام الشرود ، و لا يعرف حيث هو من الأرض .

(١) بمعنى متحفزين أو واثبين .

(٢) في الأصل : عن .

(٣) في الأصل : وجوارها .

(٤-٤) في الأصل : و جذفت العبدان .

فبينما هو كذلك إذ سمع كلاما قصد نحوه ، وإذا هو حتى يموج بساكنيه ، ويرتج بقاطنيه ، فلما رآه ' أهله أنكروه و قالوا له : من أنت ؟ قال لهم : أنا رجل غريب عابر سبيل . فأكرمه أهل الحى ، و رأى عندهم ملكة عظيمة . قال لهم : ما يقال لملككم ؟ قالوا : ملكنا رجل مؤمن بالله و اليوم الآخر ، إلا أنه أصيب البارحة ، و ذلك أنه وراءنا فى أطراف هذه الأرض قوم ه من الجن ، و بالأمس اختطفت ابنة الملك ، و لم يكن فى زمانها أجل منها . و قد خرج فى جملة من أصحابه يطلبون الآثار ، و يبحثون عن الأخبار . عند ذلك عطف عليهم سيف التيجان و قال لهم : إني أريد أن أجتمع مع ملككم ، و عسى [أن - ٢] يكون له نصرة يدي . فاجتمع معه قوم ، و ساروا به حتى لحقوا الملك و قالوا له : أيها الملك ! هذا رجل غريب شديد البأس ، ضمن أنه ينصرك على عدوك . فأمر الملك باكرامه ، و قربه من نفسه ، و قال له : إن أنت أتيتنى بابنتى زوجتكها . قال له : اتتى بآلة حرب و جواد . فدفع له ذلك ، فدرع / و التثم و لبس السلاح ، و ركب جوادا من عتاق الخيل ، و ساروا يقطعون الأرض حتى أشرفوا على وادٍ ما رأت العيون أحسن منه ، الظباء فى ساحاته تغدو و تروح ١٥ و تنفر ، كثير الأشجار و الثمار و الأطيار و النوار . عند ذلك عطف الملك - و كان اسمه بهران بن بارق النيران ، صاحب أرض العقبان - على بعض أصحابه ، و قال له : ادخل النهر ، لعلمك تجد خيرا . فسار الفارس فى الوادى

(١) فى الأصل : راوه .

(٢) فى الأصل : من .

(٣) ساقطة من الأصل .

فلم يرجع ، فبعث آخر فلم يرجع ، هكذا حتى وجه عشرة من أبطاله ، فلم يرجع واحد منهم ، فلما رأى ذلك سيف التيجان قال له : أنا آتيت بالخبر إن شاء الله تعالى أيها الملك . فسار إلى الوادي حتى انتهى [إلى - ١] وسطه . فاذا هو بالعشرة أبطال أموات . قال سيف التيجان عند ذلك : لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم . فبينما هو يتفكر إذ سمع هاتفا من داخل الوادي يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول : أيها الراكب على سرجه ! ألا ترى الظباء نفرت ! أيها الفارس ! إنه قد دخل بالوادي عدو قد أكل سكانه ، و قطع الطريق حتى خلت أوطانه . ثم رجع إلى الوحش فأكلها ، فارجع وراءك مسرعا قبل أن يحل بك عدو ، ما لك به طاقة ، و لا يتركك حتى يأخذك في كفه . و يضعك في بطنه ، فأنج بنفسك سالما ، فأنا قد نصحتك ، فان شئت قبلت ، و إن شئت أكلت . قال له سيف التيجان : أيها المتكلم ! صف لي هذا العدو الطاغى ، في أي نوع هو في طبيعته ؟ فلقد وصفته فوق قرره ، و أخرجته من حده . فقال له الهاتف : إن كنت عولت على لقائه فها هنا يكون اللقاء . عند ذلك ١٥ ترجل سيف التيجان عن جواده ، و عقله بفاضل عنانه ، و بات تلك الليلة . فلما أصبح الله بالصباح إذ سمع الهاتف من داخل الوادي و هو يقول : أيها الرجل المغرور بنفسه ، و سائقها لحينه ! ألا ترى العدو قد ظهر ! فخذ على نفسك / وكن منه على حذر . فبينما هو كذلك إذ سمع دوى عظيم بين شعاب الوادي ، و إذا بأسد مهول عظيم شديد الزئير ذى ناظر

٢٢ / ب

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) زيد هنا في الأصل : عن .

وشوارب، وأنياب ومخالب، وسواعد كاللوائب. فلما نظر إليه سيف
 التيجان رد يده على قائم سيفه، وانتضاه من غمده، وأخذ حجفته بيده،
 وأتى إلى الأسد، فلما رآه الأسد حمل عليه، وأراد اقتراضه، وإذا
 بسيف التيجان قد خرج إلى ناحية والتوى عليه بضربة أبرى قوائمه
 الأربع، وثنى عليه بضربة أسقط رأسه على الأرض، وتركه يتخبط في
 دمه، وهبط سيف التيجان مع الوادي، فلاح له بين الأشجار قصر
 مشيد بنيانه بالرخام، مما صنعتها الفلاسفة المتقدمون، إلا أن القصر خال،
 ففعل جواده، ودخل القصر. فرأى فيه بستاناً قد غرس فيه من
 جميع الثمار، وقد دار بالبستان مقاصير من العاج والأبنوس، وقد قامت
 على سوارى الرخام الساطع البياض، وفي وسط القصر مجلس سماؤه ١٠
 مذهب وأرضه زجاج، على أبوابه ستور الحرير وشباك الجواهر، وقد أليت
 بما مضى عليها من الدهور، فلما دخل المجلس رأى عن يمينه سريراً قد قام
 على أعمدة من الذهب، وعليه شخص ميت يخيل للناظر أنه نائم. وعند
 رأسه لوح من الذهب مكتوب فيه: هذا هو الملك حمير أول التبايعه ٢.
 غالب الجبابرة، والملوك الفراعنة والأكاسرة، لم يغنه ملكه عن الموت ١٥
 وتحتة مكتوب هذه الآيات:

كل حتى للسمات كل جمع للشتات

(١) في الأصل: بستان.

(٢) في الأصل: التبايعه.

ما يهب الموت جبا
 أين أرباب المسطابا
 شيدوا المدن و صاروا
 وأولات الأولى من أه
 أين نمروود بن كنعنا
 أين فرعون وهامنا
 أين ذو القرنين و أين
 أين ملك سليمان الوا
 / كلهم ساروا [طريق - ٢] ال
 را شديداً البطش [عات - ٢]
 والجياذ الصافات
 في قبورهم رفات
 ل السعلى والمائرات
 ن الشديداً السطوات
 ن وجميع الطغوات
 دخوله [فى - ٢] الظلمات
 لى على الجن الطغاة
 موت من بعد الحياة

٢١ / الف

١٠ قال : فلما قرأ سيف التيجان ذلك قال : سبحان من لا يتغير ملكه ولا يحول ولا يزول ! ثم أراد الخروج من القصر إذ سمع صيحة عظيمة قرقع لها القصر كله ، و ظن أنه انطبق عليه . فلما سمع ذلك تأمل نحوها النظر ، و إذا هي جارية كأنها البدر الطالع ، أو الغزال الراجع ، بنت تسع و خمس ، تخجل البدر و الشمس ، فقال لها : أنت إنسية أم جنية ؟ يا جارية !
 ١٥ فما رأيت أحسن منك . قالت : بل جنية يا سيف التيجان ! أما كفاك

(١) فى الأصل : جبار .

(٢) الكلمة ساقطة ، و بهامشه : سطوات .

(٣) بياض فى الأصل ، و يستقيم الوزن بما أثبتناه .

(٤) فى الأصل : توقع .

[أن] تجاسرت على الإنس حتى أبدتَهُم ، ثم أتيت إلى الجن تحاربهم ؟ قال لها : من أنت ؟ قالت : أنا ذات الأنجم بنت الشرود بن شمر بن إبليس الأكبر ، ولو لا محبتي فيك ما كنت إلا مع أصحابك العشرة قتيلا ، ولكن إذ قد حصلت معك ، ما أفارقك حتى تفعل معي كما فعلت مع الدجاء بنت الهيمان و تزوجني . فقال لها : ما أقدر على ذلك فاني أعطيتها العهود ه أن لا أتزوج عليها جنية أبدا . قالت له : لا بد وإلا عذبتك عذابا ما عذب به أحد من العالمين ، لا قبلك ولا بعدك ، صارت الدجاء خيرا مني ا قال لها : اصنعى ما شئت ا فما أنقض عهدا . فعند ذلك نادى بعفريت من الجن ، وإذا به في قدر القصر بجثته ، وقالت له : خذني إليك وألقني في أرض النحاس . فأنقض عليه الجنى واختطفه وهوى به في الهواء ، ١٠ وألقاه في أرض النحاس ، وذلك أن الله عز وجل خلق أرضا من النحاس الأحمر ، فلما طلعت عليه الشمس وحميت وصارت ترقص من تحت الآل ، رقص المقيد في الأغلال . عند ذلك أيقن سيف التيجان بالهلاك ، فينما هو كذلك وإذا بالجنية ذات الأنجم قد أقبلت وقالت له : كيف رأيت يا سيف التيجان ا / ادع الآن الدجاء تنقذك من يدي ا ١٥ / ٢٣٩ أقسمت قسما إن لم تزوجني إن كان هلاكك إلا على يدي ا قال لها : تمنعيني من الدجاء ؟ قالت له : أنا أصرفها عنك وأرد كيدها في نحرها . قال لها : حتى أرى برهان ذلك . قالت : نعم . و نادى بالعفريت وأمرته بأمرها ، وإذا هو اختطفه من ذلك الموضع وألقاه على جبل قد تعلق

(١) في الأصل : خير .

بأعنان السماء ، في أعلى الجبل قصر مشيد بأبواب من الحديد ، قد دار به
ثلاثة أسوار من الحجر الصلد عالية ، وأبراج باهية . فأتته وقالت له :
كيف رأيت بنيان الجن ؟ فاختطفته وألقته على أعلى القصر ، فنزل على
درج إلى صحن القصر ، فرأى فيه أشجارا ، ونواوير و أثمار ومياه تطرد من
ه أفواه التماثيل ، ونواعير تدور في أصناف من الخيل ، قد نظمت كنظم
الأكاليل . قالت له : أتصل إليك الدعاء في هذا القصر ؟ ثم عطفت
عليه وقالت : أتدرى ما بينك وبين أهلك ؟ قال : لا أعلم . قالت له :
بينك وبين أهلك ووطنك مسيرة عشرين سنة . قال سيف التيجان
عند ذلك : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأدركه الوحشة وقال :
١٠ أين الفرار من القضاء فلما ! رأته الجنية كذلك قالت له : لا تحزن
يا حبيبي ! فإني قادرة أردك في سبت ساعات من نهار . ثم عطفت
عليه وقالت : هات ما بيني وبينك . قال لها : والله ما أقدر على نقض
عهد عهده ! فينهما هم كذلك وإذا بغنامة قد أغمت القصر . فقالت له الجنية
ذات الأنجم : لا تبرح من مكانك لئلا يصيبك الشواظ والشرار فهلك .
١٥ ثم تركته ورجت رجة في الهواء غابت عن بصره . فأقام سيف التيجان
وحده في القصر وما يدري ما يصنع وهو يدور بين الثمار والنواوير حتى
عيل صبره ، فوجد مطلقا فصعد عليه حتى أتى أعلى القصر ، فنظر إلى
٢٤ / الف الدعاء بنت الهيمان / الجنية وهي راكبة على جواد من عناق الخيل ،
وإذا بالجواد عفريت من الجن في صورة جواد من الخيل ، وذات
٢٠ الأنجم الجنية كذلك ، والدعاء تقول لها : أخذت زوجي . وذات الأنجم

تقول : ما أخذت لك بعلا ، ولا رأيت لك إنسيا . فرفعت رأسها الدعجاء
ففظرت إلى سيف التيجان ، قالت لها : أليس هو هذا؟ وحملت كل
واحدة منهما على صاحبها و تقاتلتا بالسيف حتى غابتا عن بصره . وإذا
بالدعجاء راجعة إليه وفي وجهها جرح شديد ، فقالت له : يا سيف التيجان !
انزل إلى . فأراد النزول فلم ير من أين ينزل ، ورجعت له الأرض كلها هـ
بحورا وأمواجا تتلاطم . قال لها : وكيف أنزل إلى هذه البحار التي
موجها يتلاطم ؟ قالت له : ما هاهنا بحر ولا موج ، ولكن سحرتك ذات
الأنجم ، فلا بأس عليك . لا تبرح من موضعك لئلا تهلك ، حتى أريك
الحيلة في خلاصك و لو دخلت مدخل الرس أو ارتفعت مطلع الشمس .
ثم غابت الدعجاء عنه [وبقى حيران - ٢] لا يدري ما يصنع ، وصارت ١٠
الدعجاء تطلب مداخل القصر فلا تجدها ٢ . ثم غابت ، وإذا بالجنية ذات
الأنجم قد أقبلت وقالت له : كيف رأيت يا سيف التيجان ! أين الدعجاء
منك الآن ؟ وإذا بالأبراج والقصور كما كانت أول مرة ، فتعجب
من ذلك ، ودخل معها المجلس ، فقالت : أين الذي بيني وبينك ؟ قال :
والله ما أقدر على نقض عهد أبدا ! قالت له : ما أريد منك إلا أن ١٥
تزوج بي ، وإلا أهلكتك الساعة حتى لا تنتفع بك الدعجاء ولا أنا
ولا أحد . فلم يجد بدا من التزويج بها ، فتزوجها ودخل بها ، فوجدتها
بكرًا عذراء ، فأقام معها مدة . ثم قالت له : يا سيف التيجان ! إني حامل .

(١) في الأصل : تقاتلتن .

(٢) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل و أضيفت في الهامش بقلم الناسخ .

(٣) في الأصل : فلا تجده .

فقال لها : ساعة مباركة . ثم إنه تشوق إلى أهله ووطنه فعرفها بالأمر ،
وإذا بقطائع قد أرسيت إلى ساحل البحر فيها المقاتلة . فبينما هو ينظر
نحوهم ، وإذا هو بابنه لواء الملك معه زوجته فائضة الجمال بنت الملك مصباح
العلي / وهي التي صورت صورتها في الحلة التي وجدت في الصندوق الذي
كانت الأمواج تقذفه ، ففرح والده ببلوغ أمل ولده بها ، فترامى سيف
التيجان على ولده لواء الملك ، وتعانقا و تباكيا ، و شرح كل منهما
قصته للآخر . ثم إنه قال له : يا أبت ! اركب معنا في هذه القطائع ،
وسر إلى بلادك وملكك . فحينئذ أتى إلى زوجته ذات الأنجم و عرفها
بذلك ، فأذنت له في السفر ، فركب سيف التيجان و ولده لواء الملك ،
١٠ ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلادهم ، واجتمع الملك سيف
التيجان بزوجه فائضة الليوث أم لواء الملك ، واجتمعت هي بولدها
و شكوا ألم الفرقة من تلك السفرة . وقال كل واحد منهم : الحمد لله
على السلامة . و أقاموا بمملكتهم في خير و سعادة حتى فرق الموت
بينهم - انتهى .

١٥ في شهوات الرجال مع النساء

فلنذكر الآن ما قيل في شهوات الرجال مع النساء إن شاء الله تعالى -
اعلم أن طبيعة النساء مائلة إلى شهوة الرجال ، ولو لا ذلك لما كانت امرأة
تعود إلى بعلمها لما تقاميه من ألم الولادة . وإنما جعلت هذه الشهوة في

(١) في الأصل : كلا .

طبيعتهن ليعدن إلى بعولتهن لتعمر الأرض بالذرية .

قال [أبو - ١] عبد الله الخزاعي في كتاب الدر الثمين ، : إن

حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر في حال نومه ، فكانت على

طول آدم و على حسنه و جماله ، و لها سبعمائة ضفيرة مرصعة بالدر و الياقوت ،

محصوة بالمسك الأذفر ، دجاء مخضوبة الكفين ، يسمع لذوائبها خشخشة ، ٥

و هي مدملجة متوجة ، و هي على صورة آدم عليه السلام ، غير أنها

أرق منه جلدا ، و أصفى منه لونا ، و أحسن منه صوتا ، و أدعج منه

عينا ، و أقى منه أنفا ، و أصغر منه سنا ، و أبلج منه ثغرا ، و ألطف منه

بنانا ، و ألين منه كفا . فلما خلقها الله عز و جل ، أجلسها عند رأسه ،

فلما انتبه و رآها تمكن حبها من قلبه فقال آدم : يا رب ! من هذه ؟ ١٠

فقال الله تعالى : هذه أمتي حواء ، فقال : يا رب ! لمن خلقتها ؟ فقال الله

عز و جل : هذه أمتي و أنت عبدى ، و قد زوجتها لك . ففرح آدم بها ،

فلما أفضى إليها آدم ، قالت : يا آدم ! ما أطيب هذا ! زدنا منه . فبذلك

أتت الذرية .

قال عمارة^٢ بن وثيمة : كان عبد الله بن ربيعة من خيار قريش ١٥

صاحبا / و عفة ، و كان ذكره لا ينام ، و كان يتزوج المرأة من قريش ،

فلا تمكث معه إلا أياما حتى تهرب إلى أهلها . فقالت زينب ابنة عمر

ابن أبي سلمة : ما هن يهربن من ابن عمهن ؟ قيل لها : إنهن لا يطقنه من

(١) زيد من المراجع .

(٢) من الأعلام للزركلى ، و فى الأصل : عمارة .

شدة شبقه . قالت : وما يمنعني ، فأنا والله العظيمة العجز ، المقحمة
الفرج ، الصابرة على إرادته و قضاء شهوته . قال : فتزوجها فصبرت
عليه ، و ولدت له ستة أولاد ، أنشد بعضهم يقول في شدة شبقه ، و قيام
غرموله تورية :

٥ أير إذا نديته في حاجة تخص بي قام لها مبادرا ما هو إلا عصي

ذكر ابن نصر^١ الشيرازي في كتابه الإيضاح في أسرار النكاح ،
أمورا عجيبة من أحوال النساء ، فقال : إن أصناف النساء ثمانية ، وهي
المتشحمة و اللزقة و القعراء و الجوفاء و المتخمة^٢ و الشفراء و المتخففة
و العفراء . و قال : هذه أصناف لا يدقن لذة الجماع إلا بما أذكره الآن :
١٠ أما المتشحمة فهي الممتلئة الفرج بالشحم ، فهذه لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر
الطويل الذي يبلغ أقصى الفرج ؛ و الذكر الطويل - في قول حكيم
الهند - يكون اثني عشر إصبعا مضموما^٣ ، أي ثلاث قبضات ، و الوسط
تسعة أصابع ، و الصغير ما كان ستة أصابع . و أما اللزقة فهي التي التطم
فرجها و قل شحمه و هزل و بقي ملتزقا مسترخيا لعدم شحمه ، و هذه
١٥ لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر الغليظ القصير ، و ليس لها في غيره أرب ،
ولا يعجبها سواه . و أما القعراء فهي التي قد تقعر فرجها لاستحكام شهوتها
و إفراط الشبق و عرم الجماع ، و هذه لا يشفيها غير الذكر الطويل
(١) من كشف الظنون ، و هو عبد الرحمن بن نصر ، و في الأصل :
ابو نصر .

(٢) في الأصل : المتخمة . (٣) في الأصل : مضمومة .

الغليظ الكبير الفيشلة كي يسد منها مواضع التقعير و يصل إلى مواضع اللذة . و أما الجوفاء فهي التي عريت جوانب فرجها ، و بعد مسافة إسكتيها ، و أكثر ما يكون ذلك في النساء الطول ، و تلك لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر الطويل العريض ، و لا تجد لغيره لذة ، و تكون سيئة الخلق شديدة الغضب عند الجماع ، و ذلك لتقصير الرجل عن بلوغ لذتها ، و قلما ينزل لها شهوة . و أما المتخمة فهي التي أسفل فرجها و أعلاه شيء واحد مع قرب مسافة شهوتها / و سرعة إنزالها ، و هذه ليس لها أحب من الرجل السريع الإنزال ، و متى طال جماع الرجل لها و أبطأ إنزاله وجدت لذلك ألماً . و أما الشفراء فهي التي قد خف [أحد - ١] جانبي فرجها و خلا من اللحم ، و ليس شيء أوقع عند هذه من الذكر الطويل ١٠ الدقيق سيما إذا كانت مائلة إلى الجانب الذي قد خلا من اللحم ، و إن لم تكن على جنبها لم تجد لذة ، و لم تنزل لها شهوة . و أما المتخنقة فهي الغليظة حيطان الفرج من خارجه ، الثقيلة الامتلاء من داخله ، التي قد اختنقت فيها الشهوة لقلة الجماع ، و هذه لا تجد لذة النكاح إلا بالذكر الصلب الشديد ، و لا يعجبها سواه . و أما العفراء فهي التي اتسع ١٥ فرجها من فرط الرطوبة و برد داخله ، فهذه لا تجد لذة الجماع و لا ينزل لها لذة إلا بالسحاق ، لأنه يحمي فرجها ، فتفور الحرارة فتتنزل شهوتها ، و أما الرجل فلا تجد له لذة .

و علامة إنزال المرأة أن تموت عينها ، فتصير كعين اليربوع

(١) زيد من السياق .

[كان - ١] بها وسنا، و يعرض لها عند إنزالها أن يتكلم وجهها
و يتشنج ، و ربما اقشعر جسدها ، و عرق جبينها ، و تسترخى مفاصلها ،
و تستحي أن تنظر إلى الرجل ، و تارة تأخذها رعدة و يعلو نفسها ،
و تعرض بوجهها ، و تمكن الرجل من فرجها ، و تلتصقه به من شدة
الشهوة . كل هذه علامة إنزالها ، و متى اجتمع الماءان منه و منها في
وقت واحد ، كان هو الغاية القصوى في حصول اللذة و تأكيد المحبة .

و اعلم أن منى الرجل يخرج عند اللذة الكبرى بالجماع ، رائحته
كرائحة الطلع ، دافق مصبوب رطب ، و إذا يبس فهو كفضوص
البيض ، و إنما شبه بالطلع لما يعرف أهل البلاد ، و الطلع هو الجف
١٠ يخرج من رأس النخلة ، فإذا انشق خرج منه عنقود فيه حبوب ، فإذا
نور ذلك العنقود كانت رائحته كرائحة المنى . و ماء المرأة ماء رقيق
أصفر ، و ماء الرجل أبيض غليظ ، فأيهما علا و سبق كان له الشبه ،
و قيل : ماء المرأة أصفر مالح ، و ماء الرجل زعاق ، و هو المر .

قال ابن الغزى : إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا ،
٢٤ / الف ١٥ و بالعكس أنثى ، باذن الله تعالى . / و إذا كان ماء الرجل أكثر ،
أشبه [الولد - ١] أباه ، و إذا كان ماء المرأة أكثر أشبه أمه ، فإذا سبق ماء
الرجل ماء المرأة و علا ، أشبه الولد أعمامه ، و بالعكس أخواله - انتهى .

[ما قال أهل الفراسة في النساء - ٢]

فلنذكر الآن ما قالت أهل الفراسة في النساء - قال أهل الفراسة

(١) سافطة من الأصل .

(٢) العنوان مشتق من النص ، و ليس بالهامش .

و الخبرة بالنساء: إذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا، وإن كان صغيرا كان فرجها صغيرا ضيقا، وإن كانت شفتاها غليظتين^١ كانت إسكاتها غليظتين، وإن كانت شفتها السفلى صغيرة كان فرجها صغيرا ضيقا، وإذا كان لسانها كأنه مقطوع الرأس كان فرجها كثير الرطوبة، فإن كانت حدباء الأنف فهي قليلة الرغبة في الجماع، وإن كانت طويلة الذقن فهي رابية الفرج قليلة الشعر، وإذا كانت كبيرة الوجه غليظة العنق، دل ذلك على صغر العجز وكبر الفرج وضيقة^٢، وإذا كثرت لحم ظاهر قدميها ويديها عظم فرجها، وإذا كانت المرأة نديلة الساقين، فيها صلابة، فإنها شديدة الشهوة، لا صبر لها عن النكاح، وإذا كانت المرأة حارة المجسة و كائبة^٣ الفم، صلبة الثديين غير متدليين ولا رخوين، صلبة العجز، فهذه لا شيء عندها أحظى من النكاح لشدة شبقها والتذاذها بالوطء، وإذا كانت المرأة حمراء اللون زرقاء العينين فهي شديدة الشبق أيضا، وزرقة العينين دليل على شدة الغلظة في المرأة، والعين الكحلأ تدل على الغلظة و ضيق الفرج، وصغر العجز مع غلظ الأكتاف يدلان على عظم الفرج.

١٥ قال الجوهري في الظهار: الظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

(١) في الأصل: غلاظا.

(٢) في الأصل: ضيقته.

(٣) أي الغليظة، وفي الأصل: كانت - كذا.

قال القاضي عياض: و الظهار مأخوذ من الظهر، كناية عن المجامعة،

و لأنه ركوب المرأة كما يركب ظهر المركوب، لاسيما و عادة كثير من

العرب و غيرهم المجامعة على حرف من جهة الظهر، و يستحيون من

جهة الوجوه، يقصدون بذلك التستر و الحياء و الخوف ألا تجتمع الوجوه

٢٠/ب ٥ حينئذ، و لا يطلع على العورات، و هي كانت سيرة الأنصار / حتى

نزلت " نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم " و " انى " هنا بمعنى

كيف، أى كيف شئتم .

و أما عيوب النساء فمنها داء الفرج و هو ما يمنع الواطئ و لذته .

أى كمال لذة الوطء . و منها العقل و القرن و حرق النار و الرتق .

١٠ و الرتقاء هى التى لا يستطيع جماعها لارتفاق ذلك الموضع منها، و هو

من الرتق الذى هو ضد الفتق . قال الله تعالى " ا ولم ير الذين كفروا

ان السموات و الارض كانتا رتقا ففتقنهما " ٢ قيل : الرتق من المرأة

على نوعين : أحدهما أن يكون محل الجماع مستدا بلحم، و هذا يمكن

علاجه، و الثانى أن يكون مستدا بعظم فلا يمكن علاجه .

١٥ و القرن أن يكون فى المحل عظم شبيه بقرن الشاة . و العقل شىء

يخرج من قبل النساء، و حياء الناقة شبيه الأدره التى للرجال .

و كذلك بخر^٢ الفرج، و هو الذى يشم منه رائحة منتنة . و من عيوب

المرأة الجنون و الجذام و البرص و القرع . و من عيوب النساء قطع

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٢٣ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢١ آية ٣٠ .

(٣) فى الأصل : بخرد .

شفرها و إفضاؤها، فاذا جنى الرجل على امرأة فقطع شفرها إلى أن بدا عظم فرجها فعليه الدية . و روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضى فى ذلك بالدية . قال ابن حبيب : وهما أعظم مصيبة عليها من ذهاب ثديها أو عينيها، و فى الإفضاء الحكومة و دية ، و هو رفع الحاجز من [بن - ١] مخرج البول و مسلك الذكر، و مصيبتها فى الإفضاء أقوى ه من مصيبتها فى إزالة الشفرين، و قد عدوا الإفضاء فى عيوب النساء فى النكاح، لأن من نزل بها مصيبة الإفضاء كلا فى ٢ جماع، فأشبهت من الرجال من ذهب منه قوة الجماع . و الزوج إذا فعل فى المرأة الإفضاء و جب عليه الأرش، و كذلك الأجنبي، يستويان فى لزوم أرش البكارة لهما إذا أزالها ٣ باصبعيهما . و قيل فى الزوج / يزيل البكارة باصبعه : يلزمه ١٠ ٢٤٣ / الف الصداق كاملا، و يجب بذلك لزوم الحد للأجنبي الزانى و سقوط الحد عن الزوج، و إن عاقلة الزوج تحمل أرش الإفضاء لأنه خطأ .

و العيوب التى يفسخ بها النكاح سبعة، ثلاثة يشترك فيها الرجل و المرأة، و هى الجنون، و الجذام و البرص، و عيب الفرج؛ و عيان تختص بهما المرأة، و هما القرن و الرتق، و القرن شئ نابت فى الفرج ١٥ يشبه قرن الشاة، يمنع الذكر من السلوك فى الفرج، و الرتق أيضا ارتفاق محل الفرج، يمنع أيضا من الدخول لانسداده بخالف لعذرة البكر؛ و عيان يختص بهما الرجل، و هما الجب و العنة، فالمحبوب هو

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) أى كلا شئ .

(٣) فى الأصل : زالاها .

(٤) فى الأصل : تمنع .

المقطوع ، و العنين هو الذي له ذكر صغير لا يتأني منه الجماع كالزر ،
و إن علمت المرأة به حين تزويجه أنه محبوب أو خصي أو عنين و لا يأتي
النساء رأسا و أخبرها بذلك فلا كلام لها ، و إن لم تعلم بذلك في العقد
ثم علمت فيه فتركته و أمكنته من نفسها فلا كلام لامرأة الخصي
٥ و المحبوب .

قال ابن أبي زيد في الرسالة : و ترد المرأة من الجنون و الجذام و داء
الفرج ، فان عثر على ذلك قبل البناء ردها و لا شيء عليه ، و يكون طلاقا ،
و إن حدثت العيوب بعد العقد لم يكن له ردها ، و هي مصيبة نزلت به ،
و إن حدثت قبل العقد أو حين العقد فها هنا ردها . و قول الشافعي مثل
١٠ قولنا . و قال داود : لا ترد المرأة بعيب أصلا ، و إنما ترد به الأمة . و قال

الحنفي : لا ترد إلا بداء الفرج خاصة . و دلائل المالكية أنها ترد من
العيوب ، لما روى أن النبي صلى الله عليه و سلم تزوج امرأة من بني يباضة ،
فوجد بكشحها يباضا ، فردها و قال : دلستم علي . و روى أن عمر / و عليا
و غيرهما ردوا النساء من العيوب الأربعة . و لا يخالف لهم ، و لأنها عسر

٢٤٣ / ب

١٥ تؤثر في الاستمتاع المنصوب^٢ و نقص كمال اللذة ، فوجب أن يثبت معها
الخيار ، أصله الجب و العنة . قال مالك في كتاب محمد : سواء كان برحمها
قليلًا أو كثيرا . قال اللخمي : و ترد من الجنون و إن كان يصرعها في
بعض الأوقات . و كذلك يحدث عند الجماع ثلاثة عيوب ، و إنما اختصت
بهذه الأربعة المذكورة لأنها تخفى ، و غيرها لا يخفى . قال اللخمي : رأيت
٢٠ أن يرد النكاح في امرأة كان أبوها أجذم و إن لم يظهر بها . قال ابن العربي

(١) في الأصل : عشر . (٢) في الأصل : المنصوب .

في الفصوص^١: جميع العيوب الجنون و الجذام و البرص و الجب و الخصى و قطع الحشفة و القرن و العنة و الاعتراض و الرتق و العفان و الاستحاضة و تن الفرج و حرق النار و السواد و البخر و العمى ، و جميع الرماد و الإفاضة ، و العقل - بفتح العين و القاف - في النساء كالأدرية في الرجال ، و هي بروز لحم من الفرج ، و القرن - بفتح القاف و سكون هاء الراء - مثله ، لكنه قد يكون خلقة غالبا ، و قد يكون لحما ، و قد يكون عظما ، و [الرتق -^٢] بفتح [الراء -^٢] و التاء : التصاق موضع الوطء ، و الثامه^٣ . قال ابن حبيب : ترد المرأة من السواد إن كانت من أهل لا سواد فيهم . وقال الشافعي : ترد المرأة بكل عيب كالبيوع . و يجوز للأب تزويج البكر البالغة بغير رضاها ، و يستحب له استئذانها ، و إذنها سكوتها ، و أما الثيب^٤ ١٠ فلا يجوز تزويجها إلا برضاها إلا أن تكون مجنونة أو غير بالغة^٤ ، فيجوز للأب أن يزوجه بغير رضاها ، و من جامع زوجته أو أمته يوم النحر أول النهار أو آخره قبل أن يرمى جمرة العقبة ، و قبل أن يطوف طواف الإفاضة ، فسد حجه على المشهور من مذهب مالك . قال أبو حنيفة : لا يفسد حجه ، و ذكر مثله ابن الحلاب عن مالك . قال سخنون : قلت ١٥ لمحمد بن دينار : لم قلت : إذا وطئ يوم النحر قبل رمي جمرة العقبة و طواف الإفاضة فسد حجه و قد جاء في الحديث : من أدرك الوقوف بعرفة فقد أدرك

(١) أي « فصوص الحكم » . (٢) ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : التامة .

(٤) في الأصل : غير بالغ .

الحجج؟ ألم يقل صلى الله عليه وسلم: من أدرك الصلاة ركعة فقد أدركها؟ قال: نعم، قلت: أ رأيت إن أفسد شيئاً مما وجب عليه أليس يعيد صلاته؟ قال: نعم، قلت: فكذلك هنا، إنما يتم حجه - انتهى .

[عود إلى شهوات الرجال والنساء - ١]

الف هـ / و اعلم أن النساء أقوى في الشهوة للرجال من المال . / قال الله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث " ، إنما أحر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنهن أقوى في الشهوة الجبلية من المال ، لأن حرمة العصمة والفروج أقوى من حرمة الأموال ، ولأن الطبع يحث ١٠ على بذل المال لتحصيل النكاح والولد . قال الشاعر :

لولا بنيات كزغيب القطا رُددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا ٧ بنينا أكبادنا ٨ تمشى على الأرض

(١) في الأصل : قلت .

(٢) في الأصل : قال .

(٣) في الأصل : تفسد .

(٤) العنوان مشتق من النص وهو استمرار باب سابق .

(٥) قرآن كريم سورة ٣ آية ١٤ .

(٦) في الأصل : على . (٧ - ٧) في الأصل : أكبادنا ما بيننا ، وما رتبناه من

كتاب الحماسة لأبي تمام يتزن به البيت .

و اعلم أنه لو لا حنو الأبوين على الولد في صغره لكان الولد
أعجز خلق الله في تدبير نفسه ، قال بعضهم :

من راد ينظر إلى كبد تمشى على الأرض فليُنظر إلى ولده
و قيل : النساء أقعد من الذهب ، و الذهب أقعد من الفضة ، و الفضة
أقعد من الأنعام ، إذ [هي - ١] وسيلة إلى تحصيل النعم . فلما صدرت ه
الآية بالحب ، و كان المحبوب مختلف المراتب ، اقتضت جملة الترتيب ما
هو الأهم فالأهم في رتبة المحبوبات ، فكانت النساء^٢ أهم لقوة المحبة لهن
و تقديم الحب لهن في الآية على غيرهن . زعموا أن عصفورا قال لعصفورة :
أنا أرزقك من حوصلتي و أسقيك الماء الزلال من منقاري لمحبتى لك
و شفقتى ، و أنت تصحبين غيرى ، و تجعلينه^٣ في الصحبة نظيري . ١٠
و أنشدها يقول :

أما هذا يجوز بأن تكونى لغيرى فى غدوك أو رواحك
و إن هبت رياح الشوق ليلا أبلغها السلام إلى صباحك
يا هذه ! أنا فى هواك أسير ، و [من - ١] محبتى فىك إلى عشك
أطير ، و لا أريد غيرك من العصافير ، / و لا ذوات المناقير ، و بعد ذلك ١٥ / ٢٤٤ ب
تستبدلين بى الغير ، و تنكرين^٤ فعل الخير . فقالت : يا هذا ! أليس

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) فى الأصل : الدنيا .

(٣) فى الأصل : تجعليه .

(٤) فى الأصل : مستدلى - كذا .

(٥) فى الأصل : تنكرى .

لى عنك براح ، فى الغدو و الرواح ، فوسع صدرك بالانشراح ، و ليس
لى غيرك ، و لا أنكر أبدا خيرك ، إذا كنت باقيا على مودتى ، و متهاديا
على محبتى و عشرتى ، فان نظرت إلى غيرى ، منعتك نفسى و خيرى ،
و إن كنت باقيا على المودة ، كنت لك كالامة فى الرخاء و الشدة ،
٥ فاحذر النظر إلى غيرى ، لئلا أمنعك خيرى ، و آخذ من يصير لى
مملوك ، و لو أنه فقير صعولوك ، فإياك أن تغايرنى ، تخير نفسك و تنقرنى ،
و ترجع تطلبنى فلا تجدى ، و تصير كما قال بعض المشايخ من الكلام
لتليذه عبد السلام : النساء أفاعى ، كن واعى يا عبد السلام ! من تبع
هواهن و هواهن يعطب و السلام . فاذا كان الإنسان يحصل له من
١٠ هواهن المحبة و الافتنان ، فكيف بمن ضارهن بالضرائر عليهن ، فان
الضرة مرة تشوش عليك و على المرة بعد المرة . أما سمعت قول
الأعرابي حين تزوج اثنتين ، فصار بينهما كالخروف بين ذئبتين . قال
لها : وكيف ذلك يا ذات الجناحين ا قالت : قيل لأعرابى : من لم يجمع
بين زوجتين لم يذق حلاوة العيش ، و لا تقر له أبدا عين . فتزوج الأعرابى
١٥ امرأتين ، فحصل له منها مشقتين ، فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعتين
فصرت كنعجة تسمى و تضحى تداول بين أخبت ذئبتين

(١) فى الأصل : باق .

(٢) فى الأصل : متهاد .

رضى هذى يهيج سخط هذى فما أعرى باحدى السخطين
 و ألقى فى العشية كل بؤس كذاك الضر بين الضرتين
 لهذى ليلة و لتلك أخرى عتاب دائم فى الليلتين
 ثم قالت له : إن أردتني أيتها العصفور لك صابرة ، و لا أكون عنك نافرة ،
 فاعفنى من المغايرة . فقال : / أقسمت بالسادة الأطيوار ، السالكين سبل ٥ ٢٤٥ /
 البحار ، الطالبين قرب المزار ، و المغفرة من الكريم الغفار ، لأغارنك
 أبدا ، و لا ركنت إلى صادحة على طول المدى . فطاب قلبها عند ذلك
 و قالت : بحياتي عليك ، و ركوني إليك ، إلا ما أخبرتني من هم الأطيوار
 التي أقسمت لي بهم و عرضت بذكرهم ، فقال لها : سأخبرك أيتها العصفورة ،
 البعيدة عن الضررة المضرورة ! إن الطيور اجتمعوا ، و انخفضوا و ارتفعوا ،
 ١٠ و قالوا : لا بد لنا من ملك نعرف به و نعرف به ، فهلوا نطلق فى طلبه
 و نتمسك بسببه ، و نعيش فى ظله ، و نعتصم بحبله ، يقال له : عنقاء مغرب ،
 ننفذ حكمه فى المشرق و المغرب ، فهلوا بنا إليه ، نتوكل عليه . فقيل لهم :
 و يحكم ! إن البحر عميق ، و الطريق مضيق ، و السبيل سحيق ، و بين أيديكم
 جبال شاهقة ، و بحار مغرقة ، و نيران محرقة ، و لا سبيل لكم إلا الاتصال ،
 ١٥ و لو تقطعت الأوصال ، و دون وصاله حد النصال . فاقعدن فى أوكاركن ،
 و اعترفن من إنكاركن ، فان العجز من شأنكن ، و الملك غنى عنكن .
 و إن الله لذو فضل على العالمين ، أما سمعتم بصائح الحذر ، يصيح و يحذركم
 الله نفسه ؟ قالوا : صدقت ، و لكن منادى القرب ينادى : ففروا إلى الله ! فطاروا

(١) فى الأصل : من احدى . و يستقيم الوزن بما أثبتناه من غير تغيير فى المعنى .

(٢) فى الأصل : هذه - و بها ينكسر ميزان الشطر .

(٣) فى الأصل : بسلبه (٤) فى الأصل : اتصال .

بأجنحة يتفكرون في خلق السموات والأرض، صابرين في ظمأ
 الهواجر، ومن يخرج من بيته مهاجر. فسلكن سبلا عدلا، إن أخذن
 ذات اليمين ألهمن برودة الرجاء، وإن عدلن ذات الشمال أحرقن بحرارة
 الخوف، فمنهم بين سابق ولحاق، ومحاق وإحراق، وتلاش وإفراق،
 ٥ و تغاش واستغراق، حتى وصل من وصل منهم إلى جزيرة الملك وقد
 سقط ريشه، وتضاعف نحوه، وتزايد ذبوله، وصلن إليه خصا بعد
 ما كن بطانا، وجئته فرادى بعد ما فارقت أوطانا. فلما نظرن / إلى جزيرة
 الملك وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، فمن كان همته في المأكول
 والمشروب قيل لهم: كلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية، ومن
 ١٠ كان همته الملابس والنفائس قيل لهم: ويلبسون من سندس وإستبرق،
 ومن كان همته التمتع بالعراس، قيل: وزوجناهم بحور عين، وأما أهل
 الأنفة فقالوا: سبحان الله! إذا كانت اشتغالهم بالمأكول والمشروب
 فمتى يفرغ للمحبوب! ومتى ينال الطالب شرف المطلوب! فالدين
 كل الدين، من رضى بصفقة المغبون، ونحن لا نريد إلا الملك
 ١٥ الذي درجنا لأجابه المحاجر، وصبرنا على ظمأ الهواجر، نقول: ومن
 يخرج من بيته مهاجر، شغلنا بالملابس والمعاجر، فوالذي لا إله
 إلا هو! لا يزيد^١ إلا هو. فقال لهم الملك: ويحكم! فلا شيء جئتم؟
 وبأى شيء أتيتم؟ قالوا: أتيناك بذلة العبيد، وإنك لتعلم ما نريد.
 قال: ارجعوا من حيث جئتم، فأنا الملك إن شئتم أو أيتم، إن الله
 ٢٠ لغنى عن العالمين. قالوا: هو الغنى ونحن الفقراء، وهو القوى ونحن
 (١) في الأصل: بالتمتع. (٢) في الأصل: لا يزيد.

الضعفاء . فأبى قوة نرجع وقد ذهبت قوانا ، و اضمحل وجودنا .
 فقال لهم الملك : إذا صح افتقاركم ، وثبت انكساركم ، فعلى جباركم ،
 انطلقوا فقد يداوى العليل ، فى ظل الظليل ، و قيلوا فى خير مستقر و أحسن
 مقيل ، فمن غلبت عليه برودة الرجاء فليشرب من كأس كان مزاجها
 كافورا ، و من استولت عليه حرارة الشوق فليتناول من كأس كان
 مزاجها زنجيلا ، ثم قولوا للعاشق الذى سلك سبيلا : اشرب من كأس كان
 مزاجها سلسيلا ، فاذا تمت الحمية ، و صحت الحمية فقدموا العليل إلى طبيبه ،
 و قربوا المحب إلى حبيبه . فلما قدموا على طبيبهم تلقاهم و لقاهم نضرة
 و سرورا ، و بقاهم فسقاهم ربهم شرابا طهورا ، فسكروا حيث شربوا ،
 ثم غنى لهم فطربوا ، ثم استزيدوا فزادهم ، ثم استجيبوا و طاروا بأجنحة
 الأنس ، فاذا هم فى حظيرة القدس ، فسقطوا ليلتقطوا حبة المحبة فى مقعد
 صدق عند ملك مقتدر ، فحوصلوا حيث وصلوا ، و اتصلوا حيث
 انفصلوا . فلما حضروا نظروا ، فاذا الحجب قد رفعت ، و الأكواب قد
 وضعت ، و الأحباب قد جمعت ، / و قفل الأذن قد سمعت ، و بنفسها قد
 سمعت ، و تنشد فى ذلك :

١٥

يا قلب بشراك أيام الهنا رجعت و هذه الدار للأحباب قد جمعت
 أما ترى نفحات الحى قد عبقت أنفاسها و بروق القرب قد لمعت
 فعش هنيئا بوصل غير منفصل ممن تحب و حجب الهجر قد رفعت
 فانظر جمال الذى من أجل رؤيته قلوب عشاقه فى حبه انصدعت

(١) فى الأصل : اغنى .

فلما سمعت العصفورة إشارة الطيور من العصفور، داخلها السرور،
وقالت: وأنت لست مني بمهجوراً. فطاب عيشه بها، وازداد حباً لها،
وأنشد لسان حاله يقول:

ما بانه الجزع ما سفع الغدير وما رياض رامة لو أسركم فيها
هـ ومن سليمي ومن سعدى وعزتها أنت المراد وذكرهن تمويهاً
واعلم أن النساء قليل منهن^٢ من تحفظ^٣ الود، وتنفى^٤ بالعهد،

بل ينتظرن بعد موت أزواجهن وفاء العدة و انقضاءها ليتزوجن، ولمودة
الميت يتركن، ولا يعبدن يزرن قبورهم ولا يحزن. قال أبو الحسن
المدائني: احتضر رجل من العرب، فنظر إلى ابنه يدب بين يديه، واسمه

١٠ معمر وأم الصبي عند رأس أبيه. فنظر أبوه إلى أمه وأنشد يقول:

ولمى لأخشى أن أموت وتشكجى، ويقذف فى أيدى المراضع معمر
وترخى ستور دونه وقلائد ويشغلکم عنه خلوف وجمر

والمجمر: البخور ونحوه. فقالت: لا يكون ذلك أبداً، بل أرى ولدى
ثمرة كبدى، إلى أن أزور بعدك لحدى. فما لبث أن مات وتزوجت،

١٥ و صار معمر إلى ما ذكره والده.

ولما احتضر الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، جزع وجعل يقول:

(٢) فى الأصل: مهجور. ويلاحظ فى حكاية العصفور و العصفورة أسلوب
النويرى من سجع مفعول وكذا انزلاقة إلى تفاهات مصطنعة، ولكنها لم تخل
من أبيات شعر طيبة.

(٢-٢) فى الأصل: ممن يحفظ.

(٣) فى الأصل: توفين.

إني لأجد كربا ليس من كرب الموت - و أعاد ذلك دفعات . فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك و عليّ و الحسن و الحسين و هم آباؤك ، فقال : لعمرى ! ليس الأمر كذلك ، ولكن كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت و قد جاء في حلتين و قد رجّل جمته يقول : أنا من بني عبد مناف ه جئت لأشهد موت ابن عمي و ما به ' إلا أن يخطب زوجتي فاطمة بنت الحسين ، فإذا جاء فلا يدخل / عليّ . فقالت زوجته فاطمة : أسمع ؟ قال : نعم . قالت ^٢ : عتقت كل عبد لي و تصدقت بمالي إن أنا تزوجت بعدك أحدا أبدا . قال : فسكن الحسن . فما تنفس و لا تحرك حتى مات . فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله بن عمرو على الصفة التي ذكرها الحسن ١٠ قبل وفاته . فقال قوم : يدخل عبد الله . و قال بعضهم : لا يدخل . و قال قوم : ما يضر من دخوله . فدخل و فاطمة تصبك وجهها و تلطم خدها ، فأرسل لها عبد الله بن عمرو وصيفا كان معه ، فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال : يقول لك مولاي عبد الله بن عمرو ! أبقى وجهك فان لنا فيه أربا . قال : فأرسلت يديها في كميتها بعد أن اختمرت بخمارها ، و عرف ١٥ هو ذلك منها ، فما لطمت بعد ذلك لكمة واحدة . فلما انقضت عدتها خطبها فقالت : و كيف بنذرى و يميني ؟ فقال : نخلف عليك بكل عبد عبيد

(١) في الأصل : بي .

(٢) في الأصل : قال .

و بكل شيء شيتين ، ففعل و تزوجته .

و كانت العرب تتفاخر بقوة الجماع و يقولون : إنه دليل على فحولية الرجل . و كان الليث بن سعد إذا أراد الجماع يقول : اللهم ! شد لي أصله ، و ارفع لي صدره ، و سهل لي مدخله و مخرجه ، و ارزقني ذرية تقاتل في سبيلك . قال بعضهم :

قيام الدين و الدنيا قيام الأير إذ قاما

فما الدين [وما -] الدنيا و ما الكل إذا ناما

و قال آخر يذم أيره لعدم قيامه و طول نومه :

كأن أيرى في كف جارية قطعة جلد قد مسها بلل

١٠ ترنو إليه ثم تشده يا ويح فرج عليك يتكل

و قال آخر تورية :

مالت إلى الأير القوى القائم و أعرضت من أيرى النائم

فسألها تحفظ ما قد مضى فقالت الدنيا مع القائم

و قال آخر :

١٥ هي الدنيا إذا فكرت فيها وجدت حلالها كرم بفعج

و أعظم من ترى و أجل قدرا طوال الدهر عبد فم و فرج

كانت أم سليم من فاضلات الصحابيات ، و هي التي / سألت النبي صلى الله

الف / ٢

و سلم بحضرة عائشة ، قالت : يا رسول الله ! المرأة ترى ما يرى الرجل في

المنام ، فتري من نفسها ما يرى الرجل من نفسه . فقالت عائشة : فضحت

(١) ساقطة من الأصل .

النساء تربت يمينك ! معناه : حكيت عنهن أمرا يستحي من وصفهن به
ويكتمنه . وذلك أن نزول المنى منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال ،
ومنى المرأة أصفر رقيق ، وقد يبيض لفضل قوتها ، وتتلذذ بخروجه ،
و فتور شهوتها عقيب خروجه . وأما منى الرجال فانه في حال الصحة
أبيض ثخين ، يتدفق في خروجه دفعة دفعة ، ويخرج بشهوة ويتلذذ
بخروجه . وإذا خرج استعقب خروجه فتورا ، ورائحته كرائحة
الطلع ، ورائحة طلع النخل قريبة من رائحة العجين . وقيل : إذا يبس
كانت رائحته كرائحة البول ، فهذه صفاته ، وقد يفارقه بعضها مع بقاء
ما يستقل بكونه منيا . وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقا أصفر ،
أو يسترخي وعاء المنى فيسيل من غير التذاذ وشهوة ، أو يستكثر من الجماع ١٠
فيحمر و يصير كماء اللحم ، وربما خرج دما عيطا ، وإذا خرج المنى أحمر
فهو موجب للغسل كما لو كان أبيض . ثم إن خواص المنى التي عليها
الاعتماد في كونه منيا ثلاث : أحدها الخروج بشهوة مع الفتور عقبه ،
والثانية الرائحة التي تشبه رائحة طلع النخل ، الثالثة الخروج بتزريق
و دفع في دفعات ، كل واحد من هذه الثلاثة كاف في إثباته منيا . قال ١٥
بعضهم : إن الإكثار من الجماع يفنى الأجل ، وإن تاركه يطول عمره ،
فرد الشاعر قول قائله عليه بأبيات ذكرها^٢ وهي :

(١) في الأصل : الذي .

(٢) في الأصل : ذكر .

قل للذي يدعى أن النكاح على ما فيه من لذة يفنى به الأجل
وأن تاركه يبقى إلى أمد هيات ذلك أمر ليس يمتثل
لو كان ما تدعيه منك مطرحا وكان يصدق فيه القول والعمل
فلم تطل مدة العصفور مع شبق ولم يمت عجلا من تركه الجمل
٢٤٧ / ب ٥ و اعلم أن النكاح يحتاج إلى المال ، كما قيل : المال قبل العيال / ، قال الشاعر :

و من طلب النكاح بغير مال كصياد الغزال بلا كلاب
قال أبو علي الفارسي : فرقت العرب بين قولك : نكح فلان زوجه ،
و بين قولك : نكح فلان فلانة ، فيريدون بالاول الوطاء ، وبالثنى العقد ،
و يحتمل لهما - هذا معنى ما فهمت عن حكي عنه . فقيل بناء على هذا :

١٠ إن قوله " حتى تنكح زوجا غيره " من القسم الاول ، فوجب أن

لا يستباح بالعقد وحده ، لأن الغاية ما بعده . وفي الصحيح عن عائشة
أن رفاة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها ، فتزوجت بعده عبد الرحمن
ابن الزبير . فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! إن
رفاة القرظي طلقني فبت طلاقى ، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ،
١٥ وإنه والله ما معه إلا مثل هذه الهدية . وأخذت هدية من جلبابها .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لعلك [تريدين - ٢] أن
ترجعى^٢ إلى رفاة^١ لا ، حتى يذوق عسيلتك و تذوق عسيلته . فأوقف
عليه السلام الإباحة على ذوق العسيلة وأبو بكر الصديق جالس عند

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٣٠ .

(٢) زيد من المراجع .

(٣) في الأصل : ترجعين .

- رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و خالد بن سعيد بن العاص بياب الحجرة لم يؤذن له . فطفق خالد ينادى أبا بكر : ألا تزجر هذه عما تخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر أبو عمرو بن الحاجب في مختصره في الفقه قيودا فيما تحل به المستوفاة الطلاق لمن طلقها وهي خمس ، وهي إباحة الوطء الذي يكون به التحليل احترازا من الوطء في الحيض - ٥ وفي معناه النفاس ، و من الوطء في الإحرام ، و من الوطء في الصيام - وفي معناه الاعتكاف ، و ما أشبه ذلك من الموانع ، فيكفي عند مالك إيلاج الحشفة أو مثلها في مقطوعها و إن لم ينزل .
- و حكى عن حسن البصرى أنها لا تحل للأول إلا بالإنزال من الثانى ، و هو ظاهر قوله عليه السلام : حتى تذوق عسيلته و تذوق عسيلتك . إذ ١٠ كان مذهبه اشتراط الإنزال / منها جميعا ، فان كان من الرجل وحده فهو مشكل . و شرطوا كون الإنزال فى القبل ، لأن الوطء المباح مقصور عليه ، و لأنها لا تذوق عسيلته فى غير ذلك المحل ، و لو رطبى سليم الذكر فوق الفرج فأنزل و دخل من مائه فى فرجها و أنزلت هى فلا يحلها و لا يحسنها . و هذا الظاهر من كلام ابن الحاجب لقوله : و يكفى إيلاج ١٥ الحشفة . و إن كلامه خرج على أقل ما يقع به الإحلال . ثم قال : و الانتشار شرط على المشهور ، يعنى أن يشترط فى إيلاج الذكر أن يكون حيا بانعاض ، فان أدخلته بشىء على غير هذه الحال فهل يقع به إحلال ، قولان : المشهور أنه لا يقع إحلال ، و الشاذ أنه يحصل به الإحلال . و الصحيح هو المشهور ، لأن ذوق العسيلة إنما يكون مع الانتشار ، ٢٠

و يشترط بلوغ الزوج ، لأن البلوغ شرط في إقامة الحد على الثاني .
 و من قال : إن شارف البلوغ يحد إذا زنى ، يلزمه أن يقول هذا
 بالتحليل للمرأة ، واختاره هنا بعضهم إذا حصل للمرأة من وطئه مثل
 ما يحصل من البالغ ، و هو قريب من مذهب الشافعي ، و لأن من
 لا يطيقه لا ينتفع به ، فهو في حقها كالعدم - انتهى .

[في الشيبية و الشيب - ١]

و اعلم أن ألد العمر زمن الشيبية ، قال بعضهم في هذا :

زمن الصبا زمن أرق من الصبا و ألد من غفوات عين الساهر

و قال بعضهم :

١٠ ألا إنما الدنيا الشباب و إنما سرور الفتى هاتيكم السكرات

و لا خير في الدنيا إذا ما رعبتها و قد يبست أغصانها الخضرات

و قال بعضهم :

إن الشباب حجة التصابي رواح الجنة في الشباب

فلنذكر ما قيل في الشيب و خضابه ، قال بعضهم :

١٥ و ما خضب الناس المشيب لقبحه

و أقبح منه حين يخضب ناصله

و لكنه مات الشباب فسودت

على الرسم من حزن عليه منازل

(١) ليس العنوان بالنص أو الهامش و لكن اقتبسناه من السياق .

و لبعضهم في ذلك :

٢٤٨ / قلن أترابها علام هجرته فقالت ' هجرته حين شابا
قلن لا تجمعى عليه صدودا حسبه فقدته الشقى [شبابا - ٢]

و لبعضهم :

٥ قالت و قد راعها مشيبي فقالت لا تعجبين من ذا
قد كنت أخا فصرت عما قد كنت بنتا فصرت أما

و قال بعض المشايخ يذم نفسه :

قد كنت أمشى كالآلف و اليوم أمشى لام ألف
و كنت أدعى يا صبي فصرت أدعى يا خرف

و قال بعضهم :

١٠ و قالوا شبت قلت لهم قفوا لي
أحدثكم بشيء عن ولوعى و حق هواكم ما شبت لكن
غسلت سواد شعري بالدموع

و قال بعضهم :

و عيرنى بالشيب قوم أحبهم بعثتم إلى رأسى المشيب بهجركم
فقلت و شأن العاشقين التجميل و ما جاءنى منكم على الرأس يحمل ١٥

و قال بعضهم :

أنكرت شيبى و قالت عجا قلت هذى صبغة الله و ما
ليت شعرى ما الذى دهاه يقاب الأسود مبيضنا سواه

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٢) ساقطة من الأصل .

و قال بعضهم :

قالت و قد أبصرت مشيبي مسود اللون بالخضاب
متى أتاك الشباب حتى رجعت تعزى إلى الشباب
فقلت لا تعجبي فهذا سخام وجهي على شبابي

ه و قال بعضهم :

لم أزل أنتف المشيب إلى أن
كدت أبقى بين الأنام أقطا
كم أعطى على الغواني عيوني
و حق أبي على أن تتغطي

١٠ و لابن الرومي :

يا بياض المشيب سودت وجهي
عند بياض الوجوه سود القرون
والعمرى لأخفينك جهدي
عن عياني و عن ملاح العيون

١٥ و لمحمود الوراق :

يا خاضب الشيب الذي في كل ثالثة يعود
/ إن النصول إذا بدا فكأنه شيب جديد

٢٤/ الف

(١) نقلنا الكلمة للشطر الأول .

(٢-٢) في الأصل : عن بياض .

فدع المشيب لما أرا د قلن يعود كما تريد

وقال الربيع بن ضبع الفزاري لما كبر سنه :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا

أملك رأس البعير إن نحرنا

والمذئب أخشاه إن بررت به

وحندي - أحشى الرياح والمطر

من بعد ما قوّة أعاليها

أصبحت شيخا أعالج الكبرا

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخا طاعنا فى السن ، فقال

له : كيف حالك فى كبرك ؟ قال : تعيقنى الشعرة ، و أعثرنى البعرة .

فقال له : كيف حالك فى قيامك و قعودك ؟ فقال له : إذا كنت قائما

و أردت الجلوس فكانت الأرض تبعد منى ، و إذا كنت جالسا

و أردت القيام فكانت الأرض تتعلق بى . قال له : فكيف حالك

فى أكلك ؟ قال : الكثير يضرنى ، و القليل لا ينفعنى . قال : فما حالك

فى جماعك ؟ فقال : إن الملاح لا يردنى ، و إن القباح لا أريدهن ،

فإن مكنت منه لا أقدر عليه ، و إن منعت منه غضبت على نفسى .

فقال له : كيف حالك فى نومك ؟ فقال : أسهر فى المصنّج ، و أنام

فى المجمع . فقال عمر : والله هذا الكبر بعينه . ثم أمر له بعتاء ، فقبضه

و انصرف - انتهى .

(١) فى الأصل : كان .

و اعلم أن الجماع النافع لاجتماع المنى في أوعيته من غير فكر
 مستحسن يورث لذة و نشاطا، و يبسط النفس، و يزيل الغضب و الغم
 و الوسواس، و يخفف الامتلاء و أوجاع الحالبين و الحقوين . و يجب
 أن يحذره أصحاب الأمزجة اليابسة و من يلحقه عقبيه سقوط قوة،
 و ذهاب شهوة، أو عور عين، و أصحاب المعد و الأحشاء الضعيفة، و يضعف
 العصب و البصر، و يكره على الخواء و الامتلاء، و في الحمام و عقب
 الفصد و الإسهال و القيء، و عند مدافعة البول و الغائط و الريح، و زمن
 الشيخوخة، إذ لا منفعة للرجل فيه بالجماع لعدم القدرة عليه، و لا يصلح
 الجماع إلا للشباب / بخلاف الشيوخ، كما أن الرجال من طبعهم الميل
 ١٠ للأبكار و النسوان الحسان، لا العجائز المطفئات الأسنان، كما قال
 بعض المشايخ يهجو نفسه و امرأته للمعجوز:

أنا شيخ و لي امرأة عجوز تكلفني إلى ما لا يحوز

و قالت رق أيرك مذ كبرنا فقلت نعم قد اتسع القفيز

أما تعلمين أن المتعة بالنساء الحسان، و الأبكار اللواتي كاللؤلؤ

١٥ و المرجان، فقد صرت يا هذه قهرمانه زوجة قهرمان، أما سمعت

قول الشاعر:

كتب المشيب بأبيض في أسود

بغضاء ما بيني و بين الخرد

(١) في الأصل: تعلمي .

(٢) في الأصل: هذا .

خجلت عيون الحور حين وصفتها

وصف المشيب و قلن لى لا تبعد

ولذاك أظهرت انكسار جفونها

دعر وإن خدودها بتوردا

٥ يا حدة الشيب التى ما غادرت

لنفوسنا من لذة بمجرد

ذهب الشباب و سوف أذهب مثل ما

ذهب الشباب و ما امرؤ بمخلد

إن الفناء لكل حى غاية

١٠ محتومة^٢ إن لم يكن فكأن قد

فقلت : عهدى بك فيما مضى و لك هممة ، فكيف صارت ضعيفة

كالرمة . فقال لها : قد كان لى فيما مضى هممة أستغنى^٣ [بها -^٤] عن

لحم السقنقور ، و اليوم لى هم بلا هممة ، و اللهم للهمة كافور . أما سمعت

قول شابة لشيخ حين سأها التزويج ، فجعلت تسخر به فقال بيتين^٥ على

(١) فى الأصل : يتورد .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٣) فى الأصل : استغن .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى الأصل : بيتين .

لسانها حيث قال :

قالت أحب المذنب أول ما

يبدء^١ على الخد غير معوج

قلت أقصره لا يقال لإبطه

قالت وإلا عذارك المثلج^٥

فانقير من جوابها فقار لما يسكبها .

لا يخدمك وجنتك محمودة

رقتا في الياقات طبع الجلود

فقلت : يا هذا ! تجوع الحرة ولا تأكل بشدة . أى تجوع الحسنة

١٠ . لا تزوج بشيخ . قيل : أى لا ترضع لبنها بالأجرة ثم تأكلها .

وهو مثل يضرب للذي لا يمنعه من صيائه شدة فقره . وهذا المثل

للحارث بن سليمان الأسدي ، وقد خطب إلى علقمة بن حفص / الطائي

٢ / ألف

ابنته ، وكان الحارث شيخا ، فقال علقمة لامرأته : احتبرى ما عند

ابنتك . فقالت : أى بنية ! أى الرجال أحب إليك : الكهل الجحجاج ،

١٥ الواصل المناخ ، أم الفتي الوضاح ، الملول الطراح ! فقالت : يا أماء ! إن

الفتاة تحب الفتي حب الرعاء أنيق الكلاء ، فقالت : أى بنية ! إن الفتي

شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : يا أماء ! أخشى من الشيخ أن

يدنس أثوابي ، ويبل شباتي ، ويشمت بي أترابي . فقالت : إن الفتي

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٢) في الأصل : الثلج .

(٣) في الأصل : اما .

يعيرك ، و إن الشيخ يميرك ، أى تنالين^١ خيره بميرتك ، و ليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن . قالت : أما سمعت يا أماء قول الشاعر ؟ قالت : و ما قال ؟ قالت : قال حيث قال : لا يرحل الشيب عن دار يحل بها

حتى ترحل^٢ عنها صاحب الدار ٥

و الفقى يرجى طول عمره ، و استمتع^٣ زوجته بشبابه و بره . فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث ، [و أتى -^٤] بها إلى أهله ، و إنه لجالس يوما بفناء مظلته ، و هى إلى جانبه إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتاجون أى يتصارعون ، فتنفست الصعداء ثم بكت . فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ما لى و للشيوخ الناهضين^٥ كالفروخ . فقال : ١٠ ثكلتك أمك ! قد تجوع الحرة و لا تأكل بشديها . ثم قال : و أبوك ! لرب غارة شهدتها ، و سيئة أردفتها ، و خمرة شربتها ، فالحق بأهلك ، لا حاجة لى فىك . فلحقت بأهلها ، [و تزوجت -^١] بعد عدتها بشباب مثلها .

قال بعض العلماء : يكره نلف الشيب لما روى من نهى النبى ١٥

(١) فى الأصل : تنالى .

(٢) فى الأصل : يرحل .

(٣) فى الأصل : استماع .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى الأصل : الباهضين .

صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وإن قصد به التلبس على النساء فهو أشد في المنع ، لأن ذلك يجرى مجرى الغرور والتدليس . و اعلم أن الشابة أبدا تكره الشيخ لشيبته و قلة حركته . كانت شابة بدويه متزوجة بشيخ بدوى فان ، و من عادة شبان العرب [أنهم - ١] لا يكعبون أوطئهم حين لبسهم لها إلا قياما . فقام الشيخ ليلبس و طاءه كفعل الفتيان ، شرط لانزعاجه لأكعابه ، فقالت زوجته : لما رمت الباطل ، كان هذا منك الحاصل . فقال لها : يا هذه ! قولك هذا دليل على كراهتك لى . / فقالت : نعم ، و أنشدته تقول :

٢٥/ب

أشهى الرجال من النساء موقعا

١٠ ما كان أشبههم بهم خدودا

فلم أنها غير راضية به ، فطلقها و مضت إلى أهلها و اختارت لنفسها شابة مثلهما .

قال أبو العنيس لبعض الحكماء : إني سئلتك عن ستة أشياء ، فأعد

لهن جوابا ، إني سئلتك عن أشهى النساء و أطيب الطعام و أذو الشراب

١٥ و أذكى الرائحة و أمتع الغناء و أفره الخيل . قال : أشهى النساء التي

تخرج من عندها كارها ، و تعود إليها و لها . و أطيب الطعام ما وافق

الجوع . و أذو الشراب كأس راح تعاطيها خليلك ، أو شربة ماء تطفىء

غليلك . و أذكى الرائحة ولد تربه أو بدن تحبه . و أمتع الغناء غناء

جارية مبدعة ، بأوتار أربعة ، صوتها مصيب ، و غناؤها عجيب ، و أفره

(١) ساقطة من الأصل .

الخيل الأشق الأعتق ، الذي إذا طلب لم يسبق ، و إذا طلب لم يلحق
 و إذا سهل أطربك ، و إذا نظرت إليه أعجبك . قال : صدقت و أجدت ا
 أعطه يا غلام مائة دينار . قال : و مائتين . قال : أعطه ما قال - انتهى .
 و اعلم أن الفاسق بجوارحه لا يؤمن على المرأة مع ضعف عقلها ،
 و قلة علمها إن تتبعه على مراده . و الحذر الحذر من الاستمناء باليد !
 فانه لا يجوز ذلك ، و يكون عادياً . فلنذكر ما قيل فيه إن شاء الله
 تعالى - قال حرمة بن عبد العزيز : سألت مالكا عن الرجل يعبث بيده
 في ذكره إلى أن يمى ، فتلا قوله تعالى : " و الذين هم لفروجهم يحفظون " .
 الأعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء
 ذلك فاولئك هم العدون " . و هذا لأنهم يكونون عن الذكر بعميرة ، و فيه
 يقول الشاعر :

إذا حلت بواد لا أنيس به فاجلد عميرة لا داء و لا حرج

و يسميه أهل العراق الاستمناء ، و هو استفعال من المنى . / ، و الإمام أحمد
 ابن حنبل على ورعه يجوز ، و يحتج بأنه إخراج فضلة من البدن ، فجاز
 عند الحاجة ، أصله الفصد و الحجامة ، و عامة العلماء على تحريمه و هو ١٥
 الحق الذي لا ينبغي أن يدان لله^٢ إلا به . و قال بعض العلماء : إنه كالفاعل
 بنفسه ، و هو معصية أحدثها الشيطان و أجراها بين الناس حتى صارت
 مسألة ، و ياليتها لم تقل ا و لو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة

(١) في الأصل : عاد .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٣ آية ٥ - ٧ . (٣) في الأصل : الله .

يعرض عنها لدناءتها ، وقيل : إنها خير من تزويج الأمة . قال بعض العلماء : تزويج الأمة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا وإن كان قد قال به قائل أيضا . ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل ، عار بالرجل الدنيء ، فكيف بالرجل الكبير ! قوله تعالى :
 ٥ ” فمن ابتغى وراء ذلك فهم العُدون “ . فسمى من نكح ما لا يحل عاديا ، وأوجب عليه الحد بعدوانه . واللائط عاد قرآنا ولغة ، قوله تعالى :
 ” بل انتم قوم عدوان “ . فوجب أن يقيم الحد عليهم ، وهذا ظاهر .

كان عمرو بن بحر الجاحظ وزيرا للخليفة المقتدر ، وكان لا يأتيه في اليوم إلا مرة ، ثم لا يعود إلى اليوم الثاني ، وإنه عاد يوما فقال المقتدر :
 ما خبر الوزير ؟ قال : إن سوداء أسأت عليّ الأدب . فقال : عليّ بها . فأحضرت فقال : ويلك ! أسأت الأدب عليّ الوزير ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ! هو الذي ابتدأ بي ، لما نظرنى قال : ” واذا الوحوش حشرت “
 فقالت حينئذ : ” و ضرب لنا مثلا ونسي خلقه “ - تعنى جحوظ عينيه .
 ١٥ فقال الخليفة : قد أحسنت الجواب إلا أنك أسأت فلاجلدتك .
 قالت : لن تستطيع ذلك . قال : ولم ؟ قالت : لأن اسمي عميرة ، فان

(١) قرآن كريم سورة ٢٣ آية ٧ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٦ آية ١٦٦ .

(٣) قرآن كريم سورة ٨١ آية ٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٧٨ .

جلدتی بقول الناس : أمير المؤمنين جلد عميرة . فضحك من قولها وتركها . و إنها تعنى بقولها ذلك الاستمناء باليد ، و كنية ذكر عميرة .

[قصة أهل الرس -]

قال / كعب الأحبار كان مما أحدثه أهل الرس في قومهم عبادة الأصنام ، و إتيان النساء في أدبارهن ، و كانوا يتبادلون بعضهم بعضا كآخذ الثأر . فقال الشاعر في ذلك :

قولوا لمن أخرج فسقيتي لا يأخذ الثأر و لو هدها

حفرت في أسفله حفرة لو جاء ذو القرنين ما سدها

و كان أهل الرس^٢ يتبادلون أيضا في النساء ، يبعث هذا بامرأته إلى هذا ، و هو يبعث امرأته له ، و لا غيرة فيهم . قال : فشق ذلك على النسوة^{١٥} فكان ذات يوم قد اجتمعن على باب مدينتهن يتحدثن بذلك ، إذ أقبل إليهن إبليس على صورة امرأة جميلة ، قال : فقلن له : من أنت ؟ فانك لم نرك قبل هذا في مدينتنا . فقال : أنا امرأة فلان في قرية فلان . و إنها قد جاءت إلى هذه [المدينة -]^٣ لأن زوجها يريد منها هكذا في دبرها ، و إنها لا تريد ذلك ، و ذكرت أنها كانت لها امرأة صاحبة تجتمع بها على السحاق ، و أنها ماتت ، و لست

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) زيد في الأصل : أيضا ، و سيأتي .

(٣) سائطة من الأصل .

أجد لنفسي بدلها، فعجب أولئك النسوة من حديث سحاقها، فحدثهن
أنفسهن بذلك، ففعلنه فوجدن فيه الشهوة التي كن يجدنها في الجماع،
فاستغنين عن الرجال، فهن أول نسوة عملن ذلك، و استغنت عنهن الرجال
بالرجال، فلما استمرت هذه القبائح في الرجال و النساء، بعث الله إليهم
حنظلة بن صفوان، فدعاهم إلى طاعة الله، و نهاهم عن هذه القبائح،
و حذرهم نزول العذاب إن لم ينتهوا عنه و عن عبادة الأصنام، قال: فكذبوه
و انهمكوا فيما كانوا يفعلون، و بقي حنظلة فيهم طويلا يعظهم و يعظ
نساءهم، فكانوا يقولون له: نساؤنا و فروجنا ليس لأحد علينا فيها حكم.
و صاروا في هذه القبائح بحيث كانوا يفعلونها على مرأى العين بلا حشمة
١٠ / الف و لا حياء إلى أن ضربهم الله تعالى بالقحط، فلم ينتهوا و وثبوا / على
حنظلة، قتلوه و أحرقوه، فلما فعلوا ذلك صاح بهم جبريل صيحة
بإذن الله له في ذلك، فصاروا كلهم موتى ممسوخين، و لم يبق في بلدهم
شيء إلا صار حجرا أسود، و كذلك في قراهم و كل من كان على دينهم،
فسمع بهم ذو القرنين، فأنى لينظرهم، فرأى هناك من ديار الجبارة
١٥ و الفراعة و القصور الرفيعة و المنازل المزخرفة و الأبواب الذهب و الأسرة
المرصعة بالجواهر و الخزائن المملوءة بالذهب و الفضة و الجواهر، ثم عاينه
و أصحابه على الأسرة متكئين و التيجان على رؤسهم، و الحجاب عن أيمنهم
و بين أيديهم، و في أيديهم العمد و الأسلحة، و قد صاروا حجارة سوداء،
و نظروا إلى أسواقهم و تجارهم و صنائعهم ممسوخين حجارة، فمنهم من

(١) يريد في الأصل: عليهم.

قبض على ميزانه ، و منهم من أكب على مكيا له ، و الخباز في مخبزه ،
 و الطباخ في مطبخه ، و كذلك أهل اللهو و النساء ملتزمات بعضهن على
 بعض في معاصيهن ، فأخذهم العذاب بغته ، و نظر ذو القرنين ، فاذا بلوح
 عظيم من حجر منصوب في وسط الموتى مكتوب عليه « نحن أهل الرس ،
 بقية آل ثمود ، كنا ملوكا في رخاء العيش ، و لم نكن نؤمن بربنا ،
 و لا نرتدع عن المعاصي ، فبعث الله نبيا منا اسمه حنظلة فهاانا عما كنا فيه ،
 فما انتهينا و قتلناه و زدنا في كفرنا و عتونا حتى مسخنا الله حجارة ،
 فاستعبر ذو القرنين باكيا ، و بكى من كان حوله و انصرف . و أصحاب
 الرس كانوا بحضرموت من أرض الأحقاف و كانوا احتفروا قنوات
 من تحت الأرض سموها الرس ، لإعجابهم بتلك القنوات و المياه الجارية
 فيها ، يأنسون إليها . و كان هلاك قوم نوح بالطوفان ، و قوم عاد
 بالريح العقيم ، و قوم ثمود بالدممة ، و أهل / البئر المعطلة ، القصر المشيد
 بالصيحة ، و أصحاب الرس بالمسخ .

[قصة سليمان الحكيم و أهل مدينة بالمغرب - ١]

و أما القوم الذين عمدوا إلى رؤسهم ضربوها بأظافرهم حتى هلكوا ،
 فهم أهل مدينة بالمغرب و حولها مدن كثيرة ، و فيها ملك عاتيا
 يملك جميع تلك المدن لا يعرف التوحيد ، فكان له مجلس مبني بالحديد

(١) العنوان مقتبس من النص .

(٢ - ٢) في الأصل : ملكا عاتيا .

(٣ - ٣) في الأصل : مجلسا مبنيا .

و القطران الموقود عليه بالنيران ، فاذا حمى الحديد و ذاب ، صبوا عليه القطران ، فالتصق بعضه ببعض ، و هو من بناء عاد الأول ، و له أبواب يجلس عليها ، و قد غزاه كثير من الملوك ، فلم يقدرُوا عليه لقوته و قوة أهل مملكته ، فأخبرت الريح سليمان عليه السلام بتلك المدينة ، فدعا بعفريت فيه قوة سبعين عفريتاً و سأله عن المدينة ، فقال : هذه مدينة قديمة ، بناها شيث بن آدم عليه [السلام - ١] ، و أسكنها ذريته فهم يتوارثونها ، و كانوا مؤمنين إلى زمن موسى عليه السلام ، فأغرام إبليس فهم اليوم يعبدون صنما من الزبرجد الأخضر له ثلاثمائة وستون عينا مصورة ، فقال سليمان له : اثنتى بهذه المدينة من غير أن يعلم أهلها بذلك . فقال : يا نبي الله ! ادع الله أن يعينى على ذلك . فدعا له سليمان ، و سار العفريت حتى اقتلعها بقراها باذن الله ، و حملها على هامته ، و أوقفها في الهواء على رأس سليمان ، فأمر سليمان الريح أن تحمله حتى يشرف على المدينة ، ففعلت الريح ذلك ، فاطلع عليهم سليمان و شاهدهم ، ثم نظر أهل المدينة إلى سليمان و إلى بساطه فوقهم في الهواء ، و كان القوم سود الوجوه ، لهم شعور كأذيال الخيل ، و أعينهم تلهب كأنها نار^٢ يفوح رائحة القطران منها ، و لهم أظافر كالمناجل ، فكلمهم سليمان بلغتهم و قال لهم : أتدرون أين أنتم ؟ / فقالوا : في مدينتنا . فقال :

٢/الف

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : كانوا .

(٣) في الأصل : نورا .

كذلك ، و لكنكم مقلوعون محمولون ، و إن بينكم و بين أرضكم سنين كثيرة ، ثم دعاهم إلى طاعة الله تعالى ، فأبوا و عمدوا إلى أظافرهم و ضربوا بها رؤسهم فهلكوا عن آخرهم . فلما هلكوا أمر سليمان العفريت أن يرد المدينة إلى موضعها و ينظفها^١ منهم . ففعل و أسكنها سليمان قوما صالحين من بني إسرائيل .

و قال وهب بن منبه : و بيننا سليمان ذات يوم جالس^٢ . و إذا هو بجن قد انقضوا عليه و قالوا له : السلام عليك يا نبي الله ! نحن جن من جن الهواء و نحن مؤمنون ، و قد جئناك بخبر مدينة في المشرق لم يبلغ إليها أحد . فسر إليها ترى العجب ، فسار سليمان على متن الريح حتى وصل إليها ، و وقف على رأس الملك الذي بها ، فنظر سليمان للملك^{١٠} وهو في مجلس له ، وهو أعور أعرج ، و عن يمينه صورة من ذهب مرصعة بالجواهر . فصاح به سليمان : لم لا تعبد الله تعالى ؟ فقال : لا أعرفه ، فقال له سليمان : قل لا إله إلا الله ، سليمان رسول الله . فقال له الملك : إن كنت صادقا فيما تقول ، فادع الله حتى يزيل عور عيني و عرجتي فدعا الله تعالى ، فرد عليه في الوقت و الساعة عرجته و عينه . فلما رأى^{١٥} ذلك آمن بالله تعالى و رسوله و أسلم هو و من كان معه ، فأنصرف عنه سليمان عليه السلام - انتهى .

(١) في الأصل : ينظفها .

(٢) في الأصل : جالسا .

[في مدينة الطلاس - ١]

فلنذكر الآن ما قيل في المدينة ذات الطلاس العجيبة إن شاء الله تعالى - ذكرنا أن لواء الملك وسعد السعود ولدى^١ الملك سيف التيجان بينما هما سائران بجيوشهما إذ نظرا إلى واد أخضر نضر ، فيه مياه جارئة من أنهار مطردة ، فنزلوا فيه وطاقوا به ، فوجدوا / في وسطه مدينة عظيمة ، لها ثلاثة أسوار من الرخام المساطع البيضاء ، على كل شرافة لها طلسم عجيب ، و تلك الطلاس بأذانها^٢ أجراس ، فلما أطلت^٣ تلك الجيوش على المدينة ، صفت تلك الطلاس ووصلت تلك الأجراس ، فسمعوا دويًا عظيمًا داخل المدينة ، لأن تلك المدينة خالية ، ليس فيها عامر يعمرها ، ولا قاطن يسكنها ، وليس لها باب ، فقال سعد السعود لأخيه لواء الملك : يا أخي ! هل رأيت أغرب من هذه المدينة التي ليس لها باب ولا فيها عامر يعمرها؟ وهي على ما ترى من الجمال ، وهذه الطلاس التي قد دارت بها ، قال له لواء الملك : لا بد لها شأن من الشؤون ، وما أظن يعمرها إلا الجن ، وهي من بنيانهم . فأمر سعد السعود ١٥ بالنزول حولها ، فنزلت الجيوش في وسط الأرض ناحية من المدينة ، وضربت الأخبية والفساطيط والألوية ، وضرب لسعد السعود قبة من الحرير الملوكي ولأخيه لواء الملك كذلك . ثم عطف سعد السعود على

(١) العنبر مشتق من النص وغير وارد به أو في هامشه .

(٢) في الأصل : ولاد .

(٣) ربما كان المقصود « بماذنها » .

(٤) في الأصل : طلت .

جماعة من أصحابه و قال لهم : من يأتيني بخبر هذه المدينة و له عندي ما أحب . فقام إليه واحد من القوم و قال له : أنا آتيتك بخبرها . فأمر له بسلم و صعد فيه ، فلما استوى بين الشرفات ، و نظر إلى وسط المدينة ضحك ضحكا شديدا ، و رد رأسه إلى أصحابه ، و رمى بنفسه في المدينة ، فلم يزالوا كذلك واحدا بعد واحد حتى فقدوا من أنفسهم جماعة ، فأخذوا واحدا و ربطوه بالحبال ، فلما صعد و نظر إلى المدينة أراد أن يلقي نفسه في المدينة ف جذبوه فسقط رأسه عن بدنه دون أن يمسه حديد . عند ذلك أيقنوا أن الجن تعمرها ، فلما نظر سعد السعود إلى ذلك قال لأخيه لواء الملك : أقسمت قسما لا برحت عن هذه المدينة حتى اعلم ما فيها و إن كان فيها تلاف نفسي . قال له لواء الملك : يا أحمى ! لا تفعل و لا تهلك ١٠ نفسك بغير سبب ، و قد رأيت ما كان من أمر من تقدم قبلك ، قال له : لا بد لي من ذلك . ثم تودع من أخيه و أصحابه ، و سار نحو المدينة يخترق البساتين إلى أن قرب من سور المدينة ، فدار بالمدينة من كل جانب و مكان ليجد مدخلا أو مصعدا فلم يجد ، فأراد الرجوع إلى موضع السلم ليصعد عليه ، فاذا هو بحجر كبير ملهم في وسط السور ، فقرب ١٥ منه فاذا فيه لولب ، فأداره فاذا الحجر يتزحزح عن موضعه ، و إذا من تحته فوهة مغارة يهبط منها بأدراج من الرخام الساطع البياض ، فلم يتمالك أن ضرب يده على قائم سيفه و نزل على الأدراج ، فلما هبط هبط عشرة أدراج إذ سمع دويبا عظيما خلفه ، فرجع وراءه لينظر ذلك الدوي و إذا بالحجر قد انطبق على الباب الذي دخل منه ، فندم على ما فعل ٢٠

(١) في الأصل : الحجر .

بنفسه . ثم إنه جعل يضرب بسيفه في جوانب المغارة فيطير الشرار من الأحجار ، فبينما هو كذلك و إذا قد لاح له ضوء ساطع . فقصده نحوه ، فلما قرب منه سمع دوى عظيم كالرعد ، و سمع هدة ظن أن المدينة تقلعت من مكانها ، و إذا هو بشعبان عظيم عيناه كأنهما^١ المصاييح ، و إذا بالضياء الذي كان يراه إنما كان من عيني^٢ الشعبان ، و إذا به قد فتح فاه و أظهر أنيابه .

و أراد الهجمة عليه . فلما رآه سعد السعود رجع إلى ورائه و قال في نفسه : إن كان شعبانا قصدني ، و إن كان طلسمًا لبث مكانه . فوقف الشعبان مكانه ، فعلم أنه طلسم ، فما زال يتجسس برجله حتى وقع قدمه على لوح من الرخام ، فمد يده إليه و إذا في وسطه لولب فأداره ،

١٠ و إذا الشعبان تزحزح حتى سقط من موضعه ، فاذا هو طلسم من حديد عيناه ياقوتتان حمراوتان ، و إذا من وراء الطلسم بابان^٣ من نحاس ، في الباب اليمين لولب ، و في الباب اليسار لولب . فأدار الذي على اليمين ، و إذا يباب قد انفتح ، و إذا من داخله عشرة أدراج ، فنزل عليها و ظهر له الضياء ، فتأمل و إذا باب و فيه طلسم ، بيده حربة و هو يدور دورانا ،

١٥ من ورائه قصر عظيم . فلما قرب من باب القصر قام عليه الطلسم بالحربة التي بيده و رماه بها ، فكأنها خرجت من كبد قوس ، فزحزح عن طريقها فسلم منها / فعند ذلك وقع الطلسم

٢٥٤ / ب

(١) في الأصل : كأنها .

(٢) في الأصل : عينا .

(٣) في الأصل : باب . و التصحيح بناء على ما سيأتي .

على الأرض على وجهه ، فجأوزه سعد السعود ، ودخل القصر ، فوجد فيه مجالس ومقاصير وشباك الجواهر قد سقطت في الأرض ، والجواهر قد صار تراباً لطول الأزمنة والدهور ، وفي وسط الأرض شجرة عادية ملتفة الأغصان عظيمة الأوراق ، لها طعم لا يشبه طعم الثمار ، وكان قد اشتد عليه الجوع ، فأخذ من تلك الشجرة حبة واحدة فأكل منها . فلما وقعت في جوفه خرس لسانه ولم يطق الكلام ، وبقي مشغولاً بنفسه ، وفي أصل الشجرة عين من الماء يتفجر ، أصفى من الزلال ، وفيه حصى يشبه الجواهر والياقوت والزمرد الأخضر ، فبقى متحيراً فغلب عليه النوم ، فبينما هو كذلك إذا بلوح من رخام ، وكان نازاً الشجرة ، واللوح يرتفع قليلاً قليلاً ، فقال في نفسه : إن لهذا اللوح لنبأ . فقال إلى بعض المقاصير ١٠ وأخفى نفسه فيها وهو ينظر إلى اللوح ، وإذا به قد ارتفع و عبد خارج من تحته كأنه النخلة السحوق ، قد انسدت شفتاه وبرقت عيناه وبوقت منخراه وهو يقود من خلفه جارفة كأنها البدر ليلة كاله ، و يده في ذوائب شعرها ، و بيده سيف كالبرق الخاطف وهو يحرقها بشعرها ، والجارفة عريانة ليس يسترها شيء . فلما عاين سعد السعود ذلك قال : يا ليت شعري ! ما هذه الجارفة مع هذا العبد الأسود ! ثم قال لها العبد : يا ابنة اللئيم ! تأهني للوت ثم إن العبد رد اللوح إلى مكانه ودخل القصر وغاب ساعة ، وإذا به قد أتى بأربعة أوتاد ، وضربها في الأرض ، وأخذ الجارفة وربطها إلى تلك الأوتاد ، ثم عطف عليها وقال : كيف

رأيت؟ فنظرت إليه الجارية بالحافظ تبطل سحر بابل، وتعطل البيض^١
 الصوارم والأسنة^٢ الذوابل، وقالت: يا عبد السوء! اصنع ما شئت!
 أقسمت بالله إن قلت مي الذي تريد أبدا! وما كان ظن أبي هذا منك
 يا عبد السوء! وهي تنادى وتستغيث وتقول: أغثنى يا غياث المستغيثين!
 فلما رأى ذلك سعد السعود قال في نفسه: لا خير في الحياة بعد هذه
 الجارية. ولم يتمالك أن ضرب يده على قائم سيفه / وصاح به صيحة
 و ضرب العبد ضربة على غفلة منه شقته نصفين، وخرت الجارية مغشيا
 عليها من الخوف، وفي خلال ذلك كاهه سعد^٣ السعود لا يقدر على
 الكلام من خرسه بسبب أكل الحبة من الشجرة، فأخذ من ماء العين
 ١٠ غرفة [وألقاها في فيه وبلعها، فلما حصل ذلك الماء في جوفه انطلق
 لسانه. ثم أتى الجارية وأخذ من ماء العين - ٤] غرفة ورش به وجهها،
 فأفاقت من غشيتها بعد أن حلها من وثاقها. فقالت له: من أنت
 يا صبيح الوجه الذي من الله على بك وعصمني من هذا العبد على
 يدك؟ ثم قالت له: ارم على أحد أثوابك. فرمى عليها حلته وثوبا
 ١٥ من أثوابه، فاستترت بهما، والذمع من آماقها منحدر على وجنتيها،

(١) في الأصل: بيض.

(٢) في الأصل: سنة.

(٣) في الأصل: وسعد.

(٤) الجملة المحجوزة ساقطة من النص ووردت بهامشه بخط المصحح

المراجع.

- كأنه الندى على ورق الورد، ثم قالت: هات يدك أقبلها . فمد يده إليها، فمدت إليه أنامل كالفضة البيضاء، كما قال الشاعر:
- مدت إلى أناملا^١ من فضة أطرافهن كخالص المرجان
فبكت فصار الدمع في^٢ وجناتها كالطل فوق شقائق النعمان
- فلما مد لها يده أمسكتها بأناملها وقبلتها وقالت: يا سيدي^١ من أين ه دخلت هذا القصر وليس على أديم الأرض من يتجرأ^٢ أن يدخل هذه المدينة و يقرب^٤ هذه الأرض؟ قال لها: ولم ذلك؟ قالت: لأنه ليس يعمرها إلا الجن، ولكن يا فتى ما اسمك؟ قال لها: اسمي مساعد . قالت له: أنت مسعود عند اسمك، فعطف عليها وقال لها: و أنت ما اسمك؟ قالت له: اسمي المكلة بنت علقمة الحرّوب بن علم الصفوح^{١٠} صاحب أرض العجائب، وذلك أن أبي كان ملك هذه المدينة وهذه الأرض، إلى أن سطت علينا طائفة من الجن، فقتلوا الناس وأرملوا النسوان وأيتموا الولدان، ففر أبي مع جماعة من أصحابه لأطراف هذه الأرض، وبنى فيها مدينة عظيمة يقال لها مدينة العمدة، إلى أن ولدت أنا له، فوكل بي هذا العبد السوء، فتريت معه، وكان أبي يحبه،^{١٥} فوكل أمرى إليه، فلما كان من أيام، طرقتنا عدو لا طاقة لنا به، يقال

(١) في الأصل: أنامل .

(٢) في الأصل: على . و ينكسر الشطر بها .

(٣) في الأصل: يتجرى .

(٤) في الأصل: لا يقرب .

له طود الأطواد بن طارق الأزور ، و ذلك أنه قد حشد حشود الأرض
و جبرشا^١ لا ترام و لا يحصى لها عدد إلى هذا الملك / الثائر سيف التيجان
و أولاده ، فدعا أبي أن يسير معه ، فامتنع أبي من ذلك ، و أبي أن
يسير معه إليه ، فبعث إليه أبي قائدا من قواده بجيوش لا ترام ، و استقل
بحربه . فلما رأى العبد ذلك أخذني و هرب بي ، و دخل من سرداب
إلى هذا القصر ، و صنع بي ما رأيت لما امتنعت منه من مرادته لي
على نفسي ، فمن الله على بك و عصمتي منه يمينك ، فجزاك الله عني خيرا
فقال لها : و كم من هنا إلى مدينة أبيك ؟ قالت : أربعون ميلا . قال
لها : و كيف قدرت على الوصول إلى هنا ؟ فقالت : إنه حملني على
١٠ هجين ، و ركب على جواد من عتاق الخيل ، ثم قالت : إنى سمعت أبي
يصف هذا القصر و ما فيه من العجائب و أمر هذه الشجرة ، فلعلك
أكلت منها شيئا ؟ قال لها : نعم ، و شربت من الماء . قالت له : سلمت
و الله ! لو لم تشرب من العين ما عشت أبدا . ثم أخذت بيده و مشيا
في القصر و نظرا ما فيه من العجائب . ثم أتت به إلى اللوح الرخام
١٥ الذي بازاء الشجرة و رفعتة و هبطت على أدراج و هو يتبعها مقدار
ثلاثة أميال ، لا يمشيان^٢ إلا في ضياء اليواقيت إلى أن أتيا إلى أدراج
صعدا^٣ عليها إلى مغارة مقورة في الحجر الصلد ، و خرجا إلى باب المغارة

(١) في الأصل : جيوش .
(٢) في الأصل : لا يمشيا .
(٣) في الأصل : صعدوا .

فوجد تنجيب و الجواد و هما يوعين من بيت الأرض ، و ليس قد
جن و أرعى جليبه ، و نسدل على الجوفضون أكمه ، و صر ك
قول الشاعر :

واللي مكحول جرح كتم كحل لعيون ظلامه بياضه

و كان نجمه يبه ما بدت للظنيرين مسمر من عسجد ٥

فبدا تلك الليلة يتحدثون بأخبار ملوك ، و سعد السعد يحكيه بأخبار
أبيه و لا ينتسب إليه فتعجبت الخرية بم سمعت و قالت له : و لله
إنه منصور ! ثم إنه عطف عليه و قالت له : سمعت أن له ودين يقال
لأحدهما سعد - السعد و هو من عظم ، و الثاني يقال له نواه الموك .

فبدا يتنقح بسعد السعد ! قال لها : يفعل الله ذلك ، قالت له : ١٠

يا مساعد ! أخبرني من أبناء الملوك أنت أم من أبناء العرب ؟ قال لها :
أنا صنعوك من صعاليك العرب ، قدص للضيعة ، أقتنصها و أعيش من
بيع عظامها ، قالت له : فمن أين لك هذه الحبة التي كسوتني إياها ؟
إنما هي من لباس ملوك ، قال لها : خرجت مع بعض الملوك لصيد

القبيلة فأعطنيها ، فلما وجدت في القصر عريانة وهبتها لك ، قالت له : ١٥

و هل صحبتك شجاعة ؟ قال لها : لست أدعى شجاعة ما دامت النساء تلد ، فيبين
هما كذلك يتحدثان إذ سمعا دويًا عظيمًا زو إذا بسد - ان لضم تنجيب
و هشمه ، حال بينها وبين عقلها و جرعت جزعًا شديدًا ، لأنه كان مركبها
الذي أتى بها العبد عليه ، فلما نظر سعد السعد إلى ذلك لم يتمالك

(١) ساقطة من الأصل . (٢) في الأصل : التي .

أن ضرب يده على قائم سيفه و صاح بالأسد صيحة ، فلما سمع الأسد الصيحة ، ترك النجيب و قام قائماً على قدميه كأنه الصخرة العظيمة و هدر و حمل عليه ، فعند ما رأى ذلك سعد السعود وثب إليه و ضربه ضربة في يده أبراهما ، و ثنى عليه ، قسمه نصفين ، و أتى إلى موضع الجارية ، فلم يجد لها خبراً ، و وجد الجواد و إذا الجارية قد أخفت نفسها في شجرة حين رأت الأسد حمل عليه ، فناداها : يا مكلة ! فقالت : نعم ، لييك يا مساعد ! عشت ! قال لها : نعم ، يا مكلة ! قالت له : و ما صنع الأسد ؟ قال لها : قتلته . فترامت عليه و قبلت يديه و قالت له : بارك الله فيك يا مساعد ! و الحمد لله على سلامتك . ثم سار إلى موضع الجيش لم يجد فيه أحداً^١ . و ذلك أن أخاه^٢ لواء الملك أخذ الجيش و سار إلى بلاد الملك طود الأطواد^٣ بن طارق الأزور . فركب الجواد و أردف الجارية خلفه ، و سار نحو أرض أبيها . فبينما هما في بعض الطريق و قد استحرت عليهما الشمس و القائلة^٤ إذ نظر^٥ إلى غبار البيداء قد أظلمت له الأفق ، و انسدت^٦ له الطرق ، قال للجارية : يا مكلة ! انزلي بنا عن

(١) في الأصل : خبر .

(٢) في الأصل : أحد .

(٣) في الأصل : اخوه .

(٤) في الأصل : الأهوال ، و صحتها جاءت فيما قبل .

(٥) في الأصل : و القابلة .

(٦) في الأصل : نظرت .

(٧) في الأصل : انسدت .

الجواد حتى نرى ما يكون من هذا الغبار ساعة . / و إذا به قطع وحش / ٢٥٦
 مستنفرة قد استقامت على الجارية ، فلما قربت الوحوش منها خرجت
 عن الطريق في البادية ، فأوى سعد السعود إلى شجرة لها ظل ، و نزل
 به من حر الشمس ، و عقل جواده في غصن من أغصانها ، فغلب عليه
 النوم و الجارية المكحلة ، و إذا بعمود ظلام مقبل أسود ، تأملته الجارية
 و إذا به عبد أسود مهول ، كأنه النخلة في الطول ، بشفتين كالضبول ،
 عظيم عبوس ، شديد كبوس ، بيده مقمع من حديد و مقمع ثان^٢
 معلق من كاهله ، و درقة من حديد كأنما صبغ لونه بالمداد ، فلم تشك
 الجارية في أنه عفريت من الجن ، و هو يركض بقدميه الأرض ،
 و الدخان يخرج من منخرينه يفتت الحجار ، و يطير الشرار ، فقالت الجارية : ١٠
 يا مساعد ! قم ترى ما حل بنا . فانتبه و قال لها : ما رأيت ؟ قالت له :
 عفريت من الجن . فلما قرب العبد و رآه سعد السعود ، ترامى على جواده ،
 فصاح العبد و هجم على سعد السعود بالمقمع ، فخرج سعد السعود عن
 طريقه ، فوقع المقمع على صخرة فتتها ، فحينئذ صرخ سعد السعود و حمل
 على العبد حملة صادقة . فلما سمع العبد الصرخة زال عقله ، و ألقى
 الدرقة من يده بين يديه ، ناداه : يا مولاي ! ما هذه الظامة
 الكبرى . و إذا به زعفران بن الشروذ ، صاحب مغارة الأسود . فقال

(١) في الأصل : منهم .

(٢) في الأصل : ثانى .

له : من أين أقبلت يا زعفران ؟ قال : يا مولاي ! خرجت للصيد ،
فضلت في البرية إلى أن لقيتك ، فالحمد لله الذي من علينا بسلامتك
يا مولاي يا سيد الأبطال و ملوكها ! و سجد بين يديه . فلما سمعت
الحارية ذلك من العبد الأسود و سجوده بين يدي سعد السعود .

٥ قالت له : يا مساعد ! ما يكون هذا العبد منك ؟ قال . إنما هو عبدى .

قالت : ألم تقل : إنك صعلوك من صعاليك العرب ، فوالله ما أنت

إلا سيد من أبناء الملوك . قال لها : يا مكلة ! / برح الخفاء ، أنا سعد

٢ / الف

السعود بن الملك سيف التيجان . قرأمت عليه ، و قبلت يديه و قالت :

الحمد لله الذى منّ علىّ بك ! فأعطى الأمان فى أهلى و فى أبى . قال :

١٠ نعم . ثم أردفها خلفه و سار بها ، و تقدم العبد أمامهما كالطود العظيم

و المقامع و الدرقة معلقة بكاهله ، و لم يزالوا سائرين إلى أن أتوا مدينة

عاقمة الحروب و الد المكلة . فلما قربوا من المدينة و إذا بها قد هدمت

و أضرمت نارا ، و القتلى قد امتلأت الأرض منهم . فلما رأت الحارية

ذلك بكّت بكاء شديدا ، فقال لها سعد السعود : مم بكائك ؟ قالت

١٥ له : و كيف لا أبكى و هذه مدينة أبى و ما أشك إلا أن أبى و أهلى

قد هلكوا فى جملة من هلك ! و لكن عسى تتركنى حتى أقتس القتلى .

قال لها : نعم ، فدخلت المدينة و هما يتعجبان مما رأيا فيها . فالتفت

سعد السعود إلى الحارية ، و إذا هى قد أمعنت ، و هى تفتش القتلى ،

إذ نظر إلى رجل ينظر من مكان ، فدلها عليه و إذا والدها طود

(١) فى الأصل : هول .

الأطواد بن علقمة الحروب ، فأتت إليه ، فلما رآها ضمها إلى صدره
و استخبرها عن حالها ، فأخبر بجميع ما جرى لها ، فزوجها لسعد السعود ،
فحملها لسعد السعود إلى ملك أبيه - انتهى .

[خبر الخنساء الشاعرة - ١]

فلنذكر الآن خبر الخنساء الشاعرة إن شاء الله تعالى - اعلم أن المرأة ه
لو بلغت مائة سنة و قيل لها : عجوز ، عز عليها هذه الكلمة و كرهت قائلها ،
و حصل لها الألم الكبير لسببها ذلك . قال علقمة بن عبد الله : خرجت
أسوق ناقة لي سمينة أريد بها حتى قومي ، فأدركني الليل بين أبيات أبي
الشريك فنظرت فاذا للقوم عرس . فسألت فاذا هي عمرة بنت مرداس
و أمها الخنساء الشاعرة ، / فدنوت من القوم ، فقلت : شأنكم هذه الناقة ،
فأذبحوها و استعينوا بها في بعض ما يعوزكم . ثم جلست مع القوم ،
فلما أصلح من شأن العروسة عمرة ، أذن لنا بالدخول عليها لننظرها كيجارى
عادة العرب في نظرهم إلى العرائس قبل دخول أزواجهن بهن . فدخلنا
فأبناها عروسة و سيمة جميلة جالسة على أريكة ، و هي كما قال الشاعر
في مثلها :

١٥

بدت عروس عجنوا حناءها بماء ورد لم يزل ممسكا

للنقش في معصمها حلاوة لما علا من فوقه مشبكا

و إذا الخنساء أمها قبالتها عليها كساء خز و قد هرمت ، و هي تحد النظر إلى

(١) العنوان مشتق من النص و لم يرد بهامشه .

ابنتها عمرة . فقال بعضنا لبعض : كأنها والله الآن تذكر ما كانت فيه من شيبتها ! قال : فأوصى بعضنا إلى عمرة العروسة فقال : أقسم عليك يا ابنة أخي إلا ما هيجت من أمك ! فقامت كأنها تريد أن تنصرف ، فوطأت عني قدمها وخطاة أرجعتها . فقالت : آه يا حمقاء ! فوالله لكأما
 ٥ تطأين عليّ أمّا^١ ورها^٢ . أنا والله كنت أكرم منك عرسا . وأطيب منك ورسا . وذلك في زمي الذي كنت فيه أعجب الفتيان ، أشرب اللبن قارصا أو مخض . لا أذيب الشحم . ولا أرعى البهم ، عقيلة نسوان الخي كالمهرة الصنيع . لا مضاعة ولا عند مضيع . وذلك في شيبتي قبل وقت سلبتي . وأنا الآن في بقية نعر ، أما نظرين عني أكسية الخز
 ١٠ . الأظياب . في ترقى فائحة ، والعيون إلى طامحة . فقبسنا وقلنا : إن السجوز الآن قد شتت همتها . وهاجت غلبتها ، وثار شهوتها ، فمن فيكم أيها الجملة يخطئها . ومن منكم لهذه الهرمة يزوجهها ويركبها ؟
 ٢٥ / الف فتضحكوا وانصروا . هالت : ما لكم ضاحكين ؟ / خزيتم أجمعين !

١٥ . قد تكون إذا أذ سيئة العشرة لزوجهها . فيصير قلقا بها ، فيصير
 من العذاب . كما قال مدائني في « كتاب المساهر و مساحر المسامر » :

(١) في الأصل : وخطتها .

(٢) أي قصدا .

لما من به : وقع في البروت وهي الأباطيل والدواهي .

شكا نبي من الأنبياء امرأته إلى ربه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إني قد جعلت ذلك حظك من العذاب - انتهى .

[ما قيل في البدويات الفاتنات - ١]

فلنذكر الآن ما قيل في البدويات الفاتنات الزينات .

- من الجآذر في زى الأعـاريب حمراً الحلى و المطايا و الجلابيب ه
 ما أوجه الحضر المستحسنات [به - ٢] كأوجه البدويات الرعايب
 أفدى ظباء فلاة ما [عرفن - ٢] بها مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب
 و لا برزن من الحمام مائة أوراكهن صقيلات العراقيب
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية و فى البداوة حسن غير مجلوب
 و من هوى كل من لبست موهة تركت لون مشيبى غير مخضوب ١٠
 لاسيما الأبرار الفاهدات ، و الكواعب الغنجات .

[قصة الحارث بن عمرو الكندى و بنت عوف الشيبانية ١]

فلنذكر ما قيل فى صفة أم إلياس بنت عوف الشيبانية و ليلى بنت مالك العذرية . و كيف صيرت بنت عوف الحارث بن عمرو الكندى

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢) فى الأصل : حسن ، و التصحيح من ديوان المتنبي ص ٣٣٤ ح ٣١٥
 أمين آفندى .

(٣) زيد من الديوان ص . ٣٤ .

(٤) من الديوان ، و فى الأصل : لا برزت .

(٥) من الديوان . و فى الأصل : تركن .

ملك كندة بحبه لها مفتونا ، وكيف صيرت ليلي بحب المجنون لها محونا حتى اشتهر اسمه بالمجنون . فأما عوف فوصل لما قصد ، و أما المجنون فمات بالكم .

فلنذكر قصتها في محبتها إن شاء الله تعالى - كان الحارث بن عمرو الكندي قد بلغه عن أم إلياس بنت عوف الشيباني حسن و جمال ، و بهاء و كمال ، فهام عقله بمحبتها ، و تشوق لنظرها و رؤيتها ، فقيل له : إنها بكر عذراء ، من تزوج بها حصل له السراء . فدعا امرأة من كندة يقال لها : عصام ، ذات عقل وافر ، فقال لها : يا عصام ! قد بلغني / عن أم إلياس بنت عوف عقل وافر و حسن زائد . فصرت بها مفتونا ، و بمحبتها محونا ، فانطأقي حتى تعلني علم ما بلغني عنها ، و إياك أن تقتصرني على الظن دون اليقين ، فان كان كما بلغني عنها تزوجتها . فانطلقت عصام حتى دخلت على أمها أمانة بنت كثير الثعلبية . فرأت امرأة كأنها خادر من الظباء ، حولها بنات لها كالغزلان الشاردات ، فأخبرتها خبر ما قدمت له ، فأرسلت أمانة إلى ابنتها أم إلياس فحضرت ، و العرب من عادتهم يكون بناتهم من صغرهن بأم فلان ، يتفألون بالبنين ، كما يقال : أم البنين ، و قالت

٢٥٨/ب

(١) في الأصل : مفتون .

(٢) في الأصل : محون .

(٣) في الأصل : فانه .

(٤) في الأصل : خادل .

(٥) في الأصل : بناتهن .

(٦) في الأصل : يتفألوا .

أمامة لابنتها أم إلياس : أى بنية ! هذه خالتك أتك لتنظر إلى بعض شأنك ،
 فلا تسرى منها وجها ولا خلقا ، و ناطقها فيما استنطقتك . فانطلقت عصام
 حتى اختلت بها ، فنظرت إلى أجمل وجه ، و أحسن خلق ، و أكمل كال ، و أجمل
 جمال ، و أتم اعتدال ، فى طلاقة من لسانها ، و رخامة فى نغمتها ، فحاورتها
 و استنطقتها و عرفت موارد كلامها ، و مصارف عقلها ، فخرجت من عندها
 و هى مفتونة ، كأنها مجنونة ، و هى تقول : ترك الخداع ، من كشف
 القناع . فأرسلت قولها ذلك مثلا تتمثل به العرب . ثم توجهت إلى الحارث .
 فلما دخلت عليه قال لها : ما وراءك يا عصام ؟ فقالت : صرح المخض عن
 الزبد . قال : أخبريني ما ذا رأيت منها شيئا شيئا حتى كأنى رأيتها كما
 رأيتها ؟ فقالت عصام : أيها الملك ! هى كما قال امرؤ القيس . فقال : ١٠
 و ما قال ؟ فقالت : قال :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسى لديك و أوصالى

ففتح الحارث أذنيه و قال : أخبريني بالله يا عصام ! فقد زدتنى فيها محبة

بانشادك / هذا البيت . قالت : أخبرك حقا و صدقا ، رأيت لها جبهة ١٥

كالمرأة الصينية الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذنان الخيل المصفورة^٢ ،

فاذا أرسلته قلت : عناقيد مضمورة ، أو خلتها كالسلاسل ، أو عناقيد

(١) فى الأصل : مصارفة .

(٢) فى الأصل : المظفورة .

أجلاها الوايل ، مع حاجبين ' كأنما خطا بقلم ، أو سودا بحمم ، قد تقوسا
على مثل الظبية العبهرة التي لم تر قانصا ولم يدعها قسورة ، يبهتان المتوسم
إذا فتحتها . و يحلل أجفانها ما تحتهما ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ،
لا^٢ يحنس به قصر ولا يمعن به طول ، حفت به وجنتان كالأرجوان ،
٥ في محض بياض كالجمان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيد الملائم ، فيه ثنانيا عذاب أشر ،
و أسنان كالدر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة و بيان ، بحركة عقل وافر ،
و جواب حاضر . تلتقى به شفتان حمراوان ، كأنهما في اللبن الزبد ، تجبلان
ريقا كالشهد ، فمها كشبه رمانه ، قد شبهت بالدر النظيم أسنانه ، يتقلب
فيه لسان ذو حلاوة ، دونه خراطم رقاق . فتنة العشاق ، ركب ذلك كله
١٠ على رقبة بضة ، كرقبة إريق فضة ، تصطب في نحر المرأة ، و صدر كلوح
رخام لمن رآه ، يتصل به عضدان ممثلان لحما ، مكتنزان شحما . متصلا بهما
ساعدان ، لا يرى فيهما زندان ، ليس فيهما عظم يمس ، و لا عرق يحس ،
ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما ، اين عصبهما ، تعقد إن شئت منها
الأنامل ، و تغيب الفصوص في حفر الأصابع ، نبت في ذلك الصدر
١٥ نهدان كالرمانتين ، يخرقان عنهما أحيانا ثيابها ، و يمنعانها من تقلد سنجابها ،
فهما كحقي عاج ، يضيء بنورهما الليل الداغ ، تحت ذلك بطن طوى
كطى القباطى المدججة . كسى عكنا كالقراطيس المدرجة ، يحيط تلك

(١) في الأصل : حاجبان .

(٢) في الأصل : لم . (٣) في الأصل : و يمنعانها .

العكن سرّة كدهن العاج ، / خلف ذلك ظهر كالجدول الشجاج ، ينتهى
إلى خصر نحيل مجدل ، لها كفل ككثيب ، يقعدّها إذا قامت و نهضت ،
و ينهضها إذا قعدت ، و قد صار كفلها و نهداها يرفعن قيصها عن بطنها
و ظهرها ، كما قال الشاعر فى مثلها :

أبت الروادف و النهود لقمصها مسّ البطون و أن تمس ظهورها
و كما قال الآخر يمدح بكرًا عذراء :

و قاتلتى بفتور الجفون و مستوفزين^١ على منبر

كحقين^٢ من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر

و كما قال الآخر :

و بصدرها حقان خلتها كافورتين^٣ علاهما ند

و أما سوى ذلك فأنى تركت نعته ، و حسن صفته ، إلا أنه كأكل ما وصفه
قول أو شعر ، و أنت أعرف بقول الشاعر ، قال : و ما قال الشاعر ؟
قالت : إن الحياء يمنعنى أن أذكره . فقال : أقسم عليك إلا ما ذكرته
و وصفته ! بحياتى عليك يا عصام إلا مدحته من غير استحياء ! قالت :
أما سمعت قول الشاعر فى وصفه :

(١) فى الأصل : مستورهن ، و قد مر البيت فى قصة الدعجاء .

(٢) فى الأصل : كحقان .

(٣) فى الأصل : كافورتان .

(٤) فى الأصل : أذكر .

ولها هن كاترس صلب فما يؤلمه ضرب الدبايس

و كما قال بعض الشعراء :

و التف نخذاها و فوقها كفل^٢ كتل الرمل مشتد

من تحته مستهدف جثم كالطفل حين يضمه المهدي

و لها هن راب مجسته ضيق المسالك حشوه وقد

فكأنه لما بدا قدح أكل العيال و كبه العبد

و الساق خرعبة منعمة عبلت و طوق الحجل مستد

بقدمين^٤ كلسانين ، تحت^٥ ساقين كعمودين^٥ ، يحملان^٦ نخذين لفاوين^٦ .

فلما سمع الحارث وصف عصام ، هام و داوم الهيام ، و قال : و الله

١٠ يا عصام ، لقد زدتنى فيها غرام ، بهذا الكلام . و أرسل خطبها من أبيها ،

فقال : هى جارية له على الدوام . فبعث الحارث بما يبعث به على أقدارهم

المملوك^٧ ، فاستغنى أبوها بعد / أن كان فقيرا و صعلوك^٧ . فلما جهزت

و فرغ من جهازها ، دخلت عليها أمها لتوصيها و تعلمها ، فقالت : أى

٢٠ / الف

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول .

(٢) فى الأصل : ياله .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٤) فى الأصل : بقدمان .

(٥-٥) فى الأصل : ساقان كعمودان .

(٦-٦) فى الأصل : نخذان لفاوان .

(٧) كذا لرعاية السجع .

بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، أو مكرمة في حسب ، لتركته
منك ، و لزويتها عنك ، و لكنها تذكرة للعاقل ، و منبهة للغافل . أى
بنية ! إنه لو استغنت امرأة عن الزوج لحاجة إليها لكنت من أغنى الناس
عنه ، و لكنهن للرجال خلقن ، كما الرجال لمن خلقوا ، أى بنية ! إنك
قد فارقت الحق الذى خرجت منه ، و العش الذى درجت فيه ، إلى وكر ه
لم تعرفه ، و قرين لم تألفه ، أصبح لمسكه لعصمتك أميرا عليك ، فكونى
أمة ، يكون لك عبدا . و احفظى عنى خصالا عشرا ، تكون لك ذخرا .
أما الأولى و الثانية فالصحبة له بالقناعة ، و المعاشرة له بالسمع و الطاعة ،
فان فى القناعة راحة القلب ، و فى السمع و الطاعة رضى الرب . و أما
الثالثة و الرابعة فالتفقد لموضع أنفه منك إلا أطيب ريح ، و اعلمى أن ١٠
الكحل أحسن الحسن الموجود ، و أن الماء أطيب الطيب المفقود . و أما
الخامسة و السادسة فالتعهد لوقت طعامه ، و الهدوء عنه عند منامه ، فان
حرارة الجوع ملهبة ، و إن تنغيص النوم مغضبة . و أما السابعة و الثامنة
فالاحتفاظ ببيته و ماله ، و الإرعاء على حشمه و عياله . فان الاحتفاظ
بالمال حسن التقدير ، و الإرعاء على الحشم حسن التدبير . و أما التاسعة ١٥
و العاشرة فلا تفضى له سرا ، و لا تعصى له أمرا ، فانك إن أظهرت
سره ، لم تأمنى غدره ، و إن خالفت أمره ، أو غرت صدره . تم اتقى
بعد ذلك الفرح إذا كان ترحا ، و الاكتئاب إذا كان فرحا . و كونى

(١) فى الأصل : تعطى .

أشد ما يكون لك إكراما ، أشد ما تكونين له إعظاما ، و أكثر ما يكون لك مرافقة ، أشد ما تكونين له موافقة . و اعلمى يا بنية أنك إن تحوى عليه ، و إن تصلى إلى ذلك منه ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك . و هوأه على هواك . فيما أحببت أو كرهت ، و الله يخير لك - و السلام .

١٠ ب / ٥ ثم إنها / حملت إلى الحارث بن عمرو ، فلما رآها أذهل حستها و جمالها عقله و لبه ، فازداد فيها حبه . فأنشد يقول متمثلا :

كانت مسائلة الركبان تخبرنى عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى
ثم تقدم إليها فنفرت ، و أراد منها وصلها فتمنعت ، فأنشد لسان
١٠ حاله يقول :

رقى فديتك ما المشكو كالشاكى ولا المهنى القرير العين كالشاكى
لا تهجرينى فحسى ما أكابده من الغرام الذى شفته عيناك
كفى القتال و فكى قيد أسراك بكفيك ما صنعت بالناس عيناك
جمعت أوصاف حسن غير ناقصة كأن حسنك مقرون بحسناك

١٥ ثم صرعها و عضها ، و تمكن منها و اقتضاها ، فعظم موقعها منه ، و غلبت عليه فأحبها حبا شديدا ، و ولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده - انتهى .

(٢) فى الأصل : ما .

[قصة مجنون ليلى - ١]

فلنرجع إلى ذكر حال قيس بن معاذ مع ليلى بنت مالك إن شاء الله تعالى . اعلم أن الجنون فنون ، فمجنون جن بمحبوبه ، و مجنون جن بالجن ، فالمجنون بالمحبوب يصير في محبته مكروب ، و المجنون بسبب الجن يصرع . و يصير مجنونه مطبوب . قيل : إن قيس بن معاذ المشهور بالمجنون كان قد أحب ليلى بنت مالك العامرية ، و ذلك أن ليلى كانت بديعة الجمال ، تفوق البدر في الكمال ، بجبين كالهلال ، و عيون كعيني الغزال ، يحسبها الناظر لها شبه تمثال . فلما رآها قيس حصل له رؤيتها المحبة لها ، فهام عقله بها ، و صار كما قال الشاعر في مثلها :

١٠ هويت من العرب الحسان خلوب

لها أسهم للعاشقين تصيب

إذا أسفرت تسي العقول بحسنها

و من نورها كل البدر تغيب

/ عروس لها وجه حكى البدر في الضيا

١٥ و طلعة^٢ حسن أبرزته غريب

حوت بهجة [حسناء - ٢] يحكى شعاعها

كواكب در واقعات لهيب

(١) العنوان من النص و لم يرد في هامشه .

(٢) في الأصل : و طلعت .

(٣) زيد ما مضى من نفس الأبيات - راجع ص ٢٥٣ من هذا الجزء .

بغرتها البيضا أنارت فأشرقت

بضوء جبين مزهر وعجيب

بشعر حكى الليل البهيم سواده

و فرق أراد الفجر منه هروب

٥ لها أعين دعج مرض نواعس

لهن فتور للقلوب يذيب

خدود لها كالورد عند اقتطافه

على الوجنات الزاهرات ضروب

و في ثغرها الحاوى لآلى تناثرت

١٠ و راح و شهدا بالرضاب شبيب

لها عنق من جوهر صيغ فتنه

و صدر به الرمان وهو خصيب

و قد أبرزت منها كفوفا نواعما

على المعصمين الرايين ركوب

١٥ و بطن حوى أعكان فيه و سره

كشمع من اللس اللطيف يذوب

و خصر نحيل زانها فيه رقة

بلين وشاح قد علاه كتيب

(١ - ١) في الأصل : وراحا و شهدا .

وساقان كالقضبان أضجوا فواتنا

فكم أنفس أسرى لها وقلوب

بقدّ شبيهه بالفصون كأنه

قضيب من الخيزور وهو رطيب

٥ إذا خطرت تهتز عجا وعزة

يظل بها قلب المحب كئيب

تهتك عشاقا لها بجمالها

ومن حسن رؤياها النفوس تطيب

هي السؤل وهي القصد يحيي بوصلها

١٠ ومن مثل ليلي للسقام طيب

ترى دفتي يا صاح أحظى بقربها

وتجمع شملي بالوصال قريب

على رغم حسادي وعدالي الوشاه

وفي غفلة من حاسد و رقيب^١

فعند ما رأى قيس المجنون ليلي صار بحبها مفتون ، و بها محزون ، فقال من ١٥

فؤاد محزون :

(١) لم نثر على هذه القصيدة في دواوين مجنون ليلي . و قد استعملنا نشرة محمود

كامل فريد (مطبعة حجازي بالجمالية) و عبد المتعال الصعيدي (شركة الطباعة

الفنية المتحدة) و كلاهما من مطبوعات القاهرة بدون تاريخ .

ألا فاشهدوا أنى سكرت بحبها
 بكأسات حب لا بكأس مدام
 إذا كان حد الخمر سبعين جلدة
 وعشرا 'فحد الحب' ألف حسام

هـ وهو القائل أيضا:

لو لا جنونى بها ما كنت أعرف ما^٢
 بين البرية بالعقل الذى نزعا
 أنا هو الواله المجنون يا شرفى
 إن قيل مجنون ليلي كنت مرتفعا
 ١٠ من لامي فى هواها تبق^٣ حالته

مثلى كما قيل مجنون وقد تبعنا

وقيل: إن مجنون ليلي كان حبه فى الله تعالى، و كان يخفى حاله
 بذكره ليلي. و سيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى. و هو القائل أيضا
 فى ليلي:

١٥ ب / ٢ / و إني فى الهوى عبد لليلي مقيم، أن أزور و أن أزارا
 و لو عبد أتى من عند ليلي ليركبني لصرت له حمارا

(١-١) فى الأصل: نخذ الحب.

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول.

(٣) فى الأصل: تبقى.

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى.

ثم إنه صار يهذى بذكر ليلي في ليله و نهاره ، و يصيح « ليلي ليلي » فشاع خبره في الأحياء ، و انتشر في أطراف الدنيا ، و غنت بشعره القينات ، و ترنمت بأقواله النساء و البنات ، فعظم ذلك على أبي ليلي و أهلها و كبر لديهم ، و قال كل منهم : قد فضحنا قيس بن معاذ بشعره ، و حيرنا في أمره . ثم خرج أبو ليلي ، ركب ناقته ، و لم يزل بها سائرا حتى أتى دمشق ، و توسل إلى أن وقف بين يدي أمير المؤمنين مروان بن الحكم ، و كان الخليفة يومئذ ، فشكا إليه حاله و ما يقوله قيس ابن أخيه في ابنته من الشعر ، و أنشده شيئا من شعره فيها ، فاستحسن مروان شعر قيس و قال له : يا مالك ! إن الشعر لا يردده شيء إذا تمكن الحب في القلب . فقال مالك : يا أمير المؤمنين ! إنه يهجم علينا ، و يهتك حجاب أعراضنا . المكينة ، و هتك شعره بناتنا المصونة ، و قد استجرنا بك منه ، و استعنا بك عليه . فانا رعبتكم ، و كل مسؤل عن رعبته ! قال : فأمر مروان أن يكتب كتاب^١ لعامله ، و هو الأمير على قبيلة بني عامر حينئذ ، و هو يقول : أما بعد ! إذا ألم قيس بن معاذ بديار مالك^٢ أبي ليلي^٣ العامرية ، فخذ أشد أخذ ، فإني قد أهدرت^٤ دمه لهم . و أعطى الكتاب لمالك ١٥ بعد أن وضع عليه مروان علامته . فأخذه مالك و أتى به لعامل مروان ، و كان العامل من أكبر محبي قيس لرقه شعره و فصاحته و حسن

(١) مروان الأول من بني أمية و خلافته ٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٥ م .

(٢) في الأصل : كتابا .

(٣-٣) في الأصل : ابوليلة .

(٤) في الأصل : هدرت .

تغزله ، وكان يطرب على سماع شعره كثيرا . فلما قرأ الكتاب قال له :
يا قيس ! لا تعد^١ تلم بديار ليلى و لا تدن منها و لا تقربها . و أوقفه / على
كتاب مروان ، فأنشأ يقول :

٢٦٢ / الف

لقد حجبوا ليلى و آلى أميرها

على يمينا برة لا أزورها

٥

فكيف و قلبي في هواها معذب

و في مهجتي نار يشب زفيرها

و في كبدي منها لهيب و حرقة

و قد سال من أجفان عيني زفيرها^٢

و أصبحت و لها نا كئيبا بجها

١٠

حريق الحشى عبدا لليلي أسيرها

و فيها جفاني كل نخل و صاحب^٣

فيا ليت شعري ما يكون مصيرها

و من أين لي صبر و لالى سلوة

و قد عدت روحى الغداة سرورها

١٥

(١) في الأصل : لا تعود .

(٢) تكررت الكلمة في القافية و أغلب الظن أنها غير ذلك و لم نستطع تحقيقها

من المصادر المطبوعة لقلة الوارد من مستخرجات النويرى فيها .

(٣) في الأصل : و صاحبي .

و قد أظلمت عيني من الدمع و البكا

و عنها ضياها قد نفاها و نورها

فلا تعذلوني تكسبون خطيئتي

فخالة مثلي للممات مصيرها

و قيل : إن معاذاً والد قيس لما رأى حاله تغير ، و قد اصفر لونه ، و ارتعد ه

كونه ، و رق عظمه ، و نحل جسمه ، من محبة ليلى ، قال له أبوه : اتق الله يا بني

في نفسك ! و اعلم أنك إن تمادى بك الحب ، و أفرطت في العشق ، خرجت

على وجهك مجنوناً ، و قلبك مفتوناً ، و بقيت ضحكة للنظارة . فقال : يا أبت !

و سيبلغ أكثر من ذلك ، أتقدر أن ترد قضاء الله ؟ قال والده : لا والله !

ثم قال له : يا بني ! ما أنا ممن يرضاها لك . لأن أمها رومية . فقال : ١٠

رضيت بها يا أبت و لو كانت أمها مجوسية . ثم بكى و قال :

أيها العائب الذي عاب ليلى

قد رضينا بها بكل العيوب

و الهوى يطمس العيوب جميعاً

١٥ لا يرى من يحب غير الحبيب

فقال له أبوه : يا بني ! ما عبتها إلا حتى أزورك بأحسن منها ، و تكون

أمها عربية لا رومية ، فان الروميات جوار للعربيات . فأنشأ يقول :

تعشقت ليلى و ابتليت بحبها

و أصبحت منها في القفار أهيم

(١) في الأصل : لم .

كلفت بها حتى أذابتني الهوى

وصير عظمى بالغرام رميم

وأصبحت فيها عاشقا ومولها

مضى الصبر منى والغرام مقيم

يقول أنى يا قيس عندى خلافها

٥

وأكثر منها بهجة ونعيم

أرى أمها كانت من الروم أصلها

وقصدى أنا أصل يكون كريم

رضيت التي قد عبت يا أبى بها

٢٠ ب

ودع أصلها بين النساء ذميم

١٠

فيا أبى إن كنت حيا ترپدنى

وترجو حياتى بينكم وأقيم

فجد لى بلىلى واصطنعنى لقربها

أصير لها زوجا وأنت سليم

إلى الله أشكو حب لىلى كما شكنا

١٥

إلى الله فقد الوالدين يتيم

وإن زمانا فرق الدهر بيننا

و بينك يا لىلى فذاك ذميم

(١) فى الأصل : لنا .

ثم صاح : وا كبداه ! وا قلباه ! وا مهجتاه ! ثم أغمى عليه ، فظن أبوه و إخوته أنه قضى نحبه ، فداروا حوله ، و لطفوا به ، حتى أفاق من غشيته ، فحملوه إلى منزله ، و هو يهدر بذكر ليلي و غرامه بها و محبته لها . فانظر يا هذا من إلى مقاساة قيس في محبته ، و غمه و غشيته ، و فتنه و محنته ، فالمحبة تشغل البال ، و تهيج البلبال .

٥

فلنذكر ما قيل فيها إن شاء الله تعالى - سئل الشيخ تاج الدين عن المحبة فقال : أغصان تفرس في القلب ، فثمر على قدر العقول ، و أنشد يقول :

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى

١٠ ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصانا و أینع صبوة

و أعقب لي مرا من الثمر المحلى

فكلَّ جميعَ العاشقين هوام

إذا نسبوه كان من ذلك الأصل

١٥ و قيل : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء .

و قيل : المحبة إيثار المحبوب على كل مصحوب . و قيل : المحبة نار في

القلب ، تحرق ما سوى مراد المحبوب .

جلس أبو بكر الشبلي في المارستان ، فدخل عليه أحباؤه ، فقال :

من أتم؟ قالوا : أحباؤك يا أبا بكر ! قال : فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا ،

فقال : إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي .

وقيل : إن شابا أشرف على الناس في يوم عيد من سطح فقال :

من مات عشقا فليمت هكذا ، لا خير في عشق بلا موت . وألقى نفسه من

السطح ، فوقع ميتا . وقيل : / إن بعضهم كتب قصة لبعض الخلفاء يسأله^١

فيها أن يسمعه فلانة جاريتة شيئا من الشعر على عودها ، وأقسم عليه في

القصة بذلك . فقال : أحضروه . فحضر ، فقال : ما حملك على ما ذكرت في

قصتك ؟ أما خفت عقوبتي لاجترائك على ما واجهتني به ؟ قال : هوى

غلب عليّ فأعمى عيني^٢ ، وأطرش أذني^٣ ، وهيج مني ما أعددني عقلي .

فلما سمع الخليفة منه ذلك رحمه وقال : اجلس . فجلس ، وأمره بتلك

الجارية التي ذكرها أن تحضر معها عودها ، فحضرت به ، فأمرها بالجلوس

فجلست ، فأمرها أن تغني بما يقوله لها الفتي . فذكر لها الفتي أبياتا ،

فغنتها على عودها ، فلما فرغت من غنائها ، قام الفتي على قدميه ،

و مضى إلى مهواة في القصر ، فرمى بنفسه فيها على أم رأسه فمات . فضرب

الخليفة يدا على يد وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! أزعج

الجاهل أنني كنت أردتها إلى قصرى بعد أن أخرجتها ! ونظر إليها [فقال-٤] :

ولو صبر وهبتها له ، فاني فهمت منه ، ما طلبها لينظرها و يسمع غناءها إلا

(١) في الأصل : يسأل .

(٢) في الأصل : عيناي .

(٣) في الأصل : اذناي مسامعي .

(٤) ساقطة من الأصل .

أنه كان محبا لها وهي محبة له قبل ابتياعى إياها، فلو صبر أخذها مع نفقة جزيلة . ثم أمرها بالدخول إلى قصره، فلما دخلت القصر قال : أرجعوها، فإنها لم تنتفع بالعيش بعده من حزنها عليه لألفها به فيما تقدم، وبيعوها و تصدقوا بثمنها عنه .

وقيل : راود خطاف خطافة في قبة سليمان عليه السلام ، فامتعت ه عليه . فقال لها : لم تمتعين مني ؟ وإن شئت قلبت القبة على سليمان . وكان سليمان يفهم منطق الطير ، فدعاه و قال له : أنت القائل كذا وكذا ؟ فقال : يا نبي الله ! إن العشاق لا يؤخذون بأقوالهم ، / و المحبون لا يلامون فيما يقولون .

و قال بعضهم : سمعت سمعون وهو جالس يتكلم في المحبة . إذا بطائر ١٠ صغير ، فمقرب منه تم قرب ، فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ، ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ثم مات - انتهى .

نعود إلى أخبار مجنون ليلى و ما قاساه في محبته لها من العناء والبلاء - حدث رجل من بنى عامر يقال له رياح بن حبيب قال : استعمل أمير المؤمنين مروان بن الحكم رجلا من قريش يقال له عمرو بن عوف ١٥ على صدقات حى بنى عامر ، فلاقاه المجنون فامتدحه بأبيات ، فأعجبه شعره فأراد عمرو الخروج إلى حى بنى عامر فقال له المجنون : أسألك حاجة إن قضيتها لي قضى الله لك بها ألف حاجة ! فقال له عمرو : وما حاجتك

(١) في الأصل : طى .

يا قيس؟ قال: أريد منك أن تأخذني إلى حى بنى عامر، فانهم بنو عمى وأهلى وقومى، فأتفرج وأنشرح وأزبل همى وغمى. فقال له: حبا وكرامة يا قيس! ومضى من عنده، فبلغ رهط قيس ذلك، فأتوا إلى عمرو بن عوف وقالوا له: الحذر الحذر أن تدخل بقرى إلى حى بنى عامر! فانهم مترقبون^١ أن يأتهم إلى الحى. فقال لهم عمرو: وما سبب ذلك؟ قالوا: لأن فى الحى جارية يقال لها ليلي. هى ابنة عم قيس، وهو لها محب وبها وامق، وقد شغف^٢ بها حبا، وأضحى فى محبتها كئيبا صبا، ولو لا هو وبها مفتون، ما سمى بالمجنون، وإن أباهما حجبتها عن العيون، خوفا على عرضه من الظنون، وقد منعه من المسير إليهم والقدم عليهم، فأتاهم فردوه، ثم عاد فطرده، ثم عاد فهدده، ثم عاد فتوعده، فلما زاد أمرهم وشاع فى أحياء العرب ذكرهم، مضى أبوها إلى أمير المؤمنين مروان، فوقف إليه، وأظهر سره عليه، وقال: إن لى ابن أخ قد سطا علينا بفصاحته وبلاغته، وقد أتلف عرضنا، فأخرجناه من أرضنا، وعاد فطردهنا، وعاد فمرّ الكلام أسمعناه، فلم يرتد عنا / ولم يرجع ونحن حائرون^٣ فى أمره. فلما سمع مروان كلام مالك أبى^٤

(١) فى الأصل: مترقبين .

(٢) فى الأصل: أشغف .

(٣) فى الأصل: حائرين .

(٤) فى الأصل: أبو .

ليلي ، آجابه للمساعدة عليه ، ثم كتب لعامله المتصرف كتابا يهدر دم
قيس حينما أتاهم ، و حينما لاذ بحيثهم أو دنا منه ؛ فلا تعرض بأخذك له ،
ولا تستصحبه معك لحيثهم ، فتكون سبب إراقة دمه . فلما سمع عمرو
ذلك ، رجع عن رغبته في وصول قيس إلى حي بنى عامر ، فلما أتاه
قيس يرجو إنجاز وعده بمضيئه معه ، قال : يا عمرو ! أنجز وعدي ،
و بلغني قصدي ، بدخولي معك إلى حي قومي و عشيرتي و بنى عمي ، فتمال
له عمرو : ما يمكنني ذلك يا قيس ! ثم أمر له بعشرونوق حمر الوبز سود
الحدق . قال : فردها قيس عليه ولم يقبلها ، و غضب لخلف وعده ،
و أنشأ يقول :

ولما لم يف^١ عمرو بوعدى رأظهر بعد تقريبي صدودي ١٠
و أعرض و استحال الود منه و أرعدنى و لم يوف^٢ و عودي
و عوضنى بعشر من قلاص تروقك^٣ فى الصدور و فى الورود
فلم أرض بها حنقا و غيظا و قلت بردها يا نفس جودي
رددت قلائص القرشى لما رأيت النقض منه للعهود
و راحوا مسرعين و خلفونى عديما من فراقهم و جودي ١٥
فلما أيس المجنون من الخروج صحبة عمرو ، أفضع^٤ يأسه ، و زاد

(١) فى الأصل : يفى .

(٢) فى الأصل : لم يوفى .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٤) وقع فى الأصل : انقطع - مصحفا .

وسواسه ، و ضعف إياسه ، و ضاقت أنفاسه ، و صار لا يسمع و لا يبصر
 و لا يأكل و لا يشرب إلا إن ذكرت له ليلي . قال ابن داب : ثم إن
 عمرو بن عوف عزله أمير المؤمنين مروان عن الصدقات ، و ولى بعده
 رجل يقال له نوفل ، و كان رجلا أدبيا فاضلا ليبيبا شاعرا ماهرا . فبينما
 د هو جالس ذات ليلة عشية النهار ، و الإبل ترد الماء بالقرب من حى
 ليلي ، إذ أقبلت إبل كثيرة ، و معها فتى يحيل الجسم . مصفر اللون ، بادي
 السقام . و هو يتنفس الصعداء ، و يتأوه كندا . فأقبل مسرعا حتى كرع
 مع الإبل . فلما رآه نوفل قال لغلامه : ائتني بهذا الفتى / الأشعث الأغر
 الحال . فقال له الغلام : يا مولاي ! ما تعرف هذا ؟ قال : لا . قال :
 ١٠ هذا قيس بن معاذ المعروف بمجنون ليلى العامرية الذى همام بحبها ، و ما
 فاز بقربها ، و صار بها مفتونا ، إلى أن بقى مجنونا ، و إنه كثير الإنشاد
 فيها ، و له شعر رائع ، و أدب فائق . فقال نوفل : خذ ثيابي هذه
 فأفرغها عليه . قال : يا مولاي ! كان يمزقها ، فانه لا يقبل من أحد شيئا ،
 و لا يأكل لأحد شيئا ، حتى تذكر له ليلي . فاذا ذكرت له فعل ما يراد
 ١٥ منه . قال : فبينما هو يخاطبه فى حديثه ، إذ أقبلت أخت قيس ، و هى
 كالقمر حسنا و جمالا ، و بيدها إناء فيه طعام ، فوقف على رأسه ،
 و كلمته فلم يتكلم ، ثم نادته ثانيا فلم يتكلم . فأنشدت تقول ، بنغمة
 تسمى العمول :

ألا إن ليلى العامرية أصبحت تروم رضا قيس و إن كان نائيا
 (١) فى الأصل : عامر .

فلا تعبوا قيسا على حبه لها ولا تعبوا ليلى لطول التجافيا
 فان عليها أهلها رقبا لها وقد أصبحوا من أجل قيس أعاديا
 سقى الله جارات ليلى تتابعت بهن النوى حتى طوين المطاويرا
 فلما سمع المجنون تكرار ذكر ليلى، رفع رأسه إلى أخته وهي تنشد،
 ثم وضعه^١ على التراب . فقالت أخته: يا قيس! ارفع رأسك، ه
 فهذه ليلى واقفة . فرفع رأسه وقال: أين هي؟ فقالت: الساعة تأتي
 فكل . فاذا جاءتك فوجدتك تأكل فرحت . فأكل حتى شبع، فحينئذ
 رفعت أخته الإناء من بين يديه وتركته، وانصرف قيس فصرخ في
 الإبل، فسعت وسعى خلفها سعيا حثيثا . فقال نوفل: والله ما سمعت
 بمثل هذه الحكاية ولا أعجب منها . فقال لغلामه: ما تكون هذه المرأة
 الجميلة التي أنشدت المجنون وأطعمته الطعام حتى اقتات؟ قال: يا مولاي!
 هي أخته . فقال نوفل: أود لو جلست معه وحادثته وسمعت شعره!
 فقال له: / يا مولاي! إنه يرجع مع الإبل حين ترد الماء، فان أردت
 أن تسمع كلامه، أو تستنشد نظامه، فاحفظ الآيات التي قالتها أخته .
 قال: قد حفظتها حين سمعتها منها . فقال: إذا ورد مع الإبل غدا
 فأنشده إياها، فانه يكلمك . فلما كان من الغد، أقبلت الإبل وقيس
 يحدوها وهي سائرة . قال: فدنا منها نوفل وأنشد الآيات، فرفع
 قيس رأسه إلى نوفل وقال له: من أنت يرحمك الله! فقال: أنا نوفل

(١) في الأصل: وضع.

المتولى على الصدقات . ولم يزل نوفل^١ يلاطفه و يؤانسه حتى أنس به
 و مال إليه ، فسأله نوفل عن أصل محبته لليلي و كيف تمكن هواها منه
 بعد ما كان شغفا ، فصار تلفا ، و كيف ابتلى بهواها و جفاها . فقال
 قيس : إنه كان ولعا ، ثم صار طمعا ، ثم صار لذة ، ثم صار شدة ،
 ٥ ثم صار شغل بال ، ثم صار فكرة و خيال ، و لم يزل على استرسال ،
 حتى زال العقل و زال ، و استقر الجنون ، و دنا المنون . قال : فرق
 له قلب نوفل و رحمه ، و رثى له ، و أمر له بكسوة حسنة ، و سأله
 قبولها منه ، ففعل و لبسها ، ففرح نوفل بذلك ، و قال له : يا قيس !
 أتريد أن أزوجك بليلى ؟ فقال : و من لى بذلك ؟ فقال : امض معنا
 ١٠ إلى أبيها ، و نحن نخطبها منه ، و نعطيه عنك ما يطلب ، قال : أو يفعل
 ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنى من شعرك ! فأنشأ يقول :

قال العواذل لما أن رأوا تلفي

في حب ليلي و قد أصبحت متبول

ما بال قلبك لا ينفك من شغف

و دمع عينيك فوق الخد مسبول

١٥

و أنت يا قيس^٢ مشغوف بمعشقتها^٢

و صرت في حبها يا قيس مهول

(١) في الأصل : نوفلا .

(٢) في الأصل : مشغوفاً بمعشقتها .

فقلت ليلي حياتي لو حظيت بها

فان ليلي المتى والقصد والسول

ليلي التي غيرت حالي بهجرتها

وصيرت خاطري بالبين مشغول

٥ فمن يلم مهجتي في فرط معشقتها^٢

يزيدني ولعا فيها وتخييل

قلبي بها كلف والنفس في عدم

ان شتمت فاقصروا في العذل أو طيلوا

فلما فرغ من إنشاده، قال له نوفل: أحسنت والله يا قيس! ثم إنه

استصحبه معه إلى ديار ليلي، فلما نظرا القوم نوفلا، قد أقبل عليهم

بجماعته وقيس معهم، لبسوا أسلحتهم وخرجوا لقتال نوفل، وقالوا

له: يا نوفل! إنك أتيتنا بما لا نريد، وإنا لا نلبس العار لأجلك، فان

قيسا قد هتك أعراضنا بقوله الشعر في بناتنا، وقد شكونا لأمير المؤمنين

وأهدر لنا دمه، وأباحنا قتله، فما مساعدتك له علينا؟ قال نوفل:

١٥ ما جئت به إلا خاطبا راغبا، ولكم من المهر ما طلبتم واخترتم،

وأنا لكم موافق فيما تطلبون منه، قائم^٦ بكل ما أحببتم عنه. فقالوا:

(١) في الأصل: حضيت .

(٢) في الأصل: عشقتها، ويستقيم الوزن بما أثبتناه .

(٣) في الأصل: نظروا . (٤) في الأصل: نوفل .

(٥) في الأصل: هدر .

(٦) في الأصل: قائما .

هذا أمر لا يكون أبداً فلما أيس نوفل من قلة قبول القوم قوله في قيس، التفت إلى المجنون وقال له: يا قيس! سمعت ما قلت للقوم وما قالوه. قال: فتركة قيس ومضى، وعاد إلى ما كان عليه من الوجد والهيام، والتوله والغرام. ثم إن رجلاً من العرب يقال له فلان الكلبى خطب ليلي، فزوجها أبوها له، فبلغ المجنون ذلك، فهام على وجهه، وانذهل في عقله، وزاد به الحال، وانطلق في قلبه النار، فأنشأ يقول هذا:

أعالج من نفسى بقايا حشاشة

على رمق والروح فى تجرود

١٠ وفى لحد عشقى قد دُفِنت ولم تزل

قبور محبين الملاح لحدود

وقيل: جلس يوماً مع جماعة من قومه يصطلى على جمر فى

يوم شات، فبينما هم كذلك وإذا بزوج ليلي الكلبى قد أقبل إلى الجمع

يتدفأ معهم، فلما جلس رفع المجنون طرفه وأنشأ يقول:

١٥ بحقك هل ضمنت إليك ليلي

قيل الصبح أو قبلت فاما

وهل رفت^٢ عليك قرون ليلي

رفيف^١ الأخوانة فى نداها

(١) فى الأصل: رجل.

(٢) فى الأصل: قوم.

(٣) من الأغاني ٢/٢٤، وفى الأصل: زنت.

(٤) من الأغاني، وفى الأصل: رقيق.

فقال الكلبى : أما أنا إذا أقسمت على فنعم ، فقبض المجنون بكفيه قبضتين من الجمر و طبق عليهما ، / فما أرسلهما إلا و لهما قد سقط مع الجمر ، 'فلام الحاضرون قيسا' على فعله ذلك . فقال :

فلا تعذلونى فى الخطار بمهجتى

هوى كل نفس أين حل حبيبها ٥

فقالوا لزوجها : قم عنا . فهض^٢ قائما و مضى إلى حال سبيله ، فأنشد المجنون يقول :

أيا بعل ليلى هل لك الآن أن ترى

شبيها لليلى فى البرية ناشيا

١٠ أيا بعلها الكلبى لا عشت سالما

و لزلت طول [الدهر-^٣] تلقى الدواهيا

تداويت من ليلى بلبلى فلم أجد

سوى حب ليلى من بلاى مداويا

[خبر كثير عزة و اجتماعه بالمجنون -^٤]

فلنذكر الآن خبر كثير عزة [و اجتماعه بالمجنون ، و ما قاسى هو ١٥

فى محبته لعزة من الفتون و الغبون - كثير عزة^٥] أحد عشاق العرب ،

(١-١) فى الأصل : فلامت الحاضرون قيس .

(٢) فى الأصل : فنهظ .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) العنوان مشتق من النص ، و ليس فى الهامش .

(٥) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت فى هامشه بقلم المراجع .

له في عزة أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله فيها هذا :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

وعزة مطول معنى غريمها

يقال : إن عزة دخلت على أم البنين زوجة عبد الملك

٥ أمير المؤمنين فقالت لها : رأيت قول كثير فيك ؟ وأنشدتها البيت

المذكور ، [فقالت - ١] ما كان هذا الدين يا عزة ؟ قالت : وعدته قبله

فخرجت منها . فقالت أم البنين : أنجزتها وعلّئتمها .

و كان لكثير غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة ،

فأعطى عزة - وهو لا يعرفها - شيئا من العطر فمأطلته أياما و حضرت

١٠ إلى حانوته في نسوة فطالبها ، فقالت : حبا و كرامة ، ما أقرب الوفاء

و أسرعه ! فأنشد الغلام متمثلا :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

وعزة مطول معنى غريمها

فقالت النسوة : أتدرى من غريمك ؟ فقال : لا والله ! فقلن : هي والله

١٥ عزة . فقال : أشهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها . ثم إنه مضى إلى

سيده فأخبره بذلك . فقال : وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه و لك جميع

ما في حانوت العطر . فكان ذلك من عجيب الاتفاق .

و لكثير في مطالها بالوعد شيء كثير ، فمن ذلك قوله هذه

(١) ساقطة من الأصل .

الآيات :

/ أقول لها عزيزُ مطلت ديني

وشر الغانيات ذوو المطال

فقلت ويح غيرك^١ كيف أقضى

٥ غـرـيـمـا ما ذهبت له بمال

و روى أهل الأخبار أن عزة هجرت كثيرا^٢ مدة لم تره حتى كانت

في الحج، فلما قفل الناس من منى و هي مع قومها، لقيت كثيرا راكبا

جملا مع جملة الناس، فحيت الجمل ولم تحي كثيرا، فأنشد كثير يقول:

حيتك عزة بعد الهجر و انصرفت

١٠ فحي ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها

مكان يا جمل^٣ حيث يا رجل

معنى تحيتها أنها قالت: السلام عليك يا جمل! و لم تقل: يا كثير، خوفا

على نفسها من قومها .

١٥ قال بعض مسامري أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: كنت

جالسا ذات يوم في حضرة عبد الملك إذ دخل عليه الحاجب يستأذنه

في دخول كثير عزة عليه، فأذن له فحضر، فسلم بالخلافة و وقف،

(١) من وفيات الأعيان ٣/٢٦٧، و في الأصل: عزك .

(٢) في الأصل: كثير .

(٣) من الدر المنثور ص ٣٤٤، و في الأصل: جملا .

فقال له عبد الملك : أنت كثير عزة ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ! قال :
سمعت أنك قلت فيها شعرا ، فأنشدنا منه شيئا . فأنشأ يقول هذه
الآيات :

خليلي^١ هذا ربع عزة فأنزلا قلو صيكا^٢ ثم انزلا حيث^٣ حلت
٥ و مسا^٤ ترابا كان قد مس رجلها و باتا و قिला حيث قالت و باتت
و في وصل من تهوى هواها^٥ اسألا بها^٥ و قولها عن^٥ حالي و تشتى
و قولها لها ذلك المعنى بحاله و لا تنسيا أنى أموت بحسرتى
و ما كنت أدري قبل عزة ما البكا و لا موجعات القلب حتى تولت
لقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من سافى التراب لضنت^٥
١٠ يقر لعيني ما يقر لعينها و أحسن شيء ما به العين قرت
فللعين إهمال إذا ما ذكرتها و للنفس وسواس إذا ما تجملت
و في حبها أنى سقيم متيم حليف^٦ الأسى دامى الجفون لشقوتى
فقال له عبد الملك : إن شعرك يبكى العيون يا كثير ! فهل فعل العشق

(١) من الأغاني ٢٨٠/٩ ، و في الأصل : قلو صيكا .

(٢) من الأغاني ، و في الأصل : حين .

(٣) في الأصل : بوسا - و لا معنى له .

(٤ - ٤) في الأصل : استلانها .

(٥) في الأصل : لظنت .

(٦) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

بأحد من المتيمين ما فعل بك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: من هو؟ قال: أعلمك يا أمير المؤمنين أني خرجت ذات يوم على نجيب لي، فلما سرت به وصرنا في وسط البرية، وإذا أنا بانسان جالس على تلّ من الرمل يتكلم وحده، ويجيب نفسه / بنفسه، ولا يلتفت إلى أحد، وهو نحيف الجسم، مصفر اللون، أشعث مسبول، لا يكاد ينظر من قدامه ولا خلفه، قال: فدنوت منه وسلمت عليه، فرد عليّ السلام. فقلت له: إنسى أم جنى؟ فقال: ولم ذلك؟ وما أنكرت من حالي؟ قلت: إني رأيتك في هذه البرية وحدك بين هذه الوحوش النافرة، والضباع الكاسرة، وأنت بينهم جالس، وبوحدتك مستأنس. قال: فنظر إليّ ملياً، وأجال بصره قويا، وأنشأ يقول:

١٠

أنست لوحدتي حتى لو أنى رأيت أبي إذا لفررت منه

ولم تدع التجارب لي صديقا أميل إليه إلا ملت عنه

قال: فأقت عنده ثلاثة أيام، وهو كلما اصطاد ظبية أطلقها. فلما

أردت الانصراف عنه، قلت له: أريد [أن - أن] أعرف من أنت! قال:

جعلت فداك! أنا قيس بن معاذ، قتيل حب ليلي. قلت: أنت المجنون؟

بحب ليلي؟ قال: نعم، أنا ذاك وقد عرفتنى، فمن أنت حتى أعرف أنا.

قلت: أنا كثير عزة. قال: إنك صاحب عزة؟ قلت له: نعم، فقال:

الحمد لله الذي جمع بيني وبينك، لقد كنت مشتاقا إلى لقاءك. فلعلك

(١) ساقطة من الأصل.

أن تمضي معي إلى الحى لأقضى من حَقك ما يجب قضاؤه . قال :
 فأتيت معه إلى منزله ، فقال له أبوه : يا بني من هذا ؟ فقال : يا أبت !
 هذا كثير عزة ، فعجل يا أبت باكرامه . قال : فهياً لنا أبوه ضياقة هائلة ،
 ونحر لي جزورا ، و قال : أنتم المساكين العشاق المتيمون^(١) . ولما رآه^(٢)
 أهله قد أنس بقربي ، قالوا : يا كثير ! إن قيسا أنس بك و بقربك ، فلعلك
 تعزله عن هوى ليلي و غرامه بها ؟ فقلت له : يا أخي ! يا قيس ! أقصر
 من ذكرك لليلي و أقل مما أنت فيه من هواها ، ودع ذكرها . قال :
 فنظر إلى و استغرق ، و بكى و تشهق ، و دمعه تدفق ، و قلبه يخفق ،
 و أنشأ يقول :

١٠ رأيت فتى أمسى يفارق قلبه أتصلح أحشاء بغير قلوب

أيا ليل أعياني هواك و هدتني ، و دائي أعبي طب كل طبيب

/ ثم إنه أعطاني أكتافه و ولى . قال : فبقيت حائرا في أمره ، متعجبا

في فعله . ثم انصرفت يا أمير المؤمنين و أنا متفكر فيه و فيما أصاره

الهوى إليه . فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك مما سمع ، و خلع^(٣) على خلعة

١٥ سنة ، و أجازني جائزة حسنة و صرفني .

قال إبراهيم بن عبد الله : خرجت إلى أرض بني عامر أطلب قيسا^(٤)

(١) في الأصل : المتيمين .

(٢) في الأصل : رأوه .

(٣) في الأصل : اخلع .

(٤) في الأصل : قيس .

المجنون ، فلما أتيت أرضهم ، استدلت على حيهم ، فاتيته فاذا أبوه شيخ كبير وإخوته كهول ، فنزلت عندهم وسألتهم عن قيس المجنون ، فقال أبوه : لقد كان أبر أولادى حتى عشق جارية من بنات قومه يقال لها ليلي ، و كانت لا تطمع فى مثله ، فلما فشا أمره معها ، كره أبوها أن يزوجه لها . فتشوش^١ بحبها ، واعتراه الجنون لأجلها . و خرج هائما على وجهه فى القفار ، و ألف الوحش و أفته ، و صار مجنونا بها ، و زوجها أبوها برجل من بنى كلاب ، فحملها الكلبى إلى أهله ، و بقى قيس فى القفر هائما بوجده ، و قد ألفه الوحش لطول مقامه بينها ، و ربما ذهب بعض إخوته بطعام فأبى أن يأكله . و يتركه بعيدا منه ، تارة يأكله و تارة يتركه ، و يأكل من نبات الأرض و عشبها . قال إبراهيم : فقلت لهم : قصدى رؤيته . فمضوا معى ، فطفنا الجبال ، و كشبان الرمال ، فبينما نحن سائرون^٢ ، و عليه دائرون^٣ ، إذ رأيناها جالسا على تل عال من الرمل و الغزلان حوله ترتع ، و هو بالحصى يولع ، و قد خط على الرمل باصبغه هذه الآيات :

الأيها القصاد نحوى ليعلموا بحالى و ما أصبحت فى القفر أصنع^{١٥}
 ألم يعلموا أن القضا قد أفته و أن وحوش القفر حولى ترتع

(١) فى الهامش : فتوسوس .

(٢) فى الأصل : سائرين .

(٣) فى الأصل : دايرين .

و عيشك آتى حيلة غير أننى بلقط الحصى والخط فى الرمل مولع
 / و أن وحوش البر يأتلفون بى ذكور و أنثى ثم خشف و مرضع
 وهذا مقامى فى الفلاة و وحدتى و عشقى لليلى اللهموم بجمع
 فلما رآه أبوه و إخوته على هذا الحال ، بكوا رحمة له ، و رقوا لحاله
 ٥ و ما حل به من غرامه بليلى و ما صار إليه من الجنون ، بعد العقل
 و السكون . فقال له أبوه : يا بنى ! و بلغ بك الحب إلى ما أرى و تركت
 أهلك ، و أذهبت عقلك ، و سكنت القفار ، بعد المنازل و الديار ،
 و رتعت مع الوحش النافر ، و لزمت الهواجر فى المحاجر ! و إن دمت
 يا قيس على ما أنت عليه ضربت بك الأمثال ، و تحدث بأمرك النساء
 ١٠ و الرجال ، و شاع ذكرك فى الأقطار و البلاد و المنازل ، و تحدثت بك
 البنات على المغازل . فقال : يا أيتا ! إن دام على هجر ليلى لأعدمن
 نفسى و قولى ، و قوتى و حولى ، و هذا كله قليل فى حب ليلى . فقال
 له رجلان^٢ من القوم مازحان معه : ماتت ليلى و أنت بالحياة . فلما
 سمع منهما ذلك ، صرخ صرخة عظيمة ، و وقع مغشيا عليه ، فلما أفاق
 ١٥ أنشأ يقول :

أيا ناعيا ليلى أما كان واحدا^٣ من الناس يناعها ، إلى سوا كما
 فلا عشما إلا حليفا بليلى و لامتها حتى اشترى كفنا كما

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٢) فى الأصل : رجلين .

(٣) فى الأصل : واحدا . (٤) فى الأصل : يناعها .

قال إبراهيم : فوثبت إليهما و شتمتهما و أوسعتهما سبا ، و قلت : لا جزا كما
الله خيرا ! ما كفاه ما هو فيه حتى أحزنتماه و قلتم : ماتت - وهي
بالحياة ، لقد قتلتماه . ثم إن المجنون مثل قبرا في الرمل و كنس حوله .
و جعل يقول :

أيا قبر ليلى لا شنأت و لم تزل بلادك يسقيها من الوابل الديم
و يا قبر ليلى إن في القلب غصة تكاد الحشا منها على النار تضطرم
و يا قبر ليلى كم جمال حميته و حسبك منها من كمال و من كرم
و يا قبر ليلى إن ليلى دفينه بلحدك الأخال شهدا ولا ابن عم

/ ثم إنه تنفس الصعداء و أن كمد ، و شفق شهقة عظيمة ، و خفت أنينه ،
و سكت حنينه ، فأتيت لأحرکه أو لأقيمه ، فوجدته قد قضى نجه ، و لحق
بربه . فلما بلغ ليلى موته بكيت و لطمت و صرخت و باتت تلك الليلة
في بكاء و عويل ، و حزن طويل . فلما كان الصباح خمد حسها ، فأتوها
فوجدوها قد ماتت ، فأتى أهل الحى لأبيها ، يعزونه فيها ، إذ سمعوا صوتا ،
و لم يروا شخصا ، و هو يقول :

يا بني عامر مضى العاشقان واستراحا^٢ من ذلة و هو ان
قد بكى الجن و الأناس لقيس و بكته و حوش كل مكان
إن يكونا في هذه الدار قاسوا من بلاء^٢ الهجر و الأحزان

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٢) في الأصل : و لا .

(٣-٣) نقلنا الكلمتين من الشطر الأول للثاني .

فهما اليوم في جنان من الخلد كريمان^١ عند ذى الغفران
و قيل : كان مجنون ليلى من الصالحين المحبين لله تعالى ، و كان
هواه بليلى سترأ لحاله . قال ابن الفارض في معنى ذلك :

فكل مليح حسنه من جمالها معار له أو حسن كل مليحة

٥ بها قيس لبني هام بل كل عاشق كمجنون ليلى أو كثير عزة

و يظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبني و أخرى بثينة و آونة تدعى بعزة عزت^٢

ولسن أسواها لا ولا كن^٣ غيرها و ما ان لها في حسنها من شريكة

و ليسوا سوائى^٤ في الهوى لتقدم على لسبق^٥ في الليالى القديمة

١٠ و ما القوم غيرى في هواى و إنما ظهاري^٦ بهم لللبس في كل هيئة

ففي مرة قيس و أخرى كثير و آونة أبدو جميل^٧ بثينة

(١) نقلاً الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٢) من هامش ديوان ابن الفارض ١٩٧/١ طبعة الأزهر ، و في الأصل :
عزة .

(٣) من هامش الديوان ، و في الأصل : ليس .

(٤-٤) من هامش الديوان ، و في الأصل : و لكن .

(٥) في هامش الديوان : بغيرى .

(٦) من هامش الديوان ، و في الأصل : اسبق .

(٧) في هامش الديوان : ظهرت .

(٨) من هامش الديوان ، و في الأصل : جمال .

تجلت [فيهم - ١] ظاهرا واحتجبت با
 و ما زلت إياها و إياي لم تزل
 إذا أسفرت^٢ في يوم عيد تزاحمت
 فأرواحهم تصبو لمعنى جمالها
 و عندي عيدي كل يوم أرى به
 و كل الليالي ليلة القدر إن بدت^٣
 / و سعي لها حجج به كل وقفه
 و أى بلاد الله حلت بها فما
 و أى مكان ضمها حرم كما
 و ما سكنته فهو بيت مقدس
 و مسجدى الأقصى مساحب بردها
 فليلى فيها كاه^٥ سحر إذا
 و إن طرقت ليلا فشهرى كله
 طنا [بهم - ١] فاعجب لكشف بستره
 و لا فرق بل ذاتى لذاتى أحبت
 على حسنها أبصار كل قبيلة
 و أحداقهم من حسنها فى حقيقة
 جمال محياها بعين قريرة^٥
 كما كل أيام اللقا يوم جمعة
 على بابها قد عادت كل وقفه
 أراها و فى عيني حلت غير مكة
 أرى كل دار أوطنت دار هجرة
 بقرة عيني فيه أحشاي قرت^{١٠}
 و طيبى ثرى أرض عليها تمشت
 سرى [لى - ١] منها فيه عرف نسيمه
 بها ليلة البدر ابتهاجا بزورتي^٦

٢٦٩ / الف

(١) زيد من هامش الديوان .

(٢) من هامش الديوان ، و فى الأصل : سفرت .

(٣) فى هامش الديوان : دنت .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٥) من هامش الديوان ، و فى الأصل : كل .

(٦) من هامش الديوان ، و فى الأصل : بزورة .

وإن قربت دارى فعامى كله ربيع اعتدال فى رياض أريضة
 وإن رضيت عنى فعمرى كله زمان الصبا طيبا و'عصر الشبية'
 و فى بضع و أربعين و أربعمائة^٢ توفى المجنون البغدادي الذى رآه الشبلي
 عند جامع الرصافة يقول: أنا مجنون الله . فقال له الشبلي: لا تستر
 ٥ و تدخل الجامع و تصلى، فأنشأ يقول:
 يقولون زرنا و اقض واجب حقنا

و قد أسقطت حالى حقوقهم عنى

إذا هم رأوا حالى و لم يأنفوا لها

و لم يأنفوا منها أنفت لهم منى

١٥ مر القاضى بكار فى بعض الطرق، فرأى مجنونا و الصبيان
 يضربونه بالحجارة . فقال القاضى بكار: كفوا عنه . فقالوا: إن هذا
 يزعم أنه رأى ربه . فقال: أحق ما قال هؤلاء؟ فقال له: و أظنك
 من جملة الصبيان . فقال القاضى بكار له: إن كنت صادقا فمن أنا؟
 قال: أنت بكار بن قتيبة الذى علقت قيود الناس فى عنقك . فحرك
 ١٥ القاضى بكار رأسه و بكى و مضى و تركه - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل فى شرح حال سمنون المحب إن شاء الله تعالى -

[قال له قومه - ٢]: يا سمنون! المحبة نار تذيب الفؤاد، و تفتت الأكباد،

(١-١) من هامش الديوان، و فى الأصل: عطرا لشبية .

(٢) سنة ٤٠٤ هـ يقابلها ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م .

(٣) زيد لاستقامة العبارة .

و تسلب الرقاد، و تحرق الأجساد، و تلعب بالعقول، و تدمر الفحول،
فان كنت كما تقول، فأين الذبول؟ و أين النحول؟ فلو كان قلبك

محزون، و جسدك بنيران السقم مرزون، / لما رجحت بالسمن حتى
سميت سمنون، فهلا كنت في القياس كقيس المجنون، الذي باح

بسرّه المكنون، حتى سمي بالمجنون؟ فقال: يا قوم! الحديث شجون،
و الجنون فنون، و ما كل محب على الحقيقة مأمون، ذلك حب من

هو في المحبة مغبون، و بعشقه مفتون، تارة يشبه حبيبه بالغصون، و تارة
يمثله بهلال العرجون، و تارة يحليه بالغزال في العيون، و أقوى ما يصفه

بالحاجب المقرون، و نسي "انك ميت و انهم ميتون" فلا عجب لمن

رضى بالدون، و وصف حبيبه بالحركة و السكون، أن يقال له مجنون، ١٠

"فستبصر و يبصرون بايكم المفتون" و أنا الذي أحببت وحداني، و ألفت

فرداني، و هويت من ليس له ثاني، إن تقربت ناجاني، و إن بعدت

ناداني، و إن ظمئت أسقاني، و إن جعت غذاني، فغذاؤه الروحاني،

صلاح به جثماني، و لطفه الرباني، هو الذي رباني، غذيت بذكره،

و ربيت ببه، فقلبي بحبه يسمو، و جسدي بقربه ينمو، و متى صحت ١٥

القلوب، صحت القوالب، و متى عطف المحبوب، كان الشفاء غالب،

و قد خلعت رداء السمن، و شفاء البدن، سترًا على سره المؤمن،

و طويت عليه قلبي المرتهن، فلا يعلم بمن و لا لمن^١.

فان لم أكن في حبه سمينا فلست على سره أميناً^٢

(١) في القطعة السابقة مثل واضح من أمثلة إغراق النويري في السجع المصطنع.

(٢) هذا البيت مكسور.

أما و الذي عذب العاشقيننا لقد أخذ الحب مني يمينا
فلو أن مستخبراً قال لي تريد الشمال لقلت اليميننا
ولو باح سرى بأسراره لما كنت يوماً لسر أميننا
يغالطني القلب صوتاً له وفي القلب مثواه حقاً يقينا
أسائل بالله أين الحبيب ليجلوا^١ صدى القلب^٢ بالله أيننا
و أبدى حيننا لفرط الجوى وأخفى صوتي أني الحنيننا
أستر بين الوري حالتي و أدفن في القلب داء دفينا
و أبدى سرورا إذا ما حضرت وفي الليل أبدى الجوى والآننا
/ يلام الحزين على حزنه و ما يعرف الحزن إلا الحزيننا
١٠ و كيف يلام وأحشاؤه على جمرات الأسي قد طوينا
يودع عينه^٣ طيب الكرى و يستودع الله قلباً رهينا

و قال الشيخ أبو العباس بن العريف:

ألا قيل لمن يدعى حبنا و يزعم أن الهوى قد علق
ولو كان فيما ادعى صادقا لكان على الغصن بعض الورق
١٥ فأين النحول و أين الذبول و أين الغرام و أين القلق

(١) في الأصل : ليجلي .

(٢) في الأصل : للقلب .

(٣) في الأصل : عينا - كذا .

وَأَيْنَ الْخَضُوعِ وَأَيْنَ الدَّمْعِ وَأَيْنَ السَّهَادِ وَأَيْنَ الْأَرْقِ
 أَيْنَ الْخَائِضُونَ بِحُورِ الْهَلَاكِ إِذَا لَمَعَتْ نَارُهُ فِي الْغَسَقِ
 فَهَمَّ شَاخِصُونَ إِلَى ضَوْئِهَا وَقَدْ أَحْدَقُوا نَحْوَهَا بِالْحَدَقِ
 فَبَاتُوا عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِمْ فَهَمَّ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهَا فَرَقِ
 فَقُومَ عَلَى الْبَعْدِ فِي ضَوْئِهَا يَسِيرُونَ فِي وَاضِحَاتِ الطَّرِيقِ ٥
 وَقُومَ أَتَوْا يَخْبِطُونَ الْوَهَادَ إِلَيْهَا بِقَطْعِ جَمِيعِ الْعَلَقِ
 إِلَى أَنْ تَبْدَى لَهُمْ لِأَنْحِ مِنْ الْوَجْدِ أَبْدَى كَمِينَ الْحَرَقِ
 فَغَابُوا عَنِ الْوَجْدِ عِنْدَ الْوَجُودِ وَكُلَّ إِلَى نَحْوِهَا مُسْتَبِقِ
 فَأَيْنَ وَلَا أَيْنَ حَيْثُ انْتَهَوْا وَكَيْفَ وَأَكْبَادِهِمْ تَحْتَرِقِ
 فَمَا بَرَحُوا خَائِضِي لَجَّهَا وَأَمَاجِهَا حَوْلَهُمْ تَصْطَفِقِ ١٠
 إِلَى أَنْ تَرْنَمَ حَادِيهِمْ بَيْتَيْنِ^٢ قَالَهَا مَنْ سَبَقِ
 تَوَلَّعَ بِالْعَشْقِ حَتَّى عَشِقَ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يَطِقِ
 رَأَى^٣ لَجَّةَ ظَنِّهَا مَوْجَةَ فَلَمَّا تَوَسَّطَ فِيهَا غَرِقَ
 فَخَطُّوا إِحْبَالَ مَرَايِهِمْ وَغَطُّوا فَعْطَاهُمْ وَأَنْطَبِقَ

روى أن الجنيد قال: بت ليلة عند خالي سري السقطي. قال: فلما ١٥
 صلي سري ورده، استند في محرابه فنام، ثم أفاق فقال: يا جنيد!

(١) كذا في الأصل، وربما كانت «وَأَيْنَ».

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني.

(٣) في الأصل: راوا.

[أنائم أنت أم يقظان ؟ فقلت : بل يقظان . فقال : يا جنيد - ١]

رأيت في المنام الحق سبحانه و تعالى ، فقال لي : يا سرى ! فقلت :

ليك سيدى و مولاي ! فقال : لما خلقت الخلق قلت لهم : ادعوا محبتى .

و عرضتهم على الجنة ، فهرب منى تسعة أعشارهم ، و بقى العشر ، فجزأت^٢

٥ ذلك العشر عشرة أجزاء ، تم عرضتهم على النار . فهرب منى من

خوفها تسعة أعشارهم ، و بقى عشر العشر ، فجزأت^٢ العشر الثانى أجزاء ،

٢٧ / ب و عرضتهم على الدنيا ، / فطلبها تسعة أعشارهم ، و بقى عشر عشر العشر

فجزأت^٢ العشر الثالث عشرة أجزاء و سلطت عليهم من البلاء وزن

ذرة ، فهرب منى تسعة أعشارهم ، و بقى عشر عشر العشر ، فقلت

١٠ للباقى : يا خاصى ! لا إلى الجنة طلبتم . و لا من النار هربتم ، و لا فى

الدنيا رغبتم ، و لا من البلاء فررتم ، فما الذى تريدون ؟ قالوا : إنك

لتعلم ما نريد ، ما نريد أحدا سواك ، فقلت لهم : إذا كنتم لا تريدون

سواى ، فوعزنى و جلالى لأصبن عليكم البلاء صبا ! قالوا : إذا كنت

مبتلىنا فاصنع ما شئت ! يا سرى ! أولئك الذين دارت عليهم كأسات

١٥ أشربة الولاية فأسكرتهم ، و تلقتهم سيوف الرهبة فذبحتهم ، و نسفت

عليهم رياح المحبة فأنعشتهم . قال الجنيد : ثم خر السرى مغشيا عليه .

فلم يفتق إلى صلاة الفجر - انتهى .

(١) الجملة المحجوزة سائطة من الأصل و واردة بالهامش بخط المراجع .

(٢) فى الأصل : فجزيت .

[ولاية صلاح الدين بن عرام الإسكندرية -^١]

فلنرجع إلى ذكر ولايات ملوك الأمراء بالإسكندرية ، ذكر ولاية ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام الإسكندرية ، ولمع من أخباره المرضية .

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان سنة سبعين وسبعمائة^٢ ورد مرسوم السلطان الملك الأشرف شعبان^٣ من القاهرة إلى الإسكندرية بطلب ملك الأمراء طيدمر البالى ليصير في خدمته ، ولاية صلاح الدين خليل بن علاء الدين على التمهيد بابن عرام عوضه بالإسكندرية . وكان قبل ذلك حاجب الحجاب بها ، و زوج بنت ملك الأمراء طيدمر ، فقرحت بولايته أهلها لارتفاع منزلته ، و علو رتبته ، فقلت في الوقت^٤ :
و الساعة : أيتها مربعة أمدحه بها : هي :

ملك الأمراء . كهف الفقرا . بشرى بشرى . سقا يفتين

نلت التمكين . بطول سنين . صلاح الدين . حميت الدين

و إلى عرام . نسبت دمام . طول الأعوام . بمر سنين

إن السلطان . له الإحسان . على الإنسان . صلاح الدين ١٥

ولاه الشجر . أقام الأمر . عداد الجمر . و كالكسكين

(١) العنوان مشتق من مقدمة النص ، و ليس بالهامش .

(٢) يقابله ١٥ مارس سنة ١٣٦٩ م .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٤) في الأصل : السعة .

- على الكفار . بلا إنكار . حفظا للدار . ونصر الدين
 إن الأمرا . لما ذكرا . آتوا خيرا . عليه متين
 فعلا ورقا . كالغصن رقا . فسق غدقا . ظمأ المسكين
 بذل المعروف . جبر الملهوف . صرف المصروف . نقدا يمين
 ٥ و يمد قراه . إلى فقراه . انظر فتراه . للخير يعين
 جازاه الله . برحمته . سكنى الفردوس . بعليين
- فأقام ملك أمراء يحكم بالإسكندرية^٢ البيضاء السنية ، التي قال فيها
 بعض راصفيها هذه الآيات :

- أبى الإسكندرية ذات حسن بديع ما عليه من مزيد
 ١٠ هي الثغر الذي يبدى ابتساما لتقبيل العنقاة من الوفود
 إذا وانفيتها لم يسق مما بقلبك مذ تراها من بعيد
 من الهم الذي [قد -] خفت منه وقلبك منه في أمر شديد
 حلت بظاهر منها كأنى حلت إذا بجنات الخلود
 فلا بئر معظلة وكم قد رأيت هناك من قصر مشيد
 ١٥ يياض يملأ الآفاق نورا يبشر برقه بسحاب جود

(١) في الأصل : اتوا .

(٢) زيد بعده في الأصل : اندنيه الملقبه - كذا .

(٣) ليس في الأصل .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

فأقسم لو رأتها مصر يوما لكادت أن تغيب عن الوجود
 فكم قصرا بها أضفى كحصن منيع لا كزرب من جريد
 يرص فصوصه بانيه رصا يفضله على نظم العقود
 لها سور إذا لاقى الأعدى يقابلهم بوجه من حديد
 هو الفلك استدار بها أو كم قد رأينا [فيه - ٣] من برج سعيد
 أحاط بسورها بحر أجاج ومنهل أهلها عذب الورد
 هم السادات لا يرجى ويخشى سواهم عند وعد أو وعيد
 فانظر كيف مدحت الإسكندرية وأهلها أيضا، ثم إنهم ما سلموا
 من هجو هاج، كما قال بعضهم تورية حيث قال :

نزبل سكندرية ليس يقرى سوى بالماء أو ظل السواري
 / فلا تطمع بنظرة حرف خبز ثما فيهم لذاك الحرف قارى
 والإسكندرية مدينة عظيمة من بلاد مصر. بناها ذو القرنين، وهو
 الذى سار مشارق الأرض و مغاربها . وأول أمره أنه غلام من الروم
 أعطى ملكا، فسارحتى أتى ساحل البحر المالح من أرض مصر. فابتنى بها
 الإسكندرية . وكان يكتب إليه التاريخ قبل الإسلام ، و كان مؤدبه ١٥
 أرسطاطاليس الحكيم - وقد تقدم ذكرهما و أخبارهما ، فأغنى عن إعادتهما .
 وكان مدة ملك الإسكندر الذى بلغ المشرق و المغرب خمسة عشر سنة .
 ولما بنى الإسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدرها و أرضها . وكان

(١) فى الأصل : قصر .

(٢-٣) نقلنا الكلمتين الأوائين للشطر الأول .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

سلام على القصرين من جانب الرمل

سلام مشوق للديار و للأهل

يحن إليها كلما هبت الصبا

ويشتاقها شوق المحب إلى الوصل

٥ منزل قوم شنت الدهر شملهم

وكم مثلهم قد شنت الدهر من شمل

نمر كما مروا و يبقى حديثنا

وكم مر من قوم و كلهم مثلي

و إني لأبكي حسرة و تأسفا

١٠ على كما أبكي على من مضى قبلي

لئن درست آثارهم و ديارهم

فقد درست من بعدهم آية الفضل

- انتهى -

نعود - فصارت الإسكندرية بتولية ملك الأمراء صلاح الدين

١٥ كالروضة الخضرة، و الحديقة النظرة . قد وقع الصلح بين المسلمين

و الفرنج في أيامه، و طاب العيش بطول مقامه، فوصل إحسانه لأهل

الشر من العلماء و الفقراء و القراء، و صادرت أسمطه ممدودة لمشايخ

الصالحين و الفقراء، و اجتهد في جمع تاريخ جديد، حوى كل معنى

فريد، فجاء حسن التاريخ، و ارتفع قدره كارتفاع المريح، محتوي على ذكر

(١) في الأصل: الأهل .

الخائف ، و القضاء و الفتها ، و المقرئين و المحرئين و الصوفيين و الأدباء
و الشعراء ، فما ذكر فيه من الشعر قول بعضهم حيث قال :

يا أيها السائل عن مذهبي ليقتدي منه بمنهاجي
منهاجي العدل و قمع الطوى فها لمنهاجي من ها جي

٥ و في آية آتى إلى مينة الإسكندرية قازان الجنوى ، فلنذكر خبره

كما تقدم ذكره إن شاء الله تعالى - قد تقدم في هذا الكتاب خبر

٢١ / ب

سافر قازان الجنوى من الإسكندرية بعد قدومه إلى مصر في الرسالة ،

بسبب إتيانه من أرض القرنج بجميع أسارى الإسكندرية ، و ذلك بعد

أن ضمنه بالعودة بهم نجار القرنج المسجونون بالفاخرة ، كما تقدم ذكر

١٠ سبب سجنهم ، ليتخلصوا بعد رجوعهم بالأسارى المسلمين من ضيق

السجون .

فلما سافر قازان المذكور ، غاب ثلاثة أشهر ، و آتى إلى مينة

الإسكندرية بثلاثة أغربة ، و لم يأت معه فيهم سوى دون العشرين أسيرا

و أسيرة ، فيهم قاضى مدينة أنطاليا الماسور بقبرس من حين أن ظفر

(١ - ١) في الأصل : و المقرئون و المحدثون و الصوفيون .

(٢) انظر ما قبل من هذا المجلد صفحة ٢٧٧ و ما يتلوها و راجع الفهارس .

(٣) بمعنى السفارة .

(٤) في الأصل : المسجونين .

(٥) أنطاليا و زدت في « معجم البلدان » إياقوت (ج ١ ص ٣٨٨) في بلد كبير

على ساحل بحر الروم قرابه أنطاكيه .

بها ربيـر بطرس صاحب قبرس ، و ذلك قبل طفره بالإسكندرية ،
كما تقدم ذكره . فأقام قازان بالأسرى في البحر ، ولم ينزل بهم البر ،
و امتنع هو أيضا من النزول . فقيل له : انزل من غرمانك ، و امض
إلى السلطان بلفه الرسالة التي سأفرب بسببها ، فامتنع من ذلك . فقيل :
انزل بالأسارى التي استصحبتهم معك . فقال : اعطوني تجار الفرج ٥
و غلبانهم ، و نخذوا ما معى من أسارى المسلمين ، و طولع السلطان
بوصوله ، و مقالته . و عدم نزوله من سرا كره ، فرصد المرسوم الشريف
بأن ينزل و يبلغ رسالته إن كان نوى رسولا ، و إن كان تاجرا يبيع
و يشتري ، و إلا يرجع من حيث أتى . فلما قرئ عليه مرسوم السلطان
تخير في أمره ، و لم ينتفع بذكره . فقال لقاضى انطاليا الأسير الذى أتى ١٠
به : أرسل و اطلب من قاضى قضاة المسلمين عمامة تتعمم بها . فأرسل
مع المكلمين الذين يأتون لقازان فى كل يوم بالضيافة . و طلب منه عمامة
يستر بها رأسه لعددها على رأسه . [فلم يرسلها المسلمون] [نكايه فى
قازان . فقال قازان : بخلوا عليه بعمامة يتعمم بها ، و أنا وزات اصاحب
/ قبرس فيه أربعة آلاف دينار ليصير عند قضاة المسلمين . فلما بلغ قوله ١٥
ذلك لملك الأمراء صلاح الدين ، أرسل يقول له : خذ فيه الزادة على
ما ذكرت ، و انزل به بكسوة أجل الكسوى ، و نوليه الحكم و تفعل به
(١) العبارة ساقطة من الأصل ، و احتمال وجودها بهامش المخطوط ، أضفناها
لاكمال السياق .

كل فعل جميل، فخاف قازان الملعون إن هو نزل به تكلم عند السلطان بما لا يعجبه من مكره وحيله التي أتى بها ليخلص أصحابه الفرج . و كان امتناع قازان أيضا من النزول من مراكبه خوفا على نفسه من الأسر ، وأنه لا يعود يرى بلاده أبدا لكذبه وعدم إتيانه .
 ٥ بأسارى الإسكندرية الذين^٢ كان [تعهد -]^١ بحضورهم بأجمعهم . و الملعون كبير في بلاده ، له فيهم الأمر و النهى و التقدمة على عشرة آلاف مقاتل كما قيل .

وقيل أيضا : إنه كان السبب في أخذ مدينة القرم بأرض التركية من أهلها المسلمين ، نهبها و سبي ما قدر عليه من أهلها . فحينئذ انضرب الملعون في رأسه حين منع^٣ المسلمون ، إرسال عمامة لقاضي مدينة أنطاليا .
 و كان زعمه أن يأخذ به جميع أسارى النصارى التي بأيدي المسلمين لمعزة القضاة عليهم ، و خاف أن يرجع إلى ملوك النصارى الذين^٤ التزم لهم بخلاص تجارهم من أيدي المسلمين بمكايده التي زعم بها أن

(١ - ١) في الأصل : الذي أتى به .

(٢) في الأصل : الذي .

(٣) الكلمة ساقطة من الأصل و هي لازمة من السياق .

(٤) مستعمرة cafa الجنوبية واقعة على بحر آزوف المتفرع من البحر الأسود في جنوب روسيا .

(٥) في الأصل : منعت .

يخلصهم منهم ، فيلومه ' ملوك النصرانية ، و يعجزوا رأيه و سعيه فيما نهض فيه ، و لم يصعد معه [أحد - ٢] ، فخار فكر الملعون فيما ذا يفعل ، و كان قد أتى بالثلاثة أغربة فيها رجال الحرب ، خشية من محاربة المسلمين له إذا امتنع من النزول منها ، فيجد معه من يستنصر بهم من رجاله . فاقام مدة شهر في المينة ، و الضيافة تأتي إليه في كل يوم من الإسكندرية تطمينا له لينزل من مراكبه ؟ و كلما سئل في النزول يمتنع منه / خوفا على نفسه ، فلما بثت المسلمون من نزوله ، قالوا له : و أين أسارى الإسكندرية الذين ادعيت إحضار ألف أسير منهم و التزمت بذلك . قال : و حدثهم قد تصرخوا ، و ما في الديانة أن يؤمروا بترك ما اختاروه لأنفسهم ، و لا يجبروا على رجوعهم للإسلام ، فان رجعوا باختيارهم عن دين النصرانية يقتلوا في شرع الملة المسيحية ، فقال المسلمون له : و كذلك تجار النصارى الأسارى ، أسلبواهم و غلبانهم ، و ما في الديانة أن يؤمروا بترك دين الإسلام ، و يعودوا لعبادة الصليبان و الأصنام ، فان ارتدوا يكون ارتدادهم سببا لعقابهم و ضرب رقابهم .

١٥ فلما سمع قازان ذلك ضلت مكايده ، و عميت سبله ، و ضاعت

(١) في الأصل : فيلوموه .

(٢) ليست بالأصل ، و ذكرها لازم لاكتمال الجملة و المعنى .

(٣) في الأصل : فقالت .

حيلة . ثم إن مرسوم السلطان ورد بالقبض على رجاله الذين ينزلون من مراكبه في كل يوم يتسوقون من الإسكندرية ما يحتاجونه من الهدايا التي يحملونها معهم إلى بلادهم ، و يختمون أيضا على بضائع تجار الفرنج المأسورين بالقاهرة المخزونة بفنادق الإسكندرية . فقبض على أربعين علجا ٥ من أصحاب قازان ، فلما علم قازان بقبض رجاله و منع الضيافة عنه كجاري عاداته ، رجع بالخبيبة مقهورا مدحورا ، و رجع بالأسارى معه ، إذ لم تنجع له حيلة ، و لا صحت معه مكيدة .

فلما كان بعد رجوعه إلى بلاده بمدة قريبة ، قدم غراب^١ من قبرس إلى مينة الإسكندرية ، فطلب منه صاحب قارب الخيمة نزول واصله ١٠ من الفرنج على جاري العادة يخبر بما أتوا بسببه . فقالوا له : إن معنا رسلا^٢ ، و معنا أيضا الأسارى التي رجع بهم قازان ، و إن ربير بطرس صاحب قبرس قُتل ، و ولي الملك بعده أخوه البرنز^٣ ، و نادى بالآمن و الأمان ، و حصلت التهانى بقتل ربير الذى أفنى البلاد ، و أهلك العباد . و قال الملك البرنز^٤ : أنا غلام ملك مصر و مملوكه ، و يريد أن تأتوا ١٥ بسورة^٥ تأخذون^٥ فيها قاضى أنطاليا و الأسارى التي بصحبته ، فان الملك

(١) فى الأصل : غرابا .

(٢) فى الأصل : رسل .

(٣) فى الأصل : البريز . و الكلمة من الأصل الفرنجى Prince

(٤) راجع موضوع السفن (ج ٢ ص ٢٣٥) .

(٥) فى الأصل : تأخذوا .

غضب على قازان بسبب / رجوعه بأسارى المسلمين إلى قبرس . فرجع صاحب قارب الخيمة لملك الأمراء صلاح الدين بلغه ما قيل له . فقال : ارجع إليهم و قل لهم : إن كان معكم أسارى كما ذكرتم ، فارموهم بأرض المنار يأتوا إلينا مشاة على سيالته . فرجع إليهم صاحب قارب الخيمة ذكر لهم ذلك ، فلم يرموا غير رجلين مسلمين ، ذكر ملك الأمراء ه أنها استيسرا من جهة بلد طرسوس بالشام ، فعوقها ملك الأمراء عنده .

فلما كان في اليوم الثاني من قدوم الغراب المذكور قدمت مركب من الشام ، فلما رآها^٢ أصحاب الغراب ، خرجوا إليها ، و زحفوا عليها ، قاتلوا أهلها المسلمين^٣ ، و أخذوها بوسقها و رجالها ، و مضت النصارى بها ، فعلم مكرهم و حيلهم . فأمر ملك الأمراء عند ذلك بسفر الأربعين عرجا - و هم أصحاب قازان - إلى القاهرة في السلاسل و الأغلال ، مشاة حفاة ، معهم الرجلان اللذان ادعيا الإسلام ، و ترك ملك الأمراء بسجن الإسكندرية أرناط بن مرك البندقي^٤ و أسلبن قنصل الجنوبية ، يستعين بهما على من يأتى من الإفرنج إلى مدينة الإسكندرية لمعرفةها باللغة العربية ١٥

(١) في « البستاني » (ج ١ ص ١١٧٧) « انعطاف في البحر حيث يميل » و في

دوزى (ج ١ ص ٧١٤) Tuyau de descente .

(٢) في الأصل : رأوها .

(٣) في الأصل : المسلمون .

(٤) راجع الفهارس تحت هذه الأسماء .

لينزلوا من مراكزهم عند رؤيتهم لها .

ثم إن البحر قذفت أمواجه رجلين مسلمين و امرأة مسلمة إلى الساحل قتلى من أصحاب مرب الشام المأخوذة ، فعلم أنهم لم يسلبوا أنفسهم الأسر إلا أن قتلوا بعد أن قاتلوا ، فرزقوا الشهادة ، و ختم لهم العادة ، فطولسع السلطان بما فعل أصحاب الغراب المذكور ، فبرزت مراسيمه إلى الشام بالقبض على كل من فيه من تجار الفرنج و غلمانهم . فقبض عليهم و على أموالهم ، و أودعوا السجنون في القيود .

ثم لما كان يوم الأربعاء سادس ذى الحجة من السنة المذكورة ،

ورد إلى مينة الإسكندرية الشرقية ثلاثة أغربة كبيرة المقادير و طريدة

كبيرة و سلورتان^٢ ، ذكر بعض التريكان الذين أتوا من بر التركية / تجارا

إلى الإسكندرية أن سنجوان دمرف^٣ القبرسي أتى بها فيها ألف عالج ،

و هذا سنجوان دمرف المذكور هو ابن ريوك^٤ صاحب قبرس الذى

رزقه من امرأة بوطا^٥ ، و البوطا بلغة الإفرنج هى الفاجرة التى كانت

(١) طريدة - انظر ما قبل موضوع السفن (ج ٢ ص ٢٣٣) .

(٢) ثنية ساورة - انظر حاشية سابقة ، راجع الفهارس ، وفى الأصل : ساورتين .

(٣) و هو Jeon de Marf راجع ما قبل (ج ١ ص ٨ حاشية ٣) و انظر الفهارس .

(٤ - ٤) فى الأصل : بهم فيهم .

(٥) الملك هوج Ray ugo - راجع الفهارس .

(٦) راجع ما قبل (ج ١ ص ٨) و انظر الفهارس .

عند ريوك يزانيها قبل أن يرزق من زوجته أولاده : رير الذي ظفر
 بالإسكندرية و البرنز^١ و جاكك المذكور في أول هذا الكتاب^٢ .
 فكان سنجوان دمرف ولد زنى ، و أولاد الزنى عند النصارى
 لا يكونون^٣ ملوكا أصلا ، و لا يكون ملكا إلا من كان أبوه ملكا و أمه
 حرة بنت ملك ، كل القسيس عليها لزوجها الملك في الكنيسة بالإكليل^٥
 الموضوع على رأسها ، و يتسلمها زوجها من القسيس بمحضر من القسيسين
 و الرهايين بعد أن قرأ^٤ عليها سورا من مزامير داود و الزبور و الإنجيل .
 و أما نصارى الحبوش فالزنى عندهم محرم ، و من زنى قتل ، فهم يمتنعون
 منه خوفا من القتل ، و لهم نهر يجرى يقال له فوج ، تأتي بناتهم و نسوتهم
 إليه يستقون منه الماء بجرارهم ، و يأتيه العزاب ، فكل من كسر منهم^{١٠}
 جرتها [كان زوجها بحكم سلطانه و سنة بلادهم ، فيمضى بها إلى الكنيسة
 عند القسيس ، يزوجه له بعد^٥] أن يقول : أنت كسرت جرتها عند الفوج .
 فيقول : نعم ، و تصدقه هي في ذلك فيمضى بها إلى منزله و لا يفارقها
 و لا تفارقه إلا بالموت ، و الذى بيده ييدها ، و الذى بيدها ييده ،
 فكل نساء النصارى عندهم باديات الوجوه ليعلم الزوج بمن^{١٥}
 يزوجه - انتهى .

(١) في الأصل : البريز انظر حاشية سابقة .

(٢) انظر نفس المكان بالحواشى السابقة و راجع الفهارس .

(٣) في الأصل : لا يكونوا .

(٤) في الأصل : قرى .

(٥) الجملة المحجوزة ماقطة من الأصل ، و وردت في الهامش بخط المراجع .

نعود - فلما أتى سنجوان دمرف ولد الزنى بغربانه وطر يده والسلورتين
يستقون بها في مدينة الاسكندرية الشرقية ، فلم يأت منها إلى الساحل خبر ،
و نزل جماعة منهم ساحل المنار ، فسار إليهم على سبالة المنار بهاء الدين
أصلان الحاجب بأجناده ، فلما رأتهم الفرنج الذين بساحل المنار قاصدينهم^١
رموا عليهم بالسهام ، فرمى الحاجب هو و جنده عليهم أيضا بالسهام ،
أذهلوا عقولهم بها بتواتر الرمي ، فبادروا هربا في قواربهم إلى غربانهم ،
حصلوا بها . فلما كانت وقت العصر أرسلوا قاربا / إلى القرب من
الساحل ، فيه جماعة من الفرنج ، قالوا لمن بالساحل من المسلمين المعتدين
لحربهم : إن معنا كتباً للسلطان نعطيها لكم ترسلونها له و نريد جوابها .
١٠ فقال المسلمون : هاتوها . فقالوا : في غداة غد نعطيها لكم . فقال المسلمون
لهم : كيف يكون معكم كتب للسلطان رميم على المسلمين بالسهام ؟
فقالوا : خفنا منكم عند إتيانكم إلينا . توهمنا أنكم جئتم تأسرونا . فقال المسلمون :
و ما تريدن الآن ؟ فقالوا : نريد الأكل و الشرب ، و في غد ندفع إليكم
الكتب . فقال المسلمون : إذا دفعتم إلينا الكتب أطعمناكم و سقيناكم بعد أن
١٥ تعطونا بكل قرية ماء رجلا منكم يكون عندنا تصديقا لمقاتلكم ، و نرسل إليكم
في كل يوم الضيافة إلى أن يأتي جواب كتبكم . فرجعوا إلى غربانهم . أخبروا
بذلك أصحابهم ، فباتوا و بات المسلمون على الساحل مستيقظين ، و لحربهم

(١) في الأصل : قاصدينهم .

(٢) في الأصل : فقالت .

(٣) في الأصل : باتت .

متأهبين . فلما كان سحر يوم الخميس سابع ذي الحجة ، انتظرهم^١ المسلمون
يأتونهم بالكاتب ، فلم يأت منهم خبر . فبينما هم كذلك ، وإذا بهم قد
رفعوا مراسيهم ، وخرجوا من المينة الشرقية .

وكان بالمينة الغربية المعروفة ببحر السلسلة^٢ قرقورة فارغة و غراب^٣

و سلورة للمسلمين . فقال^٤ المسلمون عند جرفهم لغربانهم و طريقتهم : ٥

إنهم قد ذهبوا إلى حل سبيلهم ، و كفانا الله شرهم . فقال الرأس

إبراهيم التتزي رأس در صناعة الإسكندرية المتقدم ذكره : ليسوا^٥

و الله راحلين عنكم^٦ و إنما هم قاصدين^٦ بحر السلسلة بسبب القرقورة

و غراب و السلورة . فلما خرجوا من المينة الشرقية ، تركوا صدر البحر ،

و عطفوا طالبين المينة الغربية . فلما عاينهم^٧ المسلمون نحوها منعطفين^٨ ، ١٠

(١) في الأصل : انتظرتهم .

(٢) بحر السلسلة سمي كذلك لإغلاق مدخله بالسلاسل أيلان ، و هو في العصور

الوسطى الميناء الغربية بخلاف ذلك في العصر الحديث حيث اسلسلة شبه الجزيرة

المحيطة بالميناء الشرقية - راجع الفهارس .

(٣) في الأصل : و غرابا - راجع الفهارس في موضوع السفن .

(٤) في الأصل : فقالت .

(٥) في الأصل : ليس .

(٦) في الأصل : قاصدين .

(٧) في الأصل : عاينتهم .

(٨) في الأصل : منعطفون .

حققوا قول الراس إبراهيم ، ولسان حالهم يقول :

ولا بد أفا بكم نلتقى فاما علينا وإمانا

١٧ ب / ثم إنهم تهيأوا^١ لقتالهم ، و حربهم و نزالهم ، فحصلوا المجانيق بأحجارها ،
و هياؤ المدافع للرمى بها ، و صعدت^٢ القواد^٣ و الرماة الجرخ إلى
٥ القرقورة ، و صعد إبراهيم التازي^٤ الغراب^٥ و رجاله ، و صعدت
أيضا القواد^٢ [و - °] الرماة الجرخية بقسيهم المنكسية إلى السلورة ،
و تعمر جهة السور بالرماة ، و وقفت الرماة المجردة و الأجناد و التركان
المركزة على الساحل ، و في المطرق^٦ المتقدم ذكر عمارته بقسيهم العربية ،
و تستر^٧ الرماة المتطوعة بطوارقها على ضفة البحر يرمون من جوانبها
١٠ بسهامهم ، و تهيأوا للقتال ، و الحرب و النزال ، و الفرنج تجذف بغربانها
إلى أن أتوا قاصدين أخذ القرقورة و الغراب و السلورة ، فرموا على المسلمين
يريدون تنفيرهم منهم ، ليتمكنوا من أخذهم لها بكلاسيهم التي يجرونها
بها . و زعموا أن فعلهم ذلك كفعلهم حين الواقعة التي كانت في أواخر

(١) في الأصل : هيثوا .

(٢) في الأصل : و أصعدت .

(٣) في الأصل : القياد .

(٤) في الأصل : الرازي - راجع الفهارس عنه .

(٥) الوار ساقطة من الأصل .

(٦) مكان بالإسكندرية ، و في الأصل : المطرف .

(٧) في الأصل : سترت .

المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة^١ ، و نفر^٢ المسلمون منهم برميهم عليهم ،
 ففروا من بين أيديهم ، فبذلك ظفروا بالإسكندرية . فتخيل للفرنج أن هذه
 مثل ذلك ، فلما رموا على المسلمين ، رمى^٣ عليهم ، لذعوه و ثبتوا لهم ، فتقهقرت
 الفرنج لورائهم ، مما أصابهم من جراحهم بسهام المسلمين . فأقاموا نحو
 ساعتين ، و جذفوا قاصدين الساحل يعاودون^٤ القتال ، فرمتهم البرك^٥
 بالقسي العربية ، و رمتهم القواد^٥ و الرماة المتطوعة بالقسي الجرخية ،
 فلذعوه ثانيا ، فتقهقروا أيضا . فلما كان بين الظهر و العصر ، اصطفت
 عوام المسلمين المتفرجين على شراريف السور ينظرون إليهم من غير
 قسي بأيديهم ، و جلست رماة السور خلف كواه بقسيهم الجرخ ،
 فتيقنت الفرنج أنهم لم يصيبهم^٦ ضرر من أصحاب الشراريف ، إذ لم يروا معهم
^٧ قسيا و لا سهام^٧ ، بل متفرجين / لا غير ، و خفي عنهم أمر الرماة التي
 خلف كوى السور الكامنين لهم عند مراميه ، فعند ذلك رمت الفرنج
 على من بالساحل بمدفع ، فتعداهم حجره و وقع بالجزيرة ، فلم يصب أحدا
 من المسلمين منه ضرر . و رمى^٢ المسلمون عليهم بالمدافع فأخطأتهم

(١) يقابلها نوفمبر سنة ١٣٦٥ م .

(٢) في الأصل : و نفرت .

(٣) في الأصل : رمت .

(٤) في الأصل : يعاودوا .

(٥) في الأصل : القياد .

(٦) في الأصل : لا يصيبهم .

(٧-٧) في الأصل : قسي و لا سهام .

حجارتها ووقعت في البحر .

ثم إن غراب الفرنج التقدمة الذي حوى الرجال الشجعان الأبطال تقدم بعد أن ربطوه بالسرياقات في الغراب الذي خلفه بعيدا منه ، و ربطوا بقية المراكب بعضها في بعض ، كل غراب بعيد عن الآخر . و قصد
 ٥ غراب التقدمة أن يرمى كلاليه في غراب المسلمين ، فيرمى المسلمون أنفسهم منه إلى الساحل ، فينجز لهم الغراب . و إن غلب المسلمون الفرنج ، جرّت الفرنج الغربان الثلاثة المربوطة بعضها في بعض بالسرياقات ، غراب التقدمة و غراب المسلمين أيضا المكب بالكلايب بما يبقى من المسلمين المتأخرين عن الهروب منه .

١٠ ففهم إبراهيم الراس قصدهم ، و قرأ حسابهم ، لمعرفة بحريتهم بلاء الغرب ، فعمل مرّة ينجو بها مما قصدوه ، و ذلك [أنه -] أوثق غراب المسلمين بالسرياقات في مراسي الحديد المركوزة شعبها في الأرض و فقس الغراب بعرضه من جهة الفرنج ليتقى بذلك هو و رجاله سهام الفرنج ، فصار من جهة الفرنج عاليا ، و من جهة البحر واطئا . و قال
 ١٥ لرجالهم : من فيكم يطلب الجنة بيت الليلة بها ، و يعيد عيد النحر بساحتها . فقالوا بأجمعهم : كنا نريدها ، و لا نعمل عيدنا إلا بها . فقال لهم عند

(١) في الأصل : غلبت .

(٢) في الأصل : ما .

(٣) ساقطة من الأصل .

ذلك : إذا رمت الفرنج الكلابيب في غرابنا هذا ، و التقت الجنب على الجنب ، اصعدوا كلكم في غرابهم دفعة واحدة كلمح البصر ، نأخذهم حينئذ بقوة الإيمان ، و ضعف الكفر و الطغيان ، فمنكم من يقاتلهم ، و لا يقدرون هم على جر غرابنا اتوثقته بسرياقاته / التي هي مشدودة ب/٢٧٦

بخلق المراسي الموثوقة شعبها بالأرض ، و فلان و فلان و فلان يكونون^٥ معتدين لقطع سرياقات غراب الفرنج المربوطة بغرابهم الثلاثة ، فاذا انقطعت سريقاتهم ، أخذناهم بغرابهم ، فقالت القواد^٢ : هذا هو المراد ، افعل ، لك ذلك أيها الراس ! و كان عدة القواد المسلمين مائتين و خمسين ، ففهمت الفرنج مرمة المسلمين ، فامتنعوا من رمي كلابيهم ، و قالوا :

١٠ إن تكلينا لغرابهم مضرة علينا .

تم إن الفرنج قربوا من مراكب المسلمين ، و رموا عليهم ، فرمى^٢ المسلمون عليهم أيضا ، و الفرنج يأخذون^٥ رمي المسلمين في درقهم المانعة ، و وجوههم تقابل جهة البر و ظهورهم للبحر ، و إذا رماة السور اندفعت عليهم بالرمي من كواه ، فمن وقع بظهره سهم خرق مصفحه و ركز في صلبه ، و اندفع عليهم أيضا من شراريف السور من النظارة جلاميد^{١٥} الحجارة ، و صار الرمي عليهم من الساحل و المطرق^٦ و السور بالسهام

(١) في الأصل : و التقت .

(٢) في الأصل : يكونوا .

(٣) في الأصل : القيادة .

(٤) في الأصل : فرمت .

(٥) في الأصل : يأخذوا .

(٦) في الأصل : المطرف - انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

والحجار كوابل الأمطار ، فانطلقت في قلوبهم جحيم النار ، و أحاط بهم
 البلاء من خلفهم و من بين أيديهم ، و عن إيمانهم و عن شمائهم ،
 و رمى المنجنيق المقابل لهم بحجره الضخم عليهم ، فلم يصادف سوى
 بعض مجاذيفهم ، كسرهما ، و لو وقع في نفس الغراب خرقة و غرقه ، فقتل
 ٥ من شجعانهم أكثرهم . و تلحمت نواتيتهم ، و بطل من الجذف مجاذيفهم ،
 و صار كل علع يأخذ طارقه المقاتلة له . بسبب التستر عليه ، يرميها على
 جسده و يرقد تحتها ، فيأتيه سهم الجرخ من كوة السور ، يخرق الطارقة
 و يركز في الرائد تحتها ، فيستمر الكلب معها ، فصار كل من بالغراب
 يصرخ من حرارة و وقع الشباب الذي احتاط بهم من كل جانب و مكان ،
 ١٠ / الف / ٢٠ فحينئذ جرت / الغربان الثلاثة لغراب التقدمة بتلك السرايات بقوة
 جذب قوادهم لها ، فما بعدوا عن رمي المسلمين لهم بالسهم إلا و أجسام
 الفرنج حطام . فأقاموا داخل البحر بحيث يراهم المسلمون ، فجمعوا الغربان
 بعضها إلى بعض ، يداورون الجرحى ، و يرمون في البحر القتلى . فلما أصبح
 يوم الجمعة ثامن ذي الحجة الحرام . رفعت الفرنج صواري غرابين ليقلعوا
 ١٥ بها ، و جروا الاثنتين خلفها ، لعدم رجالها المقتولين بسهام المسلمين .
 فلما رآهم الرانس إبراهيم التازي فعلوا ذلك ، رفع صاري غراب
 المسلمين ، و صار يشير إليهم برونسه الأسود و يصيح : تعالوا قاتلونا ،

(١) في الأصل : و احيط .

(٢) في الأصل : قيادهم .

(٣) في الأصل : تراهم .

و للحرب عاودونا . و كان قال لهم حين هجموا على غراب المسلمين :
 لست الآن بسوى جناح واحد ، و لو كنت بجناحين ، أخذتكم الأربعة في
 أقل من ساعتين ، يعنى لو كان معه غراب ثان معمر برجاله ، كان خرج
 بهما إليهم ، قاتلهم داخل البحر ، و أخذهم الأربعة سرعة بمعه فقتاله و قتال
 رجاله ، لأن الفرنج ليس يقهرهم سوى المغاربة ، و ذلك لمخالطتهم لهم
 بجزيرة الأندلس . يعرفون طرق حربهم ، و طعنهم و ضربهم ، فى بر و بحر .
 فلو كان^٢ بالإسكندرية من المغاربة جمع كبير^٣ بجوامك مرتبة ، و غرابان
 مجهزة بعددها و أزوادها ، كانوا يخربون^٤ جزرا كثيرة ، و صارت الفرنج
 معهم فى حيرة^٥ .

و لما أقام^٦ الفرنج صوارى الغرابين ، و جروا خلفهم الاثنين . رجعوا
 من حيث أتوا خاسرين ، لعنة^٧ الله عليهم أجمعين . فصار الملعون سنجوان
 دمرف ولد الزنى قد امتلأ رعبا و حزنا ، لما قتلت رجاله ، و جرحت
 أبطاله . و خسر أمواله ، فبطلت أعماله ، و غضب الله عليه . فاللعنة^٨ واصلته
 دائما عليه .

(١) فى الأصل : ليس ، و بهامشه « لعله : لست » و هو الأصح .

(٢) زيد بعده فى الأصل : منهم .

(٣ - ٣) فى الأصل : جمعا كبيرا .

(٤) فى الأصل : يخربوا .

(٥) فى الأصل : جزيرة . و بهامشه « لعله : فى حيرة » و هو الأصح .

(٦) فى الأصل : أقاموا .

(٧) فى الأصل : لعنت .

ولما كان وقت القتال ، كان سنجوان المذكور في الغراب الرابع .
الذي هو آخر الثلاثة المربوطة بالسرياقات ، وعن يمينه راهب وعن
شماله راهب أيضا قد لبس الجوخ الأحمر . وعلى الراهبين القطعان
السود ، والبرانس ذوات البنود ، والقلائس ذوات الآذان ، والزنانير
التي بها الصلبان يتشبثون ويدعون بالسر لأصحابهم . فكان دعاؤهم وبالأعنيهم
بالقتل والجراح ، والحزن والنواح . و«الثلاثة» كلاب . يشاهدون ما حل
بأصحاب الغراب من العذاب .

ثم إن المسلمين لم يصب منهم غير رجلين بسهمين ، فتداويا^٢ من
تلك الجراح ، وحصل للمسلمين بهذه الغزوة الفلاح والنجاح . ثم إن
١٠ ملك الأمراء هو والأمراء المجردين أرسلوا حبر مدفع الإفريج الذي
وقع خارج باب البحر . وسهامهم المعوضة عن الريش بالورق ، إلى السلطان ،
وأخبروه بخبر الأربعة أغربة . حين القتال والمحاربة . وكان ذلك الحجر
مطوقا^٣ بالرصاص ، أسود اللون من حجارة الطواحين ، المدور المتين .
فوصل الخبر ، مع السهام والحجر ، بعد عصر يوم الوقفة ، فبث^٤ السلطان

(١) في الأصل : و الثلاث .

(٢) في الأصل : فتداووا .

(٣) في الأصل : مطوق .

(٤) في الأصل : لبث . و بهامشه «اعمله : فبث» و هو الأقرب للصواب .

النقباء في الأمراء والأجناد ، فخرجوا بعد المغرب ليلة الأحد . المسفر صباحها عن يوم عيد النحر ، فأتوا الإسكندرية ثاني العيد .

وكان قد أشيع بالقاهرة أن الإسكندرية محاصرة بمائة غراب ،

فخافت عيال الأمراء والأجناد عليهم . وعيدوا ذلك العيد في حزن شديد .

فلما وصلوا الإسكندرية لم يجدوا لما قيل صحة . فأرسلوا الكتيب ، طمّنوا

بها عيالهم وأولادهم . فزال ترحهم . وتجدد فرحهم . وأما أهل

الإسكندرية فلم يحصل لهم في عيدهم حزن ولا خوف ، بل انشرحوا

في عيدهم بدورهم وذباثهم ، و تنزهوا بفرحهم في بسايتينهم .

/ ثم بعد ذلك اجتهد ملك الأمراء صلاح الدين ابن عرام في ٢٧٨ /

تغريق الأحجار بالمينة الغربية المعروفة ببحر السلسلة لحفظ مراكب المسلمين ١٠

بالحجارة الكبيرة المقدار ، فصارت^١ كالسور الدائر عليها ، وعمل على

فوهتها أبنية محكمة بسلسلة متينة مقفلة^٢ بقفل ثقيل ، وبموضع القفل كوى

مهيئة للرمي بالسهام على من يقصد السلسلة من الفرنج الطغام . وكان

عمله لتلك المينة المصونة لمراكب المسلمين في أوائل سنة إحدى وسبعين

وسبعمائة^٣ .

١٥

ولما كان في تاسع ربيع الأول من السنة المذكورة ، قدم إلى مينة

(١) في الأصل : فصار .

(٢) في الأصل : مقفولة .

(٣) يقابلها سنة ١٣٦٨ م .

الإسكندرية الشرقية غراب فيه رسل من صاحب قسطنطينية إسطنبول ،
 على رؤسهم أطباق الصوف^١ الرفيع الملبد ، و معهم خمسة من الرهبان ،
 قيل : إن بالقسطنطينية المذكورة أربعين^٢ ألف كنيسة ، فيها اثنتا عشرة
 ألف عامرة ، و الباقي خراب^٣ دائرة ، و فيها كنيسة لشمعون الصفا لها^٤
 ثلاثمائة وستون بابا . و قيل : إن هذه الكنيسة بقدر الإسكندرية ثلاث
 مرات ، و في وسطها سبعة^٥ جبال و الكنيسة المذكورة بها عمد
 كثيرة - انتهى .

نعود - فلما قدمت رسل صاحب القسطنطينية ، ذكروا أنهم رسل
 جميع ملوك الفرنج إلى ملك مصر ، معهم الهدايا^٦ ، فحملوا إلى القاهرة
 ١٠ بعد المشاورة .

ثم قدم بعدهم في الرابع عشر من ربيع الآخر من السنة المذكورة
 إلى مينة الإسكندرية ثمانية^٧ غربان كبار المتعادير أرسوا بها ، ولم ينزل لهم
 واصل على جرى العادة . فتأهب المسلمون لهم ، و ركب الأمراء

(١) في الأصل : الصوف .

(٢) في الأصل : أربعون .

(٣) في الأصل : خرابا .

(٤) في الأصل : له .

(٥) في الأصل : سبع .

(٦) في الأصل : الهدايا .

(٧) في الأصل : ثمان .

المجردون و الأجناد المركزون بالإسكندرية عليهم آلات حربهم ، و رموا عليهم بحجارة المدافع . فبرزت^١ غربانهم خارج المينة خوفا منها . ثم إنهم باتوا خارجها / و دخلوها بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة . فخرجت إليهم قوارب المسلمين بالمدافع . فصاروا يرمونهم بأحجارها . فأبعدوا بغربانهم خارج المينة ، فحين حصلوا بها تهيأت لهم الأمراء والأجناد^٥ و أهل البلد و القواد^٢ لحربهم و قتالهم . فعند ذلك كشفت الفرنج رؤسها و صاروا يقولون : سلام سلام ! اسنا نريد الحرب ، و إنما نريد الصلح . و أنزلوا من غربانهم^٣ تاجرا مسلما^٤ معه مملوكه ، و طلبوا الماء ليشربوا ، فمنعوا منه .

و كان المسلمون [لما - °] عابثوا تلك الغربان الثمانية ، جروا مركب^{١٠} النصرى^٦ القسطنطينيين الرسل المقيمين الآن بالقاهرة إلى الساحل ، رفعوا منها ما فيها إلى البر ،^٧ و أدخلوا قوادها^٨ الإسكندرية خوفا بأن يخبروا

(١) في الأصل : فبرزوا .

(٢) في الأصل : القياد .

(٣-٣) في الأصل : تاجر مسلم .

(٤) في الأصل : كانت .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) في الأصل : نصارى .

(٧-٧) في الأصل : و دخلوا قيادها .

أصحاب الغربان بخبر المسلمين . فحارت أفكار أصحاب الغربان لعدم رؤيتهم
 للنصارى القسطنطينيين ، و قالوا للمسلمين : نحن نرسل من عند ملوك
 النصارى : الجنوى و البندقى و الرودى و القبرسى . فقيل لهم : فلم لم تقولوا
 ذلك حين قدمكم ؟ فقالوا : إن القسطنطينيين تقدمونا ، و لم نرهم الآن ،
 ٥ و رأينا مركبهم فارغة مائلة على جنبها بالقرب من الساحل خالية منهم .
 فخففنا ندخل الساحل يصيدنا ما أصابهم . فقال المسلمون : إن السلطان
 طلبهم ، فحملوا إليه بأجمعهم . فان كنتم كما زعمتم رسلا ، فانزلوا من مركبكم ،
 و امضوا إلى السلطان ، بلغوه رسالاتكم ، و إن كنتم تقصدون الحرب
 حاربناكم ، و إلا فارجعوا من حيث أتيتم . فقالوا : بل نحن نرسل
 ١٠ الملوك . و أنزلوا علجا واحدا معه كتب مختومة . فحمل العليج إلى
 السلطان ، و رجع إليهم معه مرسوم السلطان بنزولهم من غربانهم
 ١١ / الف / يبلغون رسالاتهم ، / فزل منهم عشرة مثلوا بين يدي ملك الأمراء
 صلاح الدين بن عرام . فقال لهم : أراكم مترددين في أموركم في النزول
 و عدمه ، كل من نزل منكم أرسلته لمولانا السلطان يرى فيكم رأيه ، فقد
 ١٥ بان لنا مكرم و حيلكم و مكابدكم ، فلو كنتم كما زعمتم رسلا ، تركتم
 أربعة من غربانكم حين قدمكم خرجت من المينة الشرقية ، [بل -]

(١) في الأصل : فقالت .

(٢) في الأصل : يبلغوا .

(٣) ساقطة من الأصل .

كشفت المينة الغربية، أقامت بها نصف يوم، كأنكم قصدتم الأذى،
فلما رأيتم مراكب المسلمين محصنة بتغريق الحجارة حولها، رجعتم إلى
أصحابكم، عرفتموهم بأنهم ليس لهم على مراكب المسلمين سبيل، فصرتم
تتحيلون بكل حيلة تخلصون بها أصحابكم الأسارى المسجونين بالقاهرة،
هيئات هيئات! ضلت والله حيلكم، وخاب سعيكم.

٥

فلما سمعت العشرة علوج من ملك الأمراء ذلك، عاد كل منهم
هالكا، و صاروا يضربون يدا على يد نادمين على نزولهم من غربانهم.
ثم إن ملك الأمراء دعاء في الوقت بخيل البريد حملهم عليها إلى القاهرة
ليرى السلطان فيهم رأيه، فسافروا ليلة الجمعة المسفر صباحها عن الثاني
والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وسبعائة.

١٠

فلما أصبح يوم الجمعة نزل من الغربان علج^٦، قال لملك الأمراء:
إنا طلبنا منكم الماء للشرب، منعمونا إياه، و نسأل إحسان مولانا ملك
الأمراء مرصومه الكريم بسفرنا إلى فوهة النيل ببلد رشيد، نملأ الماء

(١) في الأصل: سيلا.

(٢) في الأصل: تتحياوا.

(٣) في الأصل: هالك.

(٤) في الأصل: ادعى.

(٥) يقابلها ١٨ سبتمبر سنة ١٣٦٩ م.

(٦) في الأصل: علجا.

منها و نرجع ، فانا قد عطشنا ، فرسم لهم بذلك و بطق الى المركزين برشيد يعلمهم أن ثمانية أغرية واصله إليكم ، تملأ الماء من مصب النيل في البحر الملح ، فلا يروءكم أمرهم ، و اتركوهم يملأون الماء . فانا نحن منعناهم الماء من جهتنا حتى نعلم / أخبارهم ، و عندما عشرة من أكابر أصحابهم ، أرسلناهم لمولانا السلطان ، فلا تخشوهم ، و لا تتعرضوا لهم بحرب . فلما صار العلم عندهم ، لم يتعرضوا لهم ، و تركوا حتى ملأوا كفايتهم من الماء . و رجعوا إلى مينة الإسكندرية ، أقاموا بها إلى أن رجعت إليهم أصحابهم من القاهرة . فقيل : إنهم قالوا لما سئلوا : نحن غلمان الرسل التي بالغربان . و في الصلح عمارة البلاد ، و إزالة الفساد . فقيل : إن الترجمان قال لهم على لسان السلطان : إنهم ينزلون^٢ من مراكبهم ، و يأتون إلينا مضمئين آمنين .

فلما رجعت العشرة و صاروا بغربانهم ، رفعوا مراسيهم ، و رجعوا من حيث أتوا ، و كأنهم - و الله أعلم - ما أتوا إلا أن^٢ يجروا مراكب المسلمين من مينة بحر السلسلة . فلما رأوا ما حوط عليها من الحجارة المغرقة في الماء فلم يجدوا إليها سبيلا ، تحيروا إذ لم تتم لهم حيلتهم ، فرجعوا خائبين - لعنة الله عليهم أجمعين .

(١) في الأصل : الفصاد .

(٢) في الأصل : بنزواوا .

(٣) في الأصل : انهم .

و قد كانوا مدة إقامتهم يبيتون في كل ليلة خارج المدينة ، خوفا على أنفسهم في الليل من المسلمين ، فاذا طلعت الشمس دخلوها . فلما سافروا صبح يوم الجمعة ، وجدوا المسلمون على السور المجاور لدار الإمارة أقيية جندي و عمامته موضوعة ، و في أحد الشراريف جبلا مرخى إلى جهة البحر ، فعلم أن جاسوسا كان بين المسلمين من الجند ، فعل ذلك و سار مع الفرنج ، فقتلوا المسلمون لذلك ، و خاضوا في الكلام ، و قالوا بقول الفرنج : إنهم لم يحفظوا سورهم ، حتى أن جاسوسا نزل من أكبر مواضع الحفظ و هو دار الإمارة ، فكيف ببقية السور . فعند ذلك أمر ملك الأمراء بتفتيش البر و البحر ، فوجد في بطن مركب الرسل القسطنطينيين المائة على جنبها جندي عريان ، فقبض عليه ، و إذا هو من الأسارى الذين قدم بهم الرانس إبراهيم التازي وقت هروبهم من مينة الإسكندرية وقت القائلة في قارب ، و سار خلفهم ، قتل رانسهم و رجع بهم في العشر الأول من ذي الحجة سنة تسع / وستين و سبعمائة ، كما تقدم ذكر ذلك مفصلا .

و كانوا حملوا إلى القاهرة فأسلموا و فرقوا على الأمراء ، صاروا عندهم جندا . فلما أتى الأمير الشهير بابن رقطية إلى الإسكندرية مجردا مع جملة الأمراء المجردين بها ، كان ذلك الجندي من جملة أجناده ، فلما نزل في الليل من السور عريانا ، اختفى بمركب القسطنطينيين ينتظر الثمانية أغربة تدخل المدينة مثل حارى عادتهم خارجها في مدة إقامتهم ليصعد

(١) في الأصل : وجدت .

(٢) في الأصل : يدخلوا .

إليهم بالعموم ، يفرحون^١ به و يكسونه و يستخبرونه عن أمور الفرنج
المسجونين ، و الروم القسطنطينيين الذين هم عند المسلمين ، و ينجو بنفسه
إلى وطنه ، و يرجع إلى مائه و كفره .

فلعدم سعادته بتركه دين الإسلام . و ارتداده إلى دين الكفر ،

٥ و ثبوت شقاوته ، لمحبه لدين الصليب ، سافرت الغريان الثمانية في صبح

ذلك اليوم ، فقبض عليه ، و دخل به إلى دار الإمارة من الطرف الشرقي

المتقدم ذكر عمارته عريانا^٢ مكشوف العورة ، فلما أوقفوه بين يدي ملك

الأمراء صلاح الدين سأله من هو و أى أمير هو معه مضاف إليه .

فقال : إنه من أجناد الأمير ابن رقطية . فأرسل له يعرفه بما اتفق منه .

١٠ فقال : إنه من الأسارى الأسلمة^٣ الذين أسرهم الراس إبراهيم التازى وقت

هروبهم من مينة الإسكندرية ، فقولوا الملك الأمراء : اقتله اشرقلة ، و اجعله

بين الفرنج مثلة ، لتركه دين الإسلام ، و ارتداده لدين الصليب و الأصنام ،

فلو علمت أنه زنديق يسر الكفر و يظهر الإيمان ، كنت قتله فيما مضى

من الزمان ، و لكن قد ظهرت الآن زندقته ، و انكشفت سريرته .

١٥ فالواجب ضرب رقبته . فلما أخبر ملك الأمراء بمقالة أستاذه ، أمر

بقتله ، فشقت الأعوان به شوارع الإسكندرية عريانا^٤ على الحالة التي وجد

عليها ، مهتوك العورة ، أخرجوه من باب البحر إلى الجزيرة ، فقطع بالسيف

(١) في الأصل : يفرحوا .

(٢) في الأصل : عريان .

(٣) أغاب الظن أن المقصود بالأسلمة الذين ادعوا اعتناق الإسلام .

(٤) في الأصل : يجهلهم .

ثلاث قطع ، فضربت رقبته ، و قطع جسده قطعتين ، و علق / على خشبتين ،
 و صار المسلمون يرمونه بالحجارة ، فرأيتهم و رجله اليمى قد شقت من عند
 عرقوبه ، و علق برجليه الاثنتين^١ على خشبة ، بعد أن أدخل طرف الحبل
 فى المكان المشقوق ، و علق على الخشبة الثانية نصفه الأعلى بيده الواحدة ،
 و صارت اليد الأخرى مسدولة ، قد علق فيها رأسه المقطوع باذنه ،
 و قد قطع ذكره و أنثياه^٢ ، و رمى بسهم فى جبهته ، و قلع السهم منه .
 فصار مكانه مثقوبا ، و كان شابا أمرد ، ثم أحرق بعد ذلك بالنار - فهذا
 جزاء الكفار .

هذا ما جرى ، و أما تجار الإفريج و غلبانهم المستأسرون^٣ بالقاهرة ،
 فانهم استعملوا فى العمار السلطانية ، بعد أن كانوا قد استبشروا بقدوم
 من أتوا من القسطنطينية ، و بقدوم الثمانية أغربة ، لما قيل لهم : إنهم أتوا
 بسبب خلاصهم . فلما لم يتم ذلك ، صاروا على عاداتهم ، أرجلهم القيود ،
 و على أجسادهم مقطعات اللبود ، و مبيتهم فى نخل ليلة بخزانة اللبود ، حتى
 كأنهم الموتى فى اللبود ، قد نضجت منهم الكبود ، و صارت وجودهم
 كلون الغرايب السود ، فعاد نسمين منهم كالعود المجرود ، و الهزبل من
 كثرة العمل على الأرض ممدود ، و هو بنفسه يجود .

حدث أحمد المعروف بمرزبان التاجر بسوق السلاح بالإسكندرية
 بعد قدومه من القاهرة إليها ، قال : رأيت نحو مائة خمسين من تجار

(١) فى الأصل : الاثنتين . (٢) فى الأصل : و أنثييه .

(٣) فى الأصل : المستأسرين .

الفرنج و غلمانهم ، يعملون في العمار السلطانية و [هم - ١] في عيشة رديئة ،
 و حالة غير مرضية . فعرفت من تجارهم الذين كانوا قبل ذلك
 بالإسكندرية جزرين و مرك بلظون و أسلين^٢ و برشون و فرنسك كاتب
 جوان جنك و غيرهم ، بأرجلهم القيود . مع كل واحد منهم قفة يحمل
 فيها التراب ، و قد صاروا من الإهانة البالغة في أليم العذاب .

و في يوم الاثنين السادس و العشرين من المحرم سنة اثنتين و سبعين
 و سبعمائة^٣ ، قدمت الثمانية أغربة المتقدم ذكرها إلى مينة الإسكندرية
 أيضا بسبب خلاص الفرنج المأسورين بالقاهرة . فلما سمعت أسارى
 الفرنج بقدمهم استغاثوا ، فسمع السلطان استغاثتهم ، فسئلوا عن
 ذلك ، فقالوا : نريد أن يسافر منا اثنان^٤ إلى أرض الفرنج . يكلمون
 الباب^٥ و الملوك في إيقاع الصلح و الطاعة لمولانا السلطان ، و نعد^٦ مولانا
 السلطان بأن كلبين منا قد هلكا إذا لم يرجعوا . فرسم السلطان بذلك .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : و اسلين . و قد وردت فيما قبل مشكولة « اسلين » و راجع
 الفهارس .

(٣) في الأصل : اهبة .

(٤) يقابل هذا التاريخ ٢١ أغسطس سنة ١٣٧٠ م .

(٥) في الأصل : اثنين .

(٦) أي بابا رومه في رئاسة الكنيسة الكاثوليكية .

(٧) في الأصل : و يعد .

فأرسلوا أرناط بن مرك^١ البندقي و آخر معه في الغربان الثمانية التي^٢ لم يقبل السلطان كلامهم^٣ فيها ، فغاب^٤ العليجان نحواً من عشرة أشهر ، ووردوا إلى مينة الإسكندرية و معها الثمانية أغربة المذكورة ، وهي^٥ اثنان من الجنوبية ، و اثنان من البندقية ، و اثنان من الرودية ، و اثنان من القبرسية ، فيها^٥ رسل ملوكهم ، فأما رسل البنادقة و رسل الجنوبية فنزلوا من^٥ غربانهم ، و حملوا إلى القاهرة ، و أما الروادسة^٦ و القبارسة ، فلم يمكنهم ملك الأمراء صلاح الدين من نزول رسلهم من مراكبهم حسب مرسوم السلطان له في ذلك . فلما حضرت رسل البنادقة و الجنوبية لإيقاع الصلح قالوا : إن الصلح إذا وقع معنا ، و لم يقع مع القبارسة و الروادسة ، يصيروا يتحرفون^٧ في البحر ، و يعود العائد علينا بسبيهم . و المصلحة^{١٠} تقتضى مصالحتهم و إتيانهم إلى الإسكندرية بمتاجرهم ، فان الذي كان السبب فيما فعله بالإسكندرية قتل و مضى أمره ، و أخوه البرنزة^٨ المتملك بعده بجزيرة قبرس طائع^٩ لمولانا السلطان ، و قد صار من جملة الغلمان ، و الماضي لا يعاد ، و الصلح يقع على السداد / و الرشاد .

(١) ورد هذا الاسم قبلئذ - انظر عليه .

(٢) في الأصل : الذين .

(٣ - ٣) في الأصل : فيهم غابا .

(٤) في الأصل : وهم .

(٥) في الأصل : فيهم .

(٦) في الأصل : الروادسية . (٧) في الأصل : يتحرفوا .

(٨) في الأصل : البريز . (٩) في الأصل : طابعا .

فحينئذ رسم السلطان بنزولهم من مراكبهم ، و حملهم إلى القاهرة ،
 فصار للبنادقة و الجنوية لهم عليهم اليد العالية لشفاعتهم فيهم بسبب
 الصلح ، فوقع الصلح معهم على أنهم يأتون^١ ببقية أسارى الإسكندرية ،
 و أن يقيم رسل الجنوية و البنادقة و تجارهما رهائن إلى أن يسافر معهم
 ٥ في قطائعهم رسول السلطان مستصحبا معه بعض الشهود ، يخافون ملوك
 الفرنج على الإنجيل في الكنائس بعقد الصلح ، و إرسال بقية الأسارى إلى
 الإسكندرية .

فسافر رسول المسلمين ، و هو الأمير سيف الدين طقبا خازندار^٢
 العلاتى بمن تبعه من شاهد و غلمان . فلما وصل إلى قبرس ، لم يتركه
 ١٠ البرنز صاحبها يسير منها إلى غيرها ، و رجع معه أسارى من غير الإسكندرية .
 فقبل له : و أين أسارى الإسكندرية ؟ فقال : ذكروا أنهم رغبوا في دين
 النصرانية و تنصروا ، و صار للنسوان منهم الأولاد ، و قد ألفوهم و تزيوا^٣
 بزيتهم في أحوالهم و ملبوسهم ، و توطنوا عندهم ، و صاروا يخفون أنفسهم .
 خشية مفارقة النصارى ، و نزعوا الإسلام من قلوبهم ، و صاروا بعد
 ١٥ الإسلام و الإيمان ، يعبدون الصليبان . فإله تعالى يعافينا عما ابتلوا به ،
 ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا منك رحمة إنك الوهاب .

(١) في الأصل : يأتوا .

(٢) في الأصل : خزندار .

(٣) في الأصل : و تزيوا .

[حكاية الشيخ على البكاء - ١]

فلنذكر الآن حكاية تذهل العقل وتسلبه ، و تورث الحزن وتجلبه . وهي أن الشيخ الصالح علياً^٢ البكاء صاحب الزاوية المجاورة لبلد الخليل عليه السلام ، كان مشهوراً بالعبادة ، مداوماً للبكاء ، حتى جعله له عادة ، فلذلك شهر بالبكاء . وكان الملك المنصور قلاوون^٣ سلطان الديار المصرية والشامية وغيرهما يثنى عليه ويذكر / أنه اجتمع به ، وكاشفه في أشياء وقعت . وسئل عن سبب كثرة بكائه حتى سمي البكاء ، فقال : إنه صحب رجلاً له أحوال ، وإنه خرج معه من بغداد ، فاتتها في ساعة واحدة إلى بلد بينها وبين بغداد مسيرة ستة ، وإن ذلك الرجل قال للشيخ على البكاء : سأموت في الوقت الفلاني ، فاحضر عندي في ذلك الوقت في البلد الفلاني . قال الشيخ على : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق ، وقد استدار إلى الشرق ، فحولته إلى القبلة ، فعاد فاستدار إلى الشرق . ثم قال لي : لا تعبوا فاني لا أموت إلا على هذا الوجه . وجعل يتكلم بكلام حتى مات . فحملناه فجئنا به إلى دير هناك ، فوجدناهم في حزن عظيم . فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا : كان عندنا شيخ مسن ، بلغ من العسر . سنة ، فلما كان اليوم مات على دين الإسلام . فقلنا : اتخذوا هذا بدله ،

(١) العنوان مشتق من النص ، وليس بالهامش .

(٢) في الأصل : على .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

فقد مات علي دينكم ، و سلموا لنا الذي مات علي ديننا . فسلمناه منهم ،
و تولينا غسله و كفنه ، و صلينا عليه و دفناه . قال الشيخ علي : فحصل لي
مداومة البكاء على الخاتمة ، و ما أدرى ما يختم لي ! ففسأل الله تعالى
بمنه و كرمه و فضله و جوده و جزيل إحسانه أن يتوفانا^١ على كتابه
و سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، بلا فتنة و لا محنة ، و أن لا يشمت
بنا الشيطان عند الموت ، و أن يحشرنا في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه
و سلم ، و أن لا يخالف بنا عن طريقته و ما جاء به ، إنه على ذلك قدير ،
و بالإجابة جدير .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لا تؤيس^٢ مذنبا ، فكم من

١٠ ب / ٢ عا كف على الذنب يختم له بخير ! و كم من مقبل على عمله^٣ مفسد له^٤
في آخر عمره ، صار إلى النار ! و لله در القائل حيث قال :

و كيف تنام الطير عن وكناتها إذا نصبت للفرقدين^٥ الحبائل

فليس كل قاصد يبلغ المقاصد ، و لا كل وارد يستعذب الموارد ،

١٥ و لا كل متواجد واجد ، و لا كل نديم مشاهد ، كم من عليل لا يجاد^٥ !

كم من قتيل لا يعاد ! كم من مرید لا يراد ! و كم من قريب حظه البعاد !

(١) في الأصل : يتوفنا .

(٢) في الأصل : لا يؤيس .

(٣-٤) في الأصل : مفسدات .

(٤) في الأصل : الفرقدين .

(٥) كذا في الأصل ، و لعله : لا يجاد - بالجيم .

موائد أهل الخصوص لا يجلس عليها إلا من طهر بظهور " و نزعنا ما في صدورهم من غل " و طيب بطيب " سلم عليكم طبتم " . و غذى بلبان " فاذا كررتي اذ كرتم " ر سقى من شراب " ر سقهم ربهم شرابا ظهوراه " و خلع عليه خلعة " يحبهم و يحبونه " و عقد له لواء " نحن اوليؤكم " ، و كتب له توقيع " يختص برحمته من يشاء " و حمى بحماية " ان عبادي ليس لك عليهم سلطان " ، فمن سبق له هذا الإنعام ، غاص في بحر الصفاء و عام ، و من حرم ذوق هذا الطعام ، ما ينفعه علمه و لو بعد ألف عام .

ما كل مقبل يقبل ولا إلى أصلي وصل

١٠ مضي زمان القسمة و جفت الأقلام

ما كل منزل يصلح لعز سلطان الملك

ولا عروس المحبة تجلي لمن قد سام

ما النور مثل الظلمة ولا الجواهر مثل الصدف

إن كنت عارف تدبركم بين سام و حام

١٥ روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الرجل

ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس و هو من أهل النار ، و إن الرجل

ليعمل عمل [أهل - ٢] النار فيما يبدو للناس و هو من أهل الجنة .

قال بعض الوعاظ : سابق القدر جرى على قوم بعز " سبقت لهم

(١) في الأصل : الجواهر .

(٢) زيد من مراجع الحديث .

منا الحسنی " و علی قوم بذل " غلبت علينا شقوتنا " نورت قلوب الجن فقالوا " انا سمعنا قائلنا عجبا ... فامنا به " و عمیت أبصار بشار قريش فقالوا " اساطير الارلين " إذا اهتزت صوارم القدر، تقلقت قلوب المقربين، غضب علی قوم فلم تنفعهم الحسنات، و رضی عن قوم / الف ٥ / فلم تضرهم السيئات، ما نفعت عبادة بلعام، و لا ضر عناد السحرة، صبت عواصف الأقدار بقلل الذکران فقيدت الوجود، فلما كرت الريح إذا أبو طالب في لجة الهلاك، و سلمان الفارسي علی ساحل السلامة، سبق القدر من التقدير، و نفذ الحكم من الحكيم، و جرت القسمة " فريق في الجنة و فريق في السعير " لو كان الأمر أنفا لامتدت الأطماع إلى الخيل، و اطرقت المكابد في العمل، لكن الطامة الكبرى بارتباط الأمر بمشيئته، و لا يبالي « هؤلاء إلى الجنة و لا أبالي و هؤلاء إلى النار و لا أبالي » سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه و سلم، و مضت الشقاوة لأبي جهل قبل وجوده.

و اعلم أن القلب إذا عمى لم يفد نظر العين، أما سمعت أصحاب النار إذ يقولون: " لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحح السعير " !
١٥ و كانوا يريدون الآيات، و يسمعون الأصوات، و امكنهم أحياء كالأموات، و لله در القائل حيث يقول:

يا واحدا قد جل عن تقديري^٢ إني برئت إليك من تديري

(١) في الأصل: عناد.

(٢) في الأصل: و طردب.

(٣) في الأصل: تقدير.

و خلعت طرف تعرضي و أزلته
 و برئت من حولي إليك و قوتي
 هيهات كيف يضيع عبد عاجز
 ذلي إليك تذاللي و تقاللي
 و جهت كتب تضرعي لجلالكم
 أنت الجليس إذا عدمت مؤانسي
 لو كنت تسمع للعبيد بنظرة
 و رضاك مؤلى و التقرب جنتي
 و فنت عن وجدى و عن تقصيري
 علما بأنك خالقى و نصيري
 أو هل يلبق تعزز بفقير
 و العز عندي أن تكون مجيرى
 فمتى يوافق بالقبول بشيرى
 و لزيد ذكرك فى الظلام مسيرى
 ما كان فى هذا الوجود نظيرى
 و رجاء جودك فى الخطوب ظهيرى

[خبر بعثة السلطان لصاحب قبرس - ٢]

فلنذكر الآن ما أخبر به الشاهد الذى سافر مع الأمير رسول ١٠
 السلطان إلى قبرس - لما سئل : كيف كان دخولكم على صاحب قبرس
 و ما قلتم له و ما قال لكم ؟ فقال : لما دخلنا عليه / و وجدناه جالسا على
 سرير لطيف ، و إلى جانبه راهب مخلوق اللحية ، و عنده علوج جالسون
 على كراسى صغار ، فتكلموا بما وقع عليه الاتفاق من أمر الصلح
 و ذكرنا له اليمين فلم يخلف ، و قال : إن الأسارى تنصرت ، ثم إنه ١٥

(١) فى الأصل : لحالككم .

(٢) العنوان مشتق من النص و لم يرد بهامشه ، و هو استمرار فصل سابق .

(٣) فى الأصل : جالسين .

أكرمنا، ورجعنا في مراكب الفرج إلى الإسكندرية . ثم بعد ذلك
تتابعت مراكب الفرج بمتاجرها إلى الإسكندرية شيئا فشيئا، إلى أن
كثرت الخير بها، فباع^١ المسلمون بضائعهم عليهم . وتعوضوا عنها من
بضائعهم ، واطمأنت الناس . وما فات فات .

د و في يوم الاثنين ثاني شهر ذي الحجة سنة اثنتين^٢ و سبعين
و سبعمائة^٣ . عاد إلى الإسكندرية ملك الأمراء سيف الدين طيدر الباسي
بعد عزل ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام ، فحين حضر ابن عرام
بين يدي السلطان معزولا . أنشد لسان حاله يقول :

دخلت على السلطان في حال عزه

بفقر و لم أجلب بخيل و لا رجل ١٠

و قلت انظروا ما بين فقري و عزكم

بمقدار ما بين الولاية و العزل

اعلم أن السيد إذا أحب عبدا من عبده و أراد أن يزيل طمع

الغير منه، عابه بغيب، فيقطع الغير طمعه منه، و يزول عن العبد عجه .

١٥ فلذلك قدر على عبده المؤمن ليزول عجه و يقطع طمع الغير، ألا ترى

أن يوسف عليه السلام لما أراد إمساك أخيه بنيامين عليه السلام عنده

(١) في الأصل : فباعت .

(٢) في الأصل : اثنين .

(٣) يقابنه ١٧ يونيه سنة ١٣٧١ م .

ورماه بالسرقة بالصواع الذي دس في رحله و أخرج منه ، فلامه^١
 إخوته على ذلك و قالوا له : كيف فضحتنا و فضحت أباك الصديق
 و أزريت بنفسك ؟ فقال بذيامين : يا إخوتي ! اسمعوا مني و لا تعجلوا
 على حتى آتيكم برهان تعرفون به براءتي ، أستم تعلمون أن بضاعتكم
 ردت إليكم في رحالكم يوم صدرتم من عند الملك و أنتم لا تعلمون
 حتى قلمتم لوالدكم : هذه بضاعتنا ردت إلينا . فان كنتم سرقتم البضاعة
 فأنا سرقت صواع الملك ، و إن كنتم براء فأنا بريء . فظهرت حجته
 لديهم ، و سكتوا عن ملامتهم - انتهى .

[عزل ابن عرام ثم توليته -^١]

نعود - ثم إن السلطان / جعل صلاح الدين بن عرام بعد عزله ١٠ / ٢٨٤
 من الإسكندرية أحد حجابيه ، الواقفين بيابه . فلما كان بعد ذلك ، قصد
 الاعتزاز بعزة الله تعالى ، و قال لسان حاله :
 ليكن بربك كل عزك^٢ يستقر و يثبت

فاذا اعتزرت بمن يموت فان عزك ميت

نخلع ملبوس الأمراء ، و تزي بزى الفقراء ، أهل التجريد ، و أقام ١٥
 بزاوية كالمريد . ثم إنّه عاشر من الفقراء طوائف ، منهم البحرية

(١) في الأصل : فلاموه .

(٢) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٣) في الأصل : عزل .

و الأحمدية و التونسية و الجزائرية^١ و الصوفية ، فصاروا يذكرون الله كثيرا ، فعملوه صدرهم و شيخهم . فسمع به الشيخ حسن الرفاعي ، فأجازه بالمشيخة ، فعظم شأنه ، و ظهر إحسانه . فطلبه السلطان و ولاة الإسكندرية ملك أمرائها كما كان . فقال : إذ قد لبست خرقة الفقراء ، فكيف أصير بعد ذلك ملك الأمراء ؟ فقيل : الواجب عليك طاعة السلطان . لقول الله تعالى^٢ : ” و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولي الامر منكم ” . أمر بطاعة اولى الامر جزما . فقيل الولاية ، و لبس ملبوس أهل الولاية ، و ذلك في شعبان سنة أربع و سبعين^٣ و سبعمائة . و دخل الإسكندرية يوم الخميس رابع عشر رمضان المعظم قدره من السنة المذكورة ، فقرحت به القراء ، و العلماء و الفقراء ، فصار مجلسه كما كان أولا بمدد السباط ، الذي صيره كزاوية و رباط ، لابسا للجنداء ، مرخيا للعذبات ، في مجلس الجلسات ، ذاكرا لله كثيرا ، و مصليا على رسوله و آله الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا ، فأنه تعالى يزيد من فضله ، و يمدده بإحسانه و طوله ، و يؤيده بقوته و حوله ،

(١) في الأصل الجزيرة . و ربما كانت الكلمة خطأ قلبيا و الدليل من السياق . و هي فرق عديدة تحتاج إلى تحقيق .

(٢) قرآن كريم سورة ٤ آية ٥٩ .

(٣) في الأصل : وستين . و بهامشه : لعله : و سبعين . وهو الأصح ، ويقابله يناير - فبراير سنة ١٣٧٣ م .

(٤) كذا في الأصل ، و لعلها بمعنى لباس الجنديين .

إنه على ما يشاء قدير، و بالإجابة جدير، فالفقير قد يكون في ظاهره أمير، و هو في باطنه فقير^١. ثم إن ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام أقام شهرا و عزل في المحرم سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٢، ثم أعيد إليها ملك أمراء أيضا، فدخلها في ليلة الجمعة تاسع عشر رجب سنة سبع و سبعين و سبعمائة^٣، و قرئ تقليده بمنزلة الجيرش بعد صلاة الجمعة، زاده الله من فضله و كرمه . آمين - انتهى

١٤ نعود - و قد يكون حجاب الرجل الصالح / كثرة الغنى و انبساط الدنيا عليه حتى لا يظهر باطن فقره . قال بعض المشايخ كان بالمغرب رجل من الزاهدين في الدنيا، و من أهل الجد و الاجتهاد، و كان عيشه مما يصيده من البحر، و كان الذي يصيده يتصدق ببعضه و يتقوت^٤ ببعضه، فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب، فقال له هذا الشيخ: إذا دخلت إلى مدينة كذا، فإذهب إلى أخي فلان، فاقرئه^٥ مني السلام، و تطلب الدعاء منه، فإنه رزق من أولياء الله تعالى . قال: فسافرت حتى قدمت تلك المدينة، و سألت عن ذلك الرجل، فدللت على دار لا تصلح إلا للووك، فتعجبت من ذلك

(١) في الأصل: أميرا . . . فقيرا .

(٢) يقابل هذا التاريخ يونيو - يوايه سنة ١٣٧٣ م .

(٣) و يقابله نوفمبر سنة ١٣٧٧ م .

(٤) بعد بياض بالأصل قدر كلمة من غير إخلال بالمعنى .

(٥) في الأصل: فاقره .

ذلك ، فطلبته فقبل لي : هو عند السلطان . فزاد تعجبي أكثر من الأول . قال : فهممت بالرجوع و عدم الاجتماع به . ثم قلت : لا يمكنني مخالفة الشيخ . فاستأذنت فأذن لي . فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد و الخدم و الشاورة الحسنة . فقلت له : أخوك فلان يسلم عليك .

٥ قال : جئت من عنده ؟ قلت : نعم . قال : إذا رجعت إليه فقل له : إلى كم اشتغال بالدنيا ، و إلى كم إقبال عليها . و إلى متى لا تنقطع رغبتك فيها ؟ فقلت في نفسي : هذا و الله أعجب من الأول . فلما رجعت إلى الشيخ الصياد قال : اجتمعت بأخي فلان ! قلت : نعم . قال : ماذا الذي قال لك ؟ قلت : لا شيء . قال : لا بد أن تقول . فأعدت عليه

١٠ ما قال . قال : فيكي طويلًا و قال : صدق أخي فلان ، هو غسل الله قلبه من الدنيا ، و جعلها في بدنه و على ظاهره ، و أنا آخذها من يدي . و عندي إليها بقايا التطلع - انتهى .

[أحوال الفقراء الصالحين -]

فلنذكر الآن أحوال الفقراء الصادقين إن شاء الله تعالى - قوله

٥ تعالى : " يا أيها الناس اتم الفقراء الى الله و الله هو الغني الحميد " .

و قال النبي صلى الله عليه و سلم : اتخذوا مع الفقراء أيادي . فان لهم غدا دولة و أي دولة ! و قال بعض المشايخ : الفقر أفضل من الغنى

(١) كذا في الأصل ، و واضح أن المقصود المستشارون .

(٢) العنوان مشتق من النص و لم يرد بالهامش .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ١٥ .

إذا كان مقرونا بالرضى . و قال الشاعر :

/ الفقر سر و عنك النفس تحجبه

فارفع حجابك تجلو ظلمة السرف

قالت الفقراء المخلصون : مذهبنا مذهب العجائز إمام المحراب ،

و عقيدتنا أن الله تعالى رب الأرباب ، و مسبب الأسباب ، و منزل

الغيث و مزجي السحاب . و تؤمن بالله و بما جاء عن رسول الله على مراد

رسول الله ، و طريقتنا أننا فقراء أبناء ، قتنا ، إن جعنا صبرنا ، و إن شبعنا

شكرنا ، لا نحمل للدينا هما ، و لا نفقد حطامها غما ، من أسدى إلينا

خيرا شكرناه ، و من أسدى لنا شرا عذرناه ، و اتكلنا على الله حق

الاتكال ، و أصلحنا معاملتنا معه في كل حال ، و تقمصنا من التوسد .

في الدنيا قصانا ، فلهذا عدنا كالطير تغدر خصا و رجع بطنانا ، و فهمنا

الإشارة إلى هذا المقام ، من قصة مريم عليها السلام ، إذ لما كانت

بجدة الهمة لله تعالى ، كانت رزقها ميسر شيئا ، فلما مزجت الهمة

بعيسى ، قيل لها ” و هزى إليك بجذع النخلة تسقط عليك رطلها جنيا ”

و اقتصرنا من اللباس على الحلقة ، لعلنا أن كل من عليها ناء .

و أتعبنا أنفسنا و أشقينا أبداننا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : اعروروا

و اخشوشنوا و امشوا حفاة أحيانا . و رضينا بهذه البيات المرقعة ، و الثوبيات

(١) في الأصل : منج .

(٢) قرآن كريم سورة ١٩ آية ٢٥ .

المقطعة، لأنها تدفع الحر و القرا، و لا مطمع فيها لأهل الشر، و لأن فيها إهانة^٢ للنفس و دفعا للكبر. ثم أنشدوا:

ما ضرنا لبس أطهار مرقعة كالأدر ما ضره مخلوق الصدف

فهذا مذهبنا و طريقتنا، و مكارم الأخلاق و الوفاء بالعهد و الميثاق

٥ شيمتنا، فليس فينا متكبر و لا شرير و لا متجبر. و لا نذكر أحدا

[إلا - ٢] بما يرتضيه، و لا نعيده بما هو فيه، و لا نستخدم رفيقنا،

و لا نرائى عدونا و لا صديقنا. نصلى الخمس فى الجماعة، و نؤثر الإخوان

ب / على قدر استطاعته، و لا يبرح / أحدنا إلا على وضوء، و يزجر نفسه فى

الدنيا عن طلب العلو، و لا نستعير المشط و المسواك، و لا نعتمد النجوم

١٠ و الأفلاك، و نغتسل فى كل اثنين و جمعة اقتداء بالتابعين، و نقلم أظفارنا*

(١) فى الأصل : المر .

(٢) فى الأصل : أهنة .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) زيد هنا لفظة « إلا » بالأصل و هى لا تتفق بالسياق فحذفناها .

(٥) بهامشه ما يلى : اعلم أن قص الأظفار - على ما قاله الشاعر - أمان من

أرمد، و هو قوله :

أبدأ بيمينك و باليمين فى قصك الأظفار و استبصر

و ثن بالوسطى و ثلث بما قد جاء بالإبهام و بالخنصر

و افعل بسبابتها هكذا فى اليد و الرجل و لا تتر

و كذا يسراك بابهامها و ثن بالوسطى و بالخنصر

و افعل بسبابتها هكذا بنصرها خاتمة الأيسر

في كل أربعاء مبتدئين^١ باليمين، و نعتقد أن الله واحد أحد، فرد
صمد، منزه عن الصحابة و الولد، مسمى بما سمي به نفسه، بالمعنى الذى
أراده، و أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، متلو بالأسنة،
مكتوب فى المصاحف. محفوظ فى الصدور. و أن الجنة و النار و الصراط
و الميزان حق، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى
القبور، و أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من غير حرف و صوت،
و أن منكرا و نكيرا يسألان العبد بعد الموت. و أن محمدا صلى الله
عليه و سلم أسرى بجميع جسده و نفسه، و أنه رأى الله تعالى بعين
رأسه، و أن الله مستو على العرش استواء منزلها عن المجاسة و الاستقرار،
و أنه تعالى مرئى فى الآخرة بالأبصار، و أنه تعالى كان و لا شىء^{١٠}
معها. و هو الآن على ما هو عليه كان. و أنه خالق الموجودات، و مكون
الأكوان، و أن عذاب القبر حال على الروح و الجسد، خلافا لمن
أنكر و جحد، و أن الخير و الشر بقضاء من الله و قدر، و أن النبي
صلى الله عليه و سلم أفضل البشر. و أنه ليس بعده أفضل من أبى بكر،
ثم عمر، ثم عثمان ذى النورين، ثم على أبى الحسن و الحسين، ثم بقية^{١٥}
الصحابة العشرة، و رضى الله عن الصحابة أجمعين، و عن التابعين لهم
باحسان إلى يوم الدين - انتهى .

فلنذكر ما جاء فى فضل الفقراء الصالحين . قال الله تعالى " للفقراء

(١) فى الأصل : مبتدئا .

الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم
 الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون / الناس الخافا " .
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفقراء الصبر هم جلساء الله
 يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
 بخمسة ايام .

واعلم ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر . وكذلك قوله
 صلى الله عليه وسلم لرجلين أحدهما فقير وعليه خلقان ، والآخر غني :
 هذا خير من آراء الأرض من مثل هذا . وقال : صاحب الدرهمين أشد
 حسابا من صاحب الدرهم . وقال الحسن البصري : إن مما كتب الله
 ١٠ لإبراهيم عليه السلام في الصحف الأولى : إن أحب عبادي إلى الفقراء
 الذين يتبعون مرضاتي ، أمرى ، يحفظون وصيتي ، وإن من كرامتهم
 على أني أرزقهم ما لا يشغلون به عن طاعتي . وروى في حديث آخر :
 يقول الله عز وجل : عبادي وأصفيائي ! ما زويت عنكم الدنيا هوانكم
 عني . ولكن أردت أن تردد أصواتكم إلىي وأسمع منكم النداء . فهذه
 ١٥ داري فأنزلوها ، وهذا جوارى فحببوا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 رأس الدين ترك الدنيا ، والقربة من الله عز وجل حب المساكين
 و الدنو منهم .

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٧٣ .

(٢ - ٣) من مسند الإمام أحمد ٥ / ١٥٧ ، وفي الأصل : أهل الأرض .

٤٢٠ (١٠٥) روى

روى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القاعين برزقي ، القائمين بطاقتي . الراضين بقدرى ، أدخلوهم الجنة . فيدخلون فيأكلون ويشربون ، والناس في الحساب يترددون .

و دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم يجد له شيئاً فقال لأصحابه : لو قسم نوري هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له . لو أقسم على الله لأبره . وقال صلى الله عليه وسلم : الفقير على المؤمن أحسن من العذار الجديد على خد^٢ الفرس .

وقيل : لو لم يكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة المسلمين و رخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه يحتاج إلى شرائها ، والغنى يحتاج إلى بيعها و زيادة سعرها . هذا لعوام الفقراء فكيف بخواصهم و أخص خواصهم .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع ؟ قال : نعم . قال : عد المريض ،

(١) في الأصل : قل .

(٢) في الأصل : اخذ .

و كن ثياب الفقراء قاليا^١ . فحمل موسى على نفسه في شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفتي ثيابهم و يعود المرضى .

و قال سهل بن عبد الله : خمسة أشياء من جوهر النفس : فقير يظهر الغنى . و جائع يظهر الشبع ، و محزون يظهر الفرح ، و رجل بينه و بين رجل عداوة فيظهر المحبة ، و رجل يصوم النهار و يقوم الليل فلا يظهر ضعفا . و قال بشر الحافي : أفضل المقامات الصبر على الفقر - انتهى .

[عود إلى ولاية ابن عرام و غيره الإسكندرية -^٢]

نعود - و لما زلى ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام الإسكندرية ١٠ ثلث ولاية ، لم يقم متوليا غير خمسة أشهر . و عزل منها في أوائل سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٣ . و ولى مكانه ملك الأمراء سيف الدين بكك ، أقام بها أشهرا و عزل . و ولى بعده ملك الأمراء سيف الدين أرغوان اللالا المعروف بالاحمدى^٤ ، دخلها - أعنى الإسكندرية^٥ - يوم الاثنين خامس شوال سنة خمس و سبعين و سبعمائة ، فأتاه الطحانون^٦ بألف دينار يزيد لهم في الخبز خردبة^٧ . فأخذها منهم و أبقى الخبز على

(١) في الأصل : قاليا .

(٢) العنوان مشتق من النص و لم يرد في الهامش .

(٣) يقابلها سنة ١٣٧٣ م .

(٤) بعده بياض بالأصل قدر كلمتين من غير إخلال بالمعنى .

(٥) زيد بعده في الأصل : يعنى .

(٦-٦) في الأصل : فاتته الطحانين .

ما كان عليه شفقة على الرعية . ثم وضع الذهب المذكور في بيت / مال المسلمين . ثم إنه أقام متوليا بها أربعين يوما ، و توفي و دفن برباط الشاطبي ظاهر الإسكندرية من شرقها . و وليها بعده ملك الأمراء سيف الدين الشعباني .

[عن الموت الأسود -]

و في سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٢ بدأ الفناء^١ من شهر شوال منها ، و تتابع إلى ربيع الأول سنة ست و سبعين و سبعمائة^٣ ، فصار يتدرج إلى أن صار يموت في كل يوم نحو المائتين ، و كان أكثره في الولد الأطفال . قيل : إنه مات في ذلك الوباء بها سبعة عشر ألفا ، منها ولدان ذكور و إناث اثنا عشر ألفا ، و الباقي رجال و نساء ، و عبيد ١٠ و إماء . و كل ذلك نحو ثلاثين ألفا ، و تبع الفناء الغلاء ، فصار يزداد ثمن القمح و الدقيق و الخبز إلى أن بيع القمح بالإسكندرية بكيلها و هو سبع و بيات و ربع و بية بالسكيل المصري بمائة و عشرين درهما نقرة الإردب ، و بيع^٦ الدقيق العلامة فيها بثلاثين نقرة البطنة ، و الخبز

(١) العنوان مشتق من النص ، و لم يرد بالهامش .

(٢) انظر الحاشية السابقة رقم ٣ ص ٤٢٢ .

(٣) الطاعون المعروف بالموت الأسود .

(٤) يقابله أغسطس سنة ١٣٧٤ م .

(٥) في الأصل : كل .

(٦) في الأصل : و أبيع .

الخشب بنصف و ربع نقرة الرطل بالجروي ، وإهو رطلان^١ و سدس رطل بالمصرى ، مع أن النيل المبارك قد عم البلاد ، و زاد زيادة بلغ فيها سبعة عشر ذراعا و نصف ذراع ، و ذلك بعد كسر الجسور على البلاد مع إطلاق الخياجان و الترع عليها لتشرب الأرض و الرى سريعا ٥
 لأجل تقصير النيل فى العام الذى قبله . فلما رويت أرض مصر بأجمعها زرعت الناس ، و تحيلوا فى شراء البذر بالثمن الغالى و بذروه حتى فى البساتين و الكروم . و لطف الله بأهل مصر برخاء الشام فى سائر الحبوب ، فصارت لتجار تشتري منه القمح و الحبوب و تسير به فى البر و البحر إلى مينة الإسكندرية و غيرها . حتى صار الناس يتبلغون^٢ بما يجدونه^٣ منه ، و افتقر غالب الناس ، و انكشفت أحوالهم ، و ضاقت أسبابهم ، و رخصت أقمشتهم و أمقتهم ، فباعوها بالثمن البخس ، و ليشترى بآمانها الخبز ، و ازدحمت الناس على الخبازين مدة شهرين ، حتى صار الخباز لا يلحق إلا بالعصب و القوة ، و صغروا الأرغفة ، و باعوها بمعادة بربع درهم نقرة الرغيف . ذلك مع تتابع المراكب بالقمح ١٥
 و الشعير من الشام و بركة ، و لو لا ذلك لكان غير ذلك . و لم يزل الخبز بنصف و ربع الرطل إلى أن ضج الناس فى ذلك الغلاء و القحط الشديد ، و ضاق بهم الحال لقلة المكاسب مع وجود القمح و الشعير

(١) فى الأصل : رطين .

(٢) فى الأصل : تبلىغ .

(٣) فى الأصل : يجدوه .

والخبز . فقيل في ذلك : قال بعضهم ' في ذلك ' .

[في الزهد - ٢]

ذكر الزهد في الدنيا الفانية ، و الرغبة في طلب الآخرة الباقية ،

قوله تعالى ٢ : " قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خير لمن اتقى و لا تظلمون

فتيلا " . و قال النبي صلى الله عليه و سلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله

جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء . و قال بعضهم :

إذا كان شيء لا يساوي جميعه جناح بعوض عند من أنت عبده

تملك جزء منك كلك ما الذي يكون على ذى الحال قدرك عنده

قال يحيى بن معين : كان قوت أحمد بن حنبل في كل شهر درهم

و دانيق ، و صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . قال بعض الصالحين : ١٠

رأيت أحمد بن حنبل بعد وفاته في المنام في الجنة و عليه ثياب خضر و هو

يخطر في مشية لم أكن أعرفها له في دار الدنيا . فقلت له : يا أبا عبد الله !

ما هذه المشية ؟ فقال : هذه مشية الخدام في دار السلام . فقلت له :

أخبرني ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي و رحمني و أكرمني و أكساني

(١-١) كذا بالأصل - و هو تكرار ، و وقع بعده بياض ، و بهامشه : بياض

الأصل ثلاثة أسطر .

(٢) العنوان مشتق من النص ، و ليس باهامش .

(٣) قرآن كريم سورة ٤ آية ٧٧ .

(٤) من جامع الترمذى - الزهد ، و في الأصل : كافر .

(٥) في الأصل : ذا .

و حلاني و ألبسني نعلين من ذهب ، و قال : يا أحمد ! هذا بقولك القرآن / كلامي غير مخلوق . فالسعيد من ترك الدنيا الفانية ، و طلب الآخرة الباقية ، و سأل الكريم أن يدخله جنة النعيم ، و التخلف هو الفرح بالدنيا ، و الساعي فيها بالكد و التعب و الجهد و النصب ليجمع لزوج حليلته . و يحاسب هو على جمعه ، و المصيبة كل المصيبة ! إن كان منع حق الله منه ، بعدم إخراج زكاة ماله ، و إخله به على مستحقه . فقد قيل : مصيبتان لم يسمع الأولون و الآخرون^١ بأعظم منهما^٢ عند موت صاحب المال ، و ذلك أنه يؤخذ منه ماله كله ، و يحاسب عنه كله . فيلزم العبد أن يكون متيقظاً أواباً . ليسلم في الآخرة من العذاب . قال الله تعالى : " فانه " كان^{١٠} للأوابين غفورا " و إذا حصن للعبد من ربه المغفرة ، فاز بالجنة . و الأواب هو الذي أقبل عن الذنب فلم يعد إليه ، و قد سمي داود عليه السلام أواباً و غيره من المرسلين .

قال الغزالي في كتاب الدرّة الفاخرة ، في كشف علوم الآخرة ، : إن داود عليه السلام يأمره الله تعالى يوم القيامة يرقى منبرا و يتلو الزبور ،^{١٥} فيرقى يقرأ و هو أحسن الناس صوتاً ، و في الصحيح أنه صاحب مزامير أهل الجنة ، فيسمع صوته أوريا المقتول أمام تابوت السكينة ، فيفتحهم

(١-١) في الأصل : تسمع الأولين و الآخرين .

(٢) في الأصل : منها .

(٣) في الأصل : انه - راجع القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٢٥ .

الجموع ، و يتخطى الصفوف ، حتى ينتهي إلى داود عليه السلام ، فيتعلق به و يقول : أما وعظك الزبور حتى نويت لي ما نويت حتى قتلت ؟ فيخجله و يسكت مفجها ، فيرتج الموقف لما يرى الناس من شأن داود . ثم يتعلق أوريا به و يسوقه إلى الله تعالى ، فيرخي عليهما ستره ، فيقول أوريا : يا رب ! أنصفني منه ، فانه 'تعمد لي' الهلاك و جعلني أقاتل أمام ه التابوت ثم قتلت ، و تزوج امرأتى و عنده يومئذ تسع و تسعون امرأة . فيقول : يا رب ! قد كان ذلك . و هو منكس الرأس حياء من الله تعالى و توقعا / لما ينزل به من العذاب و رجاء فيما يرجو من المغفرة ، فان الله كريم ، فاذا نكس رأسه حياء من الله تعالى و إذا طمع رجاء فيقول الله تعالى لأوريا عند ذلك : لك كذا و كذا من القصور ، و الولدان و الحور . فيقول : رضيت يا رب ! ثم يقول الله تعالى لداود : اذهب فقد غفرت لك . و أما الظالم الأواب فأنه يؤتى به إلى الله تعالى يوم القيامة فيخرج عليه المظالم و يتعلق به المظلوم ، فيقول الله له : التفت أيها المظلوم فوق رأسك . فيلتفت فاذا هو بقصر عظيم تحار فيه الأبصار . فيقول : ما هذا يا رب ؟ فيقول جلت قدرته : إنه للبيع و الشراء فاشتره ، فيقول له : يا رب ! ما معي شيء أشتريه به ، فيقول له : إن تركت مظلمة أخيك

(١-١) في الأصل : تعمدني .

(٢) في الأصل : عن .

(٣) في الأصل : فاشتره .

فالتصبر لك . فيقول : يا رب ! قد فعلت ذلك . هكذا يفعل الله تعالى بالظالمين الأوابين ، و هو قوله تعالى ” فانه ” كان الأوابين غفورا ” و قد تقدم [أن] الأواب هو الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه . فالسعيد من ترك الدنيا الفانية . و طلب الجنة الباقية ، فيها المستقر و المقر الدائم . فإسعاد من دخلها بمتعة الله بنعيمها !

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا أعلم في الجنة قصرا إلا و في وسطه أربعون نهرا جاريا ، على شاطئ كل نهر ألف شجرة ، بعضها أحسن من بعض ، أصول الأشجار من مسك ، و أغصانها من كافور ، و أوراقها دنانير ، تحمل بعض الأشجار الجوارى ، و يحمل بعضها الحلال ، و يحمل بعضها الثمار ، كل لون مما يشتهي أولياء الله ، و هو فوق منبر من ذهب ، و في وسطه ألف حوراء ، و حولها ثمانون ألف وصيفة . كل واحدة أحسن من الأخرى ، و أولياء الله فيما بينهن من نعيم لا ينفى ، و عيش لا يخافون فيه الموت ، و إن الجنة كما قال الله تعالى ” و فيها ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين و انتم فيها خالدون ” . اللهم اجعلنا / من أهل الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين - انتهى .

(١) في الأصل : انه - راجع القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٢٥ .

(٢) ساقطة من الأصل . (٣) في الأصل : جارين .

(٤) في الأصل : يشتهون . (٥) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٧١ .

(٦) من القرآن الكريم ، و في الأصل : تشتهى .

وإلى هنا انتهى ما قصدنا أن نورد في هذا الكتاب . و سنختمه
بالدعاء النافع إن شاء الله تعالى . اللهم ! صل على سيدنا محمد كما ذكره
الذاكرون . و غفل عن ذكره النافلون ، و على آله و أصحابه و أزواجه
و ذريته و سلم تسليما كثيرا ، خرج مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله
عليه و سلم كان يقول : اللهم ! أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري . ه
و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، و أصلح لي آخرتي التي إليها معادي ،
و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، و اجعل الموت راحة لي من
كل شر .

قال الشيخ أبو العباس القرطبي في كتابه « المفهم في صحيح مسلم »
حين تكلم على هذا الحديث : هذا دعاء عظيم ، جمع خير الدنيا و الآخرة ١٠
و الدين ٢ ، فحق على كل سامع له أن يحفظه و يدعو به آناء الليل
و النهار ، لعل الإنسان يوافق ساعة إجابة فيحصل على خير الدنيا و الآخرة ،
و يقول معه ” ربنا اتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا
عذاب النار * “ - انتهى .

دعاء آخر : اللهم ! إن ذنوبنا عظيمة ، و إن قليل عفوك أعظم ٣
منها . اللهم اغفر لنا بقليل عفوك عظيم ذنوبنا ! اللهم ! ما تقلدنا من

(١) من كشف الظنون ، و في الأصل : على .

(٢) زيد هنا : و الدنيا ، و الكلمة مكررة لحذفها .

(٣) من الوقاية .

ذنب أو زلل أو خطايا أو إثم أو نسيان^١ أو غيبة أو كذب^٢، فاعف
عنا بعفوك، و اغفر لنا بمغفرتك اليوم قبل يوم القيامة، و لا تدع لنا
عندك ذنبا مخبيا تريد أن تعذبنا به في قبورنا، و لا تجعلنا في القبور من
النادمين و لا من الخاسرين، و أوجب لنا الخلود في جنات النعيم.
٥ و لا تجعلنا شماتة للشامتين، و لا تبسط علينا السنة الطاعنين، و أعطنا
من فضلك الذي لا ينقص، و رحمتك التي لا تفرغ، و أعطنا النضرة
و السرور، برحمتك يا عفو يا غفور - انتهى .

ب

دعاء آخر : اللهم ! إنا نسألك باسمك الذي شق الصخر، و أبرم
الأمم، و أرسل القطر، و أنزل الرزق و نور البدر، و نسألك باسمك
١٠ الذي شق القلم، و أغسق الظلم، و برأ الأمم، و أسبغ النعم، و صرف
النقم، و اختار الأمم، و فتح الأعين، و أنطق الألسن، أن تعطينا
خير الدنيا و الآخرة . و تصرف عنا شرنا برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم يا رب ! كل شيء بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء،
و لا تسألني عن شيء .

١٥ يا رب هبني لنا من أمرنا رشداً و اجعل معونتك الحسنى لنا مدداً
و لا تكلنا إلى تدبير أنفسنا فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسد
اللهم إنا نعوذ بنور قدسك، و عظمة طهارتك، و بركة جلالك من

(١) في الأصل : نسيانا .

(٢) في الأصل : كذبا .

كل آفة و عاهة و طارق الجن و الإنس إلا طارق يطرق بخير يا رحمن !
 اللهم أنت عيادنا فبك نعوذ ، و أنت ملاذنا فبك نلوذ ، يا من ذلت له
 رقاب الجبابرة ، و خضعت له مقاليد الفراعنة ، نعوذ بجلال وجهك
 وكرم جلالك من خزيك و كشف سترك ، و نسيان ذكرك ، و الإضراب
 عن شكرك ، ذكرك شعارنا ، و ثناؤك دثارنا ، لا إله إلا أنت ، تزيها
 لوجهك و تكريما لسبحات قدسك ، أجرنا من خزيك ، و اضرب علينا
 سرادقات حفظك و حياطتك . و أدخلنا في عنايتك ، و قنا سيئات عذابك
 يا أرحم الرحمين ! اللهم تقبل منا دعاءنا ، و تجاوز عن سيئاتنا و سيئات
 آباءنا و أمهاتنا و إخواننا و إخوانتنا و أزواجنا و ذرياتنا و جميع المسلمين !
 اللهم صل على ملائكتك المقربين ، و على أنبيائك المرسلين الطاهرين المطهرين .
 و على عبادك الصالحين ، و سلم عليهم و علينا كما سلمت على آل يس !
 صلي الله على نبينا محمد و عليهم أجمعين ، صلاة تعمنا بركتها / و نفعها إلى
 يوم الدين ، و رضى الله عن الصحابة أجمعين ، و سلم تسليما كثيرا .
 و حسبنا الله و نعم الوكيل و الحمد لله وحده .

————— (* * * *) —————

تم كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية،
الواقع بها في سنة سبع و ستين و سبعمائة^١، و عودها إلى حالتها المرضية .
مع ما أضيف إلى ذلك من الواردات المستطردات . و كان الفراغ من
كتابه من نسخة بخط مؤلفه رحمه الله تعالى في يوم الأحد المبارك الموافق
لسابع عشر شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة أربع و ستين
و ألف^٢ على يد أفقر العباد و أوجههم إلى رحمة ربه الكريم الهادي
أحمد درويش الوقادي ، و الحمد لله وحده !

• و إن تجدد عيبا فسد الخلا • جل من لا فيه عيب و علا

دار الكتب المصرية رقم ٣٩٤٢ تاريخ

————— (* * * *) —————

(١) يقابل هذه السنة ١٣٦٥ - ١٣٦٦ م . و المقصود تاريخ الوقعة لا تاريخ
الانتهاء من تحرير الكتاب .

(٢) يقابل هذا التاريخ ٦ فبراير سنة ١٦٥٤ م .

خاتمة الطبع

الحمد لله العزيز العلام ، و الصلاة و السلام على سيد الأنام ،
 محمد المصطفى و آله النجباء البررة الكرام ، و أصحابه الأعلام ، أئمة
 الهدى و مصاييح الظلام ؛ و بعد فقد وقع الفراغ من طبع الجزء السادس
 من كتاب الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام ، للشيخ الإمام
 الهمام ، محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندراني - رحمه الله -
 يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٩٣هـ =
 ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٧٣ م : تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها أحد أعلام
 الهند من أولى الألباب ، و أفضل العلماء ، بروفييسور السيد عبد الوهاب ،
 البخارى حين الانتساب ، إلى آبائه الكرام ذوى الأحساب و الأنساب ،
 و فى الله أجره بغير حساب ! نعم العبد انه اواب !

اعتنى بتصحيحه و تحقيقه و التعليق عليه ميزة الأماثل ، الأستاذ الفاضل ،
 المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطية ، أعانه الله فى خدمته العلمية العلية !
 و عنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له
 و لوالديه - بمساعدة رفيقه العزيز مصحح الدائرة محمد عمران الأعظمى
 العمرى (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله !
 على المراجعة فى المراجع و المصادر المتعلقة ، بعد إعادة المعارضة و المقابلة
 بالأفلام الصغيرة لمخطوطة القاهرة .

و فى الختام ندعو الله تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ،
 و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير
 و خواتمه ، سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا
 أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية